سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٣)

شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الخامس

١٨٥ـ باب فضل الوضوء

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

الشرح

قال المؤلف[(١)] ـ رحمه الله ـ: «**باب فضل الوضوء**».

الوضوء: في اللغة العربية مأخوذ من الوضاءة وهي الحسن والنظافة وأما في الشرع فهو تطهير الأعضاء الأربعة على صفة مخصوصة، والأعضاء الأربعة هي الوجه واليدان والرأس والرجلان، والوضوء من نعمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة حيث أمرهم به ورتب عليه الثواب الذي سيذكر في هذا الباب إن شاء الله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ فانتبه وأرعها سمعك، فإما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهىٰ عنه، وإما خبر صادق تنتفع به فالأقسام ثلاثة: إما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهىٰ عنه، وإما خبر صادق تنتفع به، كلما قال الله

---

(١) هو الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفّى عام ٦٧٦هـ - رحمه الله رحمة واسعة - انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥).

هنا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة ـ الفريضة أو النافلة ـ ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾.

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: ولم يذكر الله تعالى غسل الكفين، لأن غسل الكفين قبل الوجه سنة وليس بواجب، والوجه من الأذن إلى الأذن عرضًا، ومن منحنى الجبهة إلى أسفل اللحية طولاً ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، المضمضة في الفم والاستنشاق في الأنف.

﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ يعني: واغسلوا أيديكم إلى المرافق، والمرفق هو المفصل الذي بين الذراع والعضد، وهو داخل في الغسل؛ لأن النبي ﷺ كان إذا غسل يديه أشرع في العضد، وأدار الماء على مرفقيه.

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾: الرأس يُمسح ولا يجب غسله، وهذا من رحمة الله ـ عزَّ وجلّ ـ بعباده، لأن الرأس فيه شعر فلو فُرض غسله لكان فيه مشقة على الناس وَلبدأ الماء يسرب على الثياب، ولَلَحِق الناسَ مشقةٌ في أيام الشتاء، ولكن من رحمة الله أن الرأس يُمسح ولا يُغسل، ومن الرأس الأذنان، يُمسحان أيضًا؛ لأن النبي ﷺ كان يمسح بأُذُنَيْه.

﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ يعني: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، والكعبان هما العظمان الناتئان في أسفل الساق، وهما داخلان في الغسل، هذه أربعة أعضاء، وهي أعضاء الوضوء.

ثم قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ وفي الآية الثانية

﴿فَاغْتَسِلُوا﴾ : يعني إذا كان الإنسان عليه جنابة وجب عليه أن يُطهّر جميع بدنه: من رأسه إلى أخمص قدميه، ومنه المضمضة والاستنشاق، فإن المضمضة والاستنشاق يجبان في الوضوء وكذلك في الغسل.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ والجنب: هو الذي حصلت عليه جنابة، والجنابة: إما إنزال المني بشهوة وإما الجماع ـ وإن لم ينزل ـ، فإذا جامع الإنسان زوجته وجب عليه أن يغتسل سواء أنزل أم لم ينزل، وإذا أنزل وجب عليه غسل سواء جامع أم لم يجامع، حتى لو فكر وأنزل وجب عليه الاغتسال.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ يعني: أن الإنسان إذا وجب عليه الوضوء أو الغسل ولم يجد ماءً أو كان مريضًا يتضرر باستعمال الماء فإنه يتيمم، يضرب الأرض بكفيه ويمسح وجهه وكفيه ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ يعني: فيما فرض علينا، لم يرد أن يحرجنا ويلحقنا المشقة، بل هو أرحم بنا من أنفسنا وأولادنا وأمهاتنا، والدليل على أنه أرحم منا بأنفسنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فالذي يوصيك ألا تقتل نفسك هو أرحم بك من نفسك، فهو لا يريد منا بهذا الفرض أن يشق علينا أو يلحقنا الحرج.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ هذا الذي أراد الله منا بالوضوء والغسل أن يطهر ظواهرنا بالماء وأن يطهر بواطننا بالتوحيد، ولهذا يُسنّ إذا فرغت من الوضوء أن تتشهد تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وذلك بهذا الوضوء الذي يحصل به تكفير السيئات ورفعة الدرجات، فإن من توضأ وأسبغ الوضوء ثم قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**[(١)]».

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لأجل أن تشكروا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على نعمه، فالواجب على المرء أن يشكر الله على نعمه، لأن نعم الله لا تحصى ولا سيما النعم الدينية، لأن النعم الدينية بها سعادة الدنيا والآخرة، والشكر: هو القيام بطاعة الله بامتثال أمره، واجتناب نهيه، يعني باللسان والأركان والقلوب، الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح؛ نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر نعمته وحسن عبادته إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٢٤ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوضوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَه، فَلْيَفعَلْ[(٢)]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الطهارة، باب فيما يُقال بعد الوضوء، رقم(٥٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء رقم(١٣٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم(٢٤٦).

١٠٢٥ ـ وعنه رضي الله عنه قال: سَمِعْت خليلي ﷺ يقولُ: «تَبْلُغُ الحِليَةُ مِنَ المؤمِن حَيْث يَبْلُغُ الوُضوءُ[(١)]» رواه مسلم.

١٠٢٦ ـ وعن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظفارِهِ[(٢)]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين في باب فضل الوضوء.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا مُحجَّلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته، فليفعل»** يعني: أن هذه الأمة ـ أمة محمد ﷺ ـ تُدْعى يوم القيامة غرًّا محجّلين.

الغرة: بياض الوجه.

والتحجيل: بياض الأطراف، أطراف اليدين، وأطراف الرجلين.

يعني أن هذه المواضع تكون نورًا يتلألأ يوم القيامة لهذه الأمة، وهذه خاصة بنا ولله الحمد، كما قال النبي ﷺ: **«سيما ليست لأحد غيركم[(٣)]»**، يعني علامة تتبين بها أمة محمد ﷺ في ذلك اليوم المشهود.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم(٢٥٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم(٢٤٥).

(٣) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم(٢٤٧).

وهذا دليلٌ على فضل الوضوء، وأن أعضاء الوضوء تأتي يوم القيامة تلوح من النور يقول: «**فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**» وهذه الجملة ليست من كلام النبي ﷺ بل هي من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، وليست بصحيحة من جهة الحكم الشرعي؛ لأن ظاهرها أن الإنسان يُمكنه أن يُطيل غرته: يعني: يطيل وجهه وهذا لا يمكن، فالوجه محدد من الأذن إلى الأذن، ومن منحنى الجبهة إلى أسفل اللحية، لا يمكن أن يُطال، وهذا مما يدل على أن هذه الجملة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه قالها اجتهادًا، كما أشار إلى ذلك ابن القيم في النونية قال:

وأبو هريرة قال ذا من كيسه
فغدا يميزه أولو العرفان
وإطالة الغرات ليس بممكن
أيضًا وهذا واضح التبيان

لكن على كل حال ما فرضه الله علينا أن نغسل الوجوه والأيدي إلى المرافق، والأرجل إلى الكعبين هذا هو منتهى الوضوء، وكفى به فخرًا أن يأتي الناس يوم القيامة وهذه المواضع تتلألأ نورًا من أجسادهم من أثر الوضوء، ففي هذا دليلٌ على فضيلة الوضوء وعلى إثبات البعث، وعلى أن الأمم يوم القيامة تأتي كل أمة تُدعى إلى كتابها، هل طبّقت كتابها أم لم تُطبّقه؟

وأما الحديث الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»: الحلية يوم القيامة

يُحلّى بها الرجال والنساء، يلبس الرجال والنساء حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ٢١]، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج: ٢٣].

فهم يحلون بهذه الأنواع الثلاثة، يلبس الرجل والمرأة في الجنة حليًا من هذه الأنواع الثلاثة: ذهب وفضة ولؤلؤ، ولابد أن تكون مرصوفة على وجه يحصل به الجمال أكثر وأكثر؛ لأن التحلي بكل نوع من هذه لا شك أنه يُكسب الإنسان جمالاً فإذا رصف بعضها إلى بعض، ورتبت ترتيبًا حسنًا أعطت جمالاً أكثر يوم القيامة «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»، إذًا كل الذراع يكون حلية، مملوءًا حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ وهذا يدل على فضيلة الوضوء، حيث تكون مواضعه يوم القيامة يُحلّى بها الإنسان في الجنة، جعلني الله وإياكم من أهلها.

وأما الحديث الثالث: حديث عثمان رضي الله عنه ففيه: «**أن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه**» تخرج خطاياه مع هذا الوضوء حتى من تحت أظفاره، وعلى هذا فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذه الأحاديث وأمثالها يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، يعني: أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله، كما أنه إذا صلى يستشعر بأنه يتقرب إلى الله، كذلك وهو يتوضأ، ويستشعر بأنه يمتثل أمر الله في قوله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾، ويستشعر أيضًا أنه متبع لرسول الله ﷺ في وضوئه، وكذلك أيضًا يستحضر

أنه يريد الثواب وأنه يُثاب على هذا العمل حتى يتقنه ويحسنه والله الموفق.

* * *

١٠٢٧ ـ وعنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ تَوَضَّأ مثلَ وُضوئي هذا ثمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأ هكذا، غُفِرَ له مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ، وَكَانَتْ صَلاتُهُ وَمَشْيُهُ إلى المَسْجِدِ نَافِلَةً[1]» رواه مسلم.

١٠٢٨ ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إذَا تَوَضَّأ العَبْدُ المُسْلِمُ ـ أو المُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجهَهُ، خَرَجَ مِنْ وجهِهِ كلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إليْها بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ يَديه، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خطيئَةٍ كانَ بَطَشَتْها يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فإذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتها رِجلاه مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطرِ الماءِ، حَتَّى يَخرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» رواه مسلم[2].

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب بيان فضل الوضوء منها: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ: فغسل كفيه ثلاثًا، وتمضمض، واستنشق ثلاثًا، بثلاث غرفات، وغسل وجهه ثلاثًا، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثًا، ومسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، ومسح أذنيه، وغسل رجليه ثلاثًا إلى الكعبين.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبة، رقم(٢٢٩).
(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم(٢٤٤).

قال النبي ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه**[١]» وهذا شيء يسير ـ ولله الحمد ـ أن الإنسان يعمل هذا العمل ثم يُغفر ما تقدم من ذنبه. وأخذ العلماء من ذلك أنه يستحب لمن أسبغ الوضوء أن يصلي ركعتين، وتُسمّى سنة الوضوء، سواء في الصباح أو في المساء، في الليل أو في النهار، بعد الفجر أو بعد العصر، لأنها سنة لها سبب، فإذا توضأ الإنسان نحو وضوء الرسول ﷺ فإنه يصلي ركعتين ليُغفر له ما تقدم من ذنبه.

وفي هذا الحديث قال: «**وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة**» يعني: زائدًا على مغفرة الذنوب، وليس معنى نافلة يعني صلاة تطوع، قد تكون صلاة فريضة، ولكن نافلة: يعني شيئًا زائدًا على مغفرة الذنوب؛ لأن ذنوبه غُفرت بوضوئه، وصلاته الأولى، فيكون مشيه للمسجد وصلاته ولو فريضة نافلة أي زيادة على مغفرة الذنوب؛ لأن النفل في اللغة معناه الزيادة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ حديث أبي هريرة في أن الوضوء تخرج به الخطايا، إذا غسلت وجهك خرجت خطايا وجهك مع الماء أو مع آخر قطر الماء، (أو) هنا للشك من الراوي، وعلى كل حال فإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، رقم(١٦٠)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، رقم(٢٢٦).

الإنسان إذا غسل وجهه خرجت خطايا وجهه، وإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه التي كان قد بطش بها، وإذا غسل رِجليه خرجت خطايا رجليه حتى يخرج نقيًّا من الذنوب ـ ولله الحمد، فهذا دليلٌ على فضيلة الوضوء.

ولكن مَنْ منا يستحضر هذا الفضل؟! فهل يُكتب هذا الفضل والأجر للإنسان سواءًا استحضره أم لا؟ الظاهر ـ إن شاء الله ـ أنه يكتب له سواء استحضر أو لم يستحضر، لكن إذا استحضر فهو أكمل، لأنه إذا استحضر هذا احتسب الأجر على الله ـ عزَّ وجلّ ـ، وأيقن أنه سيُجازى ويكافأ على هذا العمل جزاءً وفاقًا، بخلاف ما إذا توضأ وهو غافل، ولكننا نرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يُكتب هذا الأجر حتى من الإنسان الغافل الذي يتوضأ على سبيل إبراء ذمته، والله الموفق.

* * *

١٠٢٩ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى المقْبرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شاءَ الله بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوانَكَ يَا رسُولَ الله؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوانُنَا الَّذينَ لَمْ يَأتُوا بَعْدُ» قَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَو أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ» قَالُوا: بَلَى يا رسولُ الله، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأتُونَ غُرًّا مَحَجَّلِين مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ[١]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم(٢٤٩).

الشــرح

هذا الحديث الذي أورده المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل الوضوء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» أو لَلَاحقون: كان النبي ﷺ في أول الأمر نهى عن زيارة القبور؛ لأن الناس حديثو عهد بشرك، فخشي أن تتعلق قلوبهم بالقبور وتفتتن بها، فنهى عن الزيارة، ثم لما استقر الإيمان في قلوبهم أمرهم بالزيارة، فقال: «**كُنْتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تُزهّد في الدنيا وتذكر الآخرة**»(١) فأمر النبي ﷺ بزيارتها وبين الحكمة العظيمة من هذه الزيارة وأنها تذكر الموت، تذكر الإنسان الذي على ظهر الأرض أنه اليوم على ظهرها وغدًا في بطنها، ولا يدري: متى يكون هذا؟ قد يصبح الإنسان على ظهر الأرض ويمسي في بطنها، وقد يُمسي على ظهر الأرض ويُصبح في بطنها، فكان في زيارة المقابر تذكير بالموت أو تذكير بالآخرة؛ لأن الإنسان يمر بالمقبرة فإذا فكر وإذا أبوه، أو عمه، أو زوجته، أو أخوه وما أشبه ذلك: بالأمس كانوا معه يأكلون ويشربون ويتنعّمون في القصور، والآن هم مرتهنون بأعمالهم في القبور، يتذكر العام الماضي في مثل هذا الوقت وهم معنا فرحون بالدنيا مغتبطون بها والآن غادروها، وصاروا مرتهنين بأعمالهم، من يعمل خيرًا يلقه ومن يعمل سوءًا يلقه، فهي تذكّر

(١) رواه ابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم(١٥٧١).

الآخرة، تذكر الموت حقيقة، اخرجوا إلى المقابر، انظروا هؤلاء العالم الذين لا يحصيهم إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أَو لاَ يُحْصَوْنَ إلا بمشقة، كانوا بالأمس معك، والآن هم في بطن الأرض، ولا تدري فلعلك ضجيعهم في مدة يسيرة، فهي تذكر الموت كما قال النبي ﷺ، ولهذا كان يخرج هو بنفسه إلى البقيع يزور أهل البقيع، ويسلم عليهم ﷺ ويدعو لهم.

فسلم عليهم: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**» يعني: يا أهل دار قوم مؤمنين، يسلم عليهم، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه يسلم عليهم ويسمعونه، إذ لا فائدة من خطاب لا يسمعه المُخَاطب، لكنهم لا يستجيبون؛ لأنهم في قبورهم، فيُسلّم عليهم فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» وَصدَق النبي ﷺ ما من حي إلا سيلحق الميتَ بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

يقول: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ لماذا قال: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»، وهو أمرٌ معلومٌ متيقن، كيف يقول ـ إن شاء الله ـ؟ والصحيح أنه لا إشكال في هذا فإن معنى التعليق هنا: أننا إذا لحقنا بكم فإنما نلحق بمشيئة الله، متى شاء لحقناكم؛ لأن الأمر أمره، والملك ملكه، هو الذي يُدبّر ـ عزَّ وجلَّ ـ ما شاء فيمن شاء، أليس الله يقول: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]. مع أنهم سيدخلون؛ لأن الله أكد الدخول بالقسم واللام ونون التوكيد، ولا شكَّ في أنهم سيدخلونه، ولهذا لما جرى الصلح في الحديبية على أن الرسول ﷺ يرجع ولا يكمل عمرته قال له عمر رضي الله عنه: «ألستَ

تُحدّثنا أنا ندخل البيت ونطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» فقال عمر: لا. قال ﷺ: «**فإنك آتيه ومطوّف به**»[1].

فالحاصل أن كلمة «**إن شاء الله**» هنا ليس معناها التعليق الذي يكون الإنسان فيه مترددًا بين حصول الشيء وعدمه، بل معنى التعليق: أن لحوقنا بكم ليس باختيارنا ولكنه بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ثم قال ﷺ: «**وددت أنا لقينا إخواننا**» تمنى أن يلقى إخوانه ﷺ ـ اللهم اجعلني وإياكم منهم ـ تمنّى أن يلقى إخوانه قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: «**أنتم أصحابي**» ـ أخص من الإخوان ـ الصاحب أخ وزيادة، والأخ أخ بلا مصاحبة، قال: «**أنتم أصحابي**» يعني: فأنتم أخص منهم، وهم: ـ الصحابة ـ إخوان للرسول ﷺ وأصحاب له، أما من جاءوا بعده من المؤمنين فهم إخوانه وليسوا أصحابه.

«**وددت أنا لقينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله! قال: «**أنتم أصحابي، ولكن إخواني قوم يأتون بعدي، يؤمنون بي ولم يروني**» ـ اللهم لك الحمد ـ اللهم ثبتنا على ذلك ـ يؤمنون بالرسول ﷺ وأنه رسول الله حقًّا وهم لا يرونه، لكنهم مثل الذين يرونه ـ قالوا: يا رسول الله كيف تعرفهم؟ ـ يعني: وأنت لم تدركهم ـ فضرب مثلاً برجل له خيل غُرّ مُحجّلة.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم(٢٧٣٤).

غُرّ يعني: فيها بياض في رأسها.

ومحجلة: بياضٌ في أرجلها ـ مع خيل دهم ـ يعني سود ليس فيها أي غرة.

هل يشتبه عليه هذا بهذا؟ قالوا: لا. قال: «**فإنهم يأتون يوم القيامة غرًّا مُحجَّلين**» ففي هذا دليلٌ على فضيلة الوضوء، وأن هذه الأمة يأتون يوم القيامة وهم غرّ محجلون من أثر الوضوء، غر يعني: بيض الوجوه، محجلون يعني: بيض الأرجل والأيدي، وهذا البياض بياض نور وإضاءة، يعرفهم الناس يوم القيامة في هذا اليوم المشهود العظيم، تعرف أمة هذا النبي الكريم ﷺ بهذه السيما والعلامة التي ليست لغيرهم، أسأل الله تعالى بمنِّه وكرمه أن يحشرني وإياكم على هذا الوجه، وأن يجعلنا من أمته ظاهرًا وباطنًا إنه على كل شيء قدير.

❊ ❊ ❊

١٠٣٠ ـ وعنهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا، ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرجَاتِ؟» قالُوا: بَلَى يا رسُولَ الله، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوضوء عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المساجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعدَ الصلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[١]» رواه مسلم.

١٠٣١ ـ وعَنْ أبي مَالك الأشعَريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ[٢]» رواه مسلم. وقد سبقَ بطولِهِ في باب الصبر.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم(٢٥١).
(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم(٢٢٣).

وفي الباب حديثُ عمرو بْنِ عَبَسةَ رضي الله عنه السَّابِق في آخر بَابِ الرَّجاءِ، وَهُوَ حَدِيثٌ عظيمٌ، مُشتمل على جُملٍ من الخيرات.

١٠٣٢ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخطاب رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ ـ أوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوء ـ ثُمَّ يقولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه، إلاَّ فُتِحَت لَهُ أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيةُ يَدْخُلُ مِنْ أيِّها شاءَ[١]» رواه مسلم.

وزَادَ الترمذي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِين وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطهِّرِين»[٢].

الشـرح

هذه الأحاديث في بيان فضل الوضوء، وقد سبق حديث في هذا المعنى، وتكلمنا على زيارة القبور التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ وبيّنا أن فيها فائدة عظيمة، وهي تذكير الإنسان الموت أو الآخرة، وليُعلمْ: أن زيارة القبور لا تحل للنساء، فلا يجوز للمرأة أن تزور المقبرة؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج[٣]؛ ولأن المرأة ضعيفة لا تتحمل فربما تنوح وتبكي وتلطم ولأن المقابر ـ في

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم(٢٣٤).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الطهارة، باب فيما يُقال بعد الوضوء، رقم(٥٥).
(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٢٩)، وأبوداود: كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، رقم(٣٢٣٦)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا، رقم(٣٢٠)، والنسائي: كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، رقم(٢٠٤٣).

الغالب ـ تكون خالية من الناس، فيُخشى إذا خرجت المرأة إليها أن يتبعها السفهاء والسُّفَل من الناس ويحصل بذلك المحذور والفتنة، لهذا لعن النبي ﷺ زائرات القبور، أما إذا مرت المرأة بالمقبرة من غير أن تخرج لقصد الزيارة فلا بأس أن تقف وتسلم وتدعو كما يدعو الرجل، يعني: هناك فرق بين القصد وعدم القصد.

ثم ليُعلمْ أيضًا أن أصحاب القبور مهما بلغوا من العمل الصالح والتقى لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملكون لغيرهم أيضًا نفعًا ولا ضرًّا، ولهذا هُم يُدعى لهم ولا يُدعَوْن، يُدعى لهم كما سبق أن النبي ﷺ دعا لهم، ولكنهم لا يُدعون؛ لأنهم لا يفيدون، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

أما ما ذكره ـ رحمه الله ـ من الأحاديث الباقية، فهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم ـ أو ألا أخبركم ـ بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**» وإنما ساق الحديثَ ﷺ على سبيل الاستفهام من أجل أن ينتبه السامع لما يُلقى إليه، لأن الأمر مهم، فقال: «**ألا أنبئكم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله نبئنا، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى**

المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

«إسباغ الوضوء على المكاره»: يعني أن الإنسان يتوضأ ويسبغ وضوءه على كره منه: إما لكونه فيه حمى ينفر من الماء فيتوضأ على كره، وإما أن يكون الجو باردًا، وليس عنده ما يسخن به الماء ويكون الماء باردًا فيتوضأ على كره، وإما أن يكون هناك أمطار تحول بينه وبين الوصول إلى مكان الوضوء فيتوضأ على كره، المهم أنه يتوضأ على كره ومشقة لكن بدون ضرر، أما مع الضرر فلا يتوضأ بل يتيمم، لكن يتأذى ويتوضأ على كره، هذا مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، وهذا لا يعني أن الإنسان يتقصد على نفسه ويذهب يتوضأ بالبارد ويترك الساخن، أو يكون عنده ما يسخن به الماء. ويقول: لا أسخن، أريد أن أتوضأ بالماء البارد، لأنال هذا الأجر، فهذا غير مشروع، لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧].

ورأى النبي ﷺ رجلاً واقفًا في الشمس قال: «ما هذا؟» قالوا: نذر أن يقف في الشمس، فنهاه عن ذلك وأمره أن يستظل[١]، فالإنسان ليس مأمورًا ولا مندوبًا في أن يفعل ما يشق عليه ويضره، بل كلما سهلت عليه العبادة فهو أفضل، لكن إذا كان لابد من الأذى والكره فإنه يؤجر على ذلك، لأن هذا بغير اختياره.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، رقم(٦٧٠٤).

كذلك «**كثرة الخطا إلى المساجد**» فيه دليلٌ على أن الجماعة تكون في المسجد ولا تكون في البيت، وأن الإنسان إذا كثرت خطاه إلى المساجد فإنه يؤجر: ويَرفع الله به له الدرجات ويمحو عنه الخطيئات.

وقد ثبت عن النبي ﷺ «**إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفِعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة**»(١) وهذه نعمة عظيمة، «فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة».

«**وكثرة الخطا**» يعني: أن يأتي الإنسان إلى المسجد ولو من بعد، وليس المعنى أن يتقصد الطريق البعيد، أو أن يقارب الخطا، فهذا غير مشروع، بل يمشي على عادته، ولا يتقصد البعد، يعني: مثلاً لو كان بينه وبين المسجد طريق قريب وطريق آخر بعيد لا يتقصد أن يذهب من البعيد لكن إذا كان بعيدًا ولابد أن يمشي إلى المسجد فإن كثرة الخطا إلى المساجد مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

وأما الثالث: «**انتظار الصلاة بعد الصلاة**»: بمعنى أن الإنسان إذا فرغ من هذه الصلاة يتشوق إلى الصلاة الأخرى فرغ من صلاة العصر ينتظر بقلبه صلاة المغرب، فرغ من صلاة المغرب ينتظر بقلبه صلاة العشاء،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦٤٧).

وهكذا يكون قلبه معلقًا بالمساجد: كلما فرغ من صلاة إذا هو ينتظر الصلاة الأخرى، هذا أيضًا مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

قال: «**فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**» يعني المرابطة والمداومة على الخير، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثم ذكر المؤلف حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الطهور شطر الإيمان**»: يشمل طهور الماء، وطهور التيمم، وطهارة القلب من الشرك والشك والغل والحقد على المسلمين، وغير ذلك مما يجب التطهر منه فهو يشمل الطهارة الحسية والطهارة المعنوية.

«**شطر الإيمان**»: نصفه، والنصف الثاني هو التحلي بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة؛ لأن كل شيء لا يتم إلا بتنقيته من الشوائب وتكميله بالفضائل؛ فالتكميل بالفضائل نصف، والتنقية من الرذائل نصف آخر، ولهذا قال: «**الطهور شطر الإيمان**» وأما شطره الثاني فهو التكميل بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة.

ثم ذكر المؤلف آخر ما ختم به الباب حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرجل «**إذا أسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فإنها تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»، وزاد الترمذي ـ رحمه الله ـ: «**اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**» هذه الأحاديث في فضائل الوضوء،

والمؤلف لم يستوعب كل ما ورد في هذا الباب من فضائل، لكن لو لم يكن من فضائله إلا حديث واحد لكفى به دعوة إلى الوضوء وإحسانه وإسباغه، وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح.

❊ ❊ ❊

١٨٦ ـ باب فضل الأذان

١٠٣٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا أنْ يَسْتَهِموا عَلَيْهِ لاسْتَهموا عَلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في التَّهْجِير لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأتَوهُمَا وَلَو حَبْوا[1]» متفقٌ عليه.

«الاستْهامُ» الاقتراع، و«التَّهْجير»: التبكير إلى الصلاة.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ «باب فضل الأذان» يعني ما ورد فيه، والأذان: هو الإعلام، الإعلام بالصلاة أي بدخول وقتها إن كانت مما يقدم، أو بفعلها إن كانت مما يؤخر، هذا هو الأذان، يعني: ينادي الإنسان فيُعلِم الناس بأن الوقت قد دخل في صلاة المغرب، وفي صلاة الفجر، وفي صلاة العصر، وفي صلاة الظهر إلا أن يبردوا بها، فالأذان عند دخولها، وكذلك في أذان العشاء إذا أعتموا بها فالأذان كذلك يؤخر، وإلا فإنه يؤذن عند دخول الوقت؟ لقول النبي ﷺ: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم**[2]» والأذان المشروع هو الذي يؤذن للصلوات الخمس، وفرض في السنة الثانية من الهجرة بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم(٦١٥)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٤٣٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، رقم(٦٢٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم(٦٧٤).

المدينة شرع الأذان، واختلف الصحابة حين تشاوروا كيف يُعلَم بدخول وقت الصلاة؟ فقال بعضهم: نوقد نارًا عظيمة يعرف الناس أن الوقت قد دخل، وقال بعضهم: بل نضرب بالناقوس ـ الناقوس ـ الذي يشبه الجرس.

وهو الذي ينادي به النصارى لصلواتهم، وقال آخرون: بل ننفخ بالبوق كما يفعل اليهود، وكل هذا كرهه النبي ﷺ فرأى رجل من الصحابة ـ وهو عبد الله بن زيد ـ رأى رجلاً في المنام وفي يده ناقوس قال له: أتبيع هذا؟ قال: وماذا تصنع به؟ قال: أُعلِم به للصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك، قال: بلى، فقرأ عليه الأذان، وقرأ عليه الإقامة فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ وأخبره بالخبر، فقال النبي ﷺ: «**إن هذا رؤيا حق**» ثم علمه بلالاً فأذن به[1]، بهذا الأذان المعروف.

ولما كان في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وكثر الناس جعل أذانًا أولاً للجمعة قبل الأذان الثاني الذي هو عند حضور الإمام، فكان في يوم الجمعة أذانان، أذان أول وأذان ثانٍ، وفي رمضان أمر النبي ﷺ بلالاً أن يؤذن في آخر الليل إذا قرب وقت السحور، وقال: «**إن بلالاً يؤذن بليل ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**[2]» فصار عندنا الفجر لها أذان أول،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٧٢)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، رقم(٤٩٩)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان، ـ مختصرًا ـ رقم(١٨٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره، رقم(٦١٧)، =

ولكن ليس لها بل لأجل الإعلان بأن وقت السحور قد حل، والجمعة لها أذان أول من سنة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم.

قال بعض المتحذلقين الذين يدعون أنهم سلفيون سنيون: قالوا إن أذان الجمعة الأول لا نقبله؛ لأنه بدعة، لم يكن على عهد النبي ﷺ وهذا القول منهم قدح للنبي ﷺ وقدح بالخلفاء الراشدين وقدح بالصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء المساكين وصلوا إلى هذا الحد من حيث لا يعلمون.

أما كونه قدحًا بالرسول ﷺ فلأن النبي ﷺ قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**[(١)]» وبإجماع المسلمين أن عثمان رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، وأما كونه قدحًا بالخلفاء الراشدين، فهو قدح بعثمان رضي الله عنه وهو منهم، والقادح في واحد منهم قادح في الجميع، كما أن المكذب للرسول الواحد مكذب لجميع الرسل، وأما كونه قدحًا بالصحابة؛ فلأن الصحابة لم ينكروا على عثمان رضي الله عنه مع أنه لو أخطأ لأنكروا عليه كما أنكروا عليه الإتمام في «منى» في الحج، فهل هؤلاء المتحذلقون أعلم بشريعة الله وبمقاصد الشريعة من الصحابة؟!

= ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم(١٠٩٢).

(١) رواه أحمد في المسند(٤/ ١٢٦)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(٢٦٧٦)، وابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم(٤٢).

لكن صدق رسول الله ﷺ: «أن آخر هذه الأمة يلعن أولها ـ والعياذ بالله ـ ويقدح فيهم»[١]، فالأذان الأول للجمعة أذان شرعي بإشارة النبي ﷺ وسنة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وبإجماع الصحابة الإجماع السكوتي ولا عذر لأحد، وقطع الله لسان من يعترض على خلفاء هذه الأمة الراشدين وعلى الصحابة.

قد يقول قائل: لماذا لم يُشرّعه الرسول ﷺ والجمعة موجودة في عهده؟

والجواب: أن السبب هو أن الناس في عهد عثمان كثروا واتسعت المدينة، واحتاجوا إلى أذان ينبههم يكون قبل الأذان الأخير الذي يكون عند مجيء الإمام فكان من الحكمة أن يؤذن، وقد بنى عثمان رضي الله عنه على أساس: فها هو النبي ﷺ يأمر بلالاً أن يؤذن في آخر الليل لا لأن الصلاة حلت ـ صلاة الفجر ـ ولكن ليوقظ النائم ويرجع القائم، فهو مقصد شرعي، ولا إشكال في شرعية الأذان الأول ليوم الجمعة، فهو مشروع بسنة الخلفاء الراشدين وإيماء سيد المرسلين محمد ﷺ وإجماع الصحابة الذين أدركوا هذا، أما الأذان في آخر الليل فإنه مشروع بسنة النبي ﷺ في رمضان لإيقاظ النائم، وإرجاع القائم، لكن هل يشرع في غير رمضان؟ نقول: لعله قياسًا على فعل عثمان رضي الله عنه نرى أنه لا بأس به.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم(٢٢١٠)، وابن ماجه: المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، رقم(٢٦٣).

وها هنا مسألة ثانية «الصلاة خير من النوم»: زعم بعض المتأخرين أنها تُقال في الأذان الأول الذي قبل الفجر، وأخطأوا خطأً عظيمًا، لأن النبي ﷺ أمر بلالاً أن يقول: «الصلاة خير من النوم» في أذان الفجر، قال: «إذا أذنت بالأول لصلاة الصبح فقل: الصلاة خير من النوم»[١]. ومعلوم أن الأذان للصلاة لا يكون إلا بعد دخول وقتها لقول النبي ﷺ: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم[٢]» وسُمّي أذانًا أولاً باعتبار الإقامة لأن الإقامة أذان ثان، كما قال النبي ﷺ: «بين كل أذانين صلاة[٣]» وجاء في صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فإذا أذن الأول للفجر[٤] ـ يعني: قام النبي ﷺ حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه لصلاة الفجر.

وهذا صريحٌ في أن أذان الفجر الأول هو ما يكون بعد دخول الوقت، وأما الأذان آخر الليل فليس أذانًا للفجر بل هو أذان للنائمين ليقوموا، وللقائمين ليرجعوا ويتسحروا إذا كان ذلك في وقت الصوم.

والأذان من أفضل الأعمال، وهو أفضل من الإمامة، يعني أن مرتبة المؤذن في الأجر أفضل من مرتبة الإمام، لأن المؤذن يعلن لتعظيم الله وتوحيده والشهادة للرسول بالرسالة وكذلك أيضًا يدعو الناس إلى الصلاة

---

(١) رواه أحمد في المسند(٣/ ٤٠٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب المكث بين السجدتين، رقم(٨١٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة، رقم(٦٢٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بين كل أذانين صلاة، رقم(٨٣٨).

(٤) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من انتظر الإقامة، رقم(٦٢٦)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد الركعات النبي ﷺ، رقم(٧٣٦).

وإلى الفلاح في اليوم والليلة خمس مرات أو أكثر، والإمام لا يحصل منه ذلك، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة[(١)]، ولهذا كان الأذان مرتبته في الشرع أعلى من مرتبة الإمامة.

فإن قال قائل: إذا كان كذلك لماذا لم يكن الرسول ﷺ يؤذن ولا الخلفاء الراشدون، أجاب العلماء عن هذا بأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كانوا مشغولين بمصالح العباد؛ لأنهم أئمة وخلفاء يدبّرون أمور الأمة، والأذان في عهد الرسول ﷺ ليس كالأذان في وقتنا، الآن إذا أراد الإنسان أن يؤذن ليس عليه سوى أن ينظر إلى الساعة ويعرف الوقت حل أو لم يحل، لكن في عهد الرسول ﷺ يراقبون الشمس ويتابعون الظل حتى يعرفوا أن الشمس قد زالت، وكذلك أيضًا يراقبونها حتى يعرفوا أنها غربت ثم يراقبون الشفق، ثم يراقبون الفجر، ففيه صعوبة، صعوبة عظيمة، لذلك كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون لا يتولون الأذان، لا لأن فضله أقل من الإمامة، ولكن لأنهم مشغولون بما هم فيه عن الأذان.

وقد بيَّن النبي ﷺ فضيلته بأن الناس «**لو يعلمون ما في النداء ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» سبحان الله العظيم فمعنى هذا أن الناس لو يعلمون ما في الأذان من فضل وأجر لكانوا يقترعون أيهم الذي يؤذن، بينما الناس الآن مع الأسف يتدافعونه.

هذا يقول: أذّن يا فلان، أذّن يا فلان..، فيقول: أنا والله صوتي ليس

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

حسنًا، أو ليس عاليًا. . ، أو يقول: إن ناسًا آخرين سوف يؤذّنون، فيثبطهم الشيطان عن فعل الخير، وها هو النبيّ ﷺ يقول: «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه** - يعني يقترعون عليه - **لاستهموا**»

فينبغي عليك إذا كنت في رحلة أن تحرص على أن تكون أنت المؤذن ومعلوم أن الرحلة لها أمير - سواء رحلة سفر أو نزهة - فلابد أن يكون هناك أمير فإذا رتّب الأمير شخصًا للأذان فليس لأحد أن يتقدم ويؤذن، لأنه صار مؤذّنًا راتبًا، وكذلك إذا قال لأحدهم: أنت الإمام، صار هو الإمام ولا أحد يتقدم عليه، لقول النبي ﷺ: «**لا يَؤُمّنَ الرجلُ الرجلَ في سلطانه إلا بإذنه**»(١)، وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح.

* * *

١٠٣٤ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ(٢)» رواه مسلم.

١٠٣٥ - وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ أنَّ أبَا سعيد الخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: «إنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ في غَنَمِكَ - أَوْ بَادِيتكَ - فَأَذَّنْتَ للصَّلاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلاَ إنْسٌ، وَلاَ شيءٌ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٣)» قال أبو سعيد سَمعتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه البخاري.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم(٦٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم(٣٨٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، رقم(٦٠٩).

الشــرح

هذان الحديثان ذكرهما المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب «فضل الأذان» عن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**» إذا بُعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة ليست لغيرهم وهم أنهم أطول الناس أعناقًا فيعرفون بذلك تنويهًا بفضلهم وإظهارًا لشرفهم، لأنهم ـ أي المؤذنين ـ يؤذنون ويعلنون بتكبير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح، يعلنونها من الأماكن العالية، فلهذا كان جزاؤهم من جنس العمل أن تعلو رءوسهم وأن تعلو وجوههم التي يتكلمون منها في هذا الأذان وذلك بإطالة أعناقهم يوم القيامة، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون مؤذنًا حتى لو كان في نزهة هو وأصحابه فإنه ينبغي أن يبادر لذلك، وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**».

وكذلك من فضيلة الأذان ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد يوم القيامة**»، وهذا أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويهًا بفضله وبيانًا لثوابه.

فالحاصل: أن الأذان له فضل عظيم، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون مؤذنًا إلا أنه إذا كان هناك مؤذن راتب فإنه لا يحل لأحد أن يتجاوز ويؤذن

عنه إلا إذا كان قد وكّله أو ما أشبه ذلك، يعني لا تظنوا أن الإنسان ينبغي له أن يبادر للمسجد ويؤذن قبل أن يحضر المؤذن الراتب، لأن هذا عدوان عليه، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يَؤمّنّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه إلا بإذنه**[(١)]» والله الموفق.

* * *

١٠٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حتَّى لا يَسْمَعَ التَّأذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا ـ لمَا لمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ ـ حَتَّى يَظلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى[(٢)]» متفقٌ عليه.

«التَّثْوِيبُ» الإقَامَةُ.

١٠٣٧ ـ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما أنه سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ النداء المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلاَّ لعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ[(٣)]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من أحقُّ بالإمامة، رقم(٦٧٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، فضل التأذين، رقم(٦٠٨)، ومسلم: كتاب الصلاة، فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم(٣٨٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم(٣٨٤).

الشــرح

هذه الأحاديث أيضًا في فضل الأذان: منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط كراهة أن يسمع ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، الذي يخنس عند ذكر الله ـ عزَّ وجلّ ـ ويختفي ويبعد، لأن الشيطان أكره ما عنده عبادة الله، وأبغض ما عنده من الرجال عباد الله، وأحب ما يحب الشرك بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ والمعاصي، لماذا؟ لأنه يأمر بالفحشاء: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فيحب من الناس أن يأتوا ما لم يأمر الله به، ويكره منهم أن يأتوا ما أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فإذا أذن المؤذن ولّى وأبعد عن مكان الأذان حتى يخرج بعيدًا عن البلاد لئلا يسمع الذكر، فإذا انتهى الأذان أقبل حتى يغوي بني آدم، فإذا ثُوِّب يعني أقيمت الصلاة فإنه في حال الإقامة أيضًا يُولّي ويُدبر، ثم إذا فرغت الإقامة أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه يعني يحول بين المرء وقلبه في صلاته: يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، اذكر كذا يُذكّره بأشياء قد نسيها وهذا أمر يشهد له الواقع فإن الإنسان أحيانًا ينسى أشياء فإذا دخل في الصلاة فتح الشيطان عليه باب التذكر حتى جعل يذكرها، ويُذكر أن رجلاً اشتكى إلى آخر وقال له: إنه استودع وديعة ـ يعني عظيمة ـ ونسيها، فقال له اذهب فتوضأ فصلِّ ركعتين وستذكرها، ففعل الرجل، فذكرها، ذكّره إياها الشيطان.

وصدق رسول الله ﷺ حيث أراد في هذا الحديث فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: بيان فضل الأذان، وأنه يطرد الشياطين، ولهذا استحب كثير من العلماء إذا وُلد المولود أول ما يولد أن يؤذن في أذنه حتى يطرد الشيطان عنه، وبعض أهل العلم يقول: يؤذن في أذنه حتى يكون أول ما يسمع ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وعلى كل حال، فالأذان يطرد الشياطين، ولكن هل إذا أذن الإنسان في غير وقت الأذان هل يطرد الشياطين؟ الله أعلم، لكن ذكر الله على سبيل العموم يطرد الشياطين، لأن معنى الخناس الذي يخنس عند ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

أما الحديث الثاني: ففضيلته أن النبي ﷺ أمر إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول: إذا قال: الله أكبر، نقول: الله أكبر، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، نقول: أشهد أن لا إله إلا الله؛ وإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، نقول: أشهد أن محمد رسول الله... إلخ، إلا (حي على الصلاة، حي على الفلاح) فلا نقول، لأننا نحن مدعوون والمؤذن داعٍ، فلا يصح أن نقول (حي على الصلاة) وهو يقول: (حي على الصلاة) لكننا نقول كلمة الاستعانة وهي (لا حول ولا قوة إلا بالله) وإذا قال: (حي على الفلاح) نقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وهذه الكلمة تعني أننا عزمنا على الإجابة، يعني نجيب، ولكننا نستعين بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا أقول: إن هذه الكلمة كلمة استعانة تعين الإنسان على أموره، فإذا قالها أعانته على أموره وعلى صلاح أحواله.

ولهذا قال الرجل المؤمن في قصة صاحبيَ الجنتين لصاحبه: ﴿ وَلَوْلَآ

﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. يعني: لكان خيرًا لك ولسلمت جنتك من التلف، فهذه الكلمة كلمة عظيمة حتى قال النبي ﷺ لعبد الله بن قيس - أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**» قال: بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»(١) فإذا قال المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا قال في أذان الفجر: «الصلاة خيرٌ من النوم». نقول: «الصلاة خيرٌ من النوم»، كما يقول وإذا قال: الله أكبر، قلنا: الله أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله، قلنا: لا إله إلا الله، ثم بعد ذلك نصلي على النبي ﷺ نقول: اللهم صل على محمد، فإن من صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم نسأل الله له الوسيلة: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد. فإذا صلينا على النبي، وسألنا الله له الوسيلة حلت لنا الشفاعة - يعني شفاعة النبي ﷺ - يعني صرنا من أهل شفاعته.

وما هي الوسيلة؟ هي درجة في الجنة عالية أعلى ما يكون، لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، قال النبي ﷺ: «**وأرجو أن أكون أنا هو**» وهذا الرجاء - إن شاء الله تعالى - سيكون محققًا؛ لأننا نعلم أن أفضل الخلق

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم(٦٤٠٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم(٢٧٠٤).

عند الله محمد ﷺ، ولأن أمة محمد تدعو الله تعالى بذلك بعد كل أذان، والدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردّ، كل الأمة تقول: (اللهم آت محمدًا الوسيلة، وجدير بأمة محمد ﷺ ـ بإذن الله ـ إذا دعت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يُؤتيَ محمدًا الوسيلة أن يقبل الله منها، ولهذا قال: «**أرجو أن أكون أنا هو** ﷺ».

إذًا ينبغي لنا إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول، حتى لو كنت تقرأ، اقطع القراءة وأجب المؤذن، وإذا فرغت أقبل على قراءتك، واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ فيما إذا كان الإنسان يُصلي: هل إذا كان الإنسان يُصلي يتابع المؤذن ويجيب المؤذن؟ فقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ نعم، ولو كنت تصلي، تابعه لأن الأذان ذكر لا يبطل الصلاة.

والنبي ﷺ يقول: إذَا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ولم يستثن حالاً من الأحوال، ولكن أكثر العلماء يقولون: إذا كنت تصلي لا تُجب المؤذن، لأن الصلاة فيها شغل يعني شغل خاص بالصلاة، والأذان طويل يعني يشغلك كثيرًا عنها، ولكن لو عطست وأنت تصلي فقل: الحمد لله، لأنها كلمة واحدة لا تشغلك عن الصلاة، أما إجابة المؤذن فطويلة فلا تجب المؤذن، ولكن إذا فرغت من الصلاة فأجب المؤذن، لأنك سكت اشتغالاً بصلاتك، كذلك إذا كنت على قضاء الحاجة يعني أن الإنسان يبول أو يَتغوط، وأذن المؤذن فلا يُجب المؤذن؛ لأن هذا ذكر، لكن إذا فرغت وخرجت من المرحاض أجب المؤذن، وقيل: بل يجيبه بقلبه، يتابع المؤذن بقلبه، لكن هذا فيه نظر، لقول الرسول ﷺ: «**فقولوا مثل ما يقول**» والمتابعة

بالقلب ليست قولاً، كذلك لو سمعت عدة مؤذنين فهل تجيب كل مؤذن؟ أو تجيب مَنْ أَذَّن أوّلاً فتتابعه وتسكت؟ نقول إذا كانوا يؤذنون في صوت واحد بمعنى أن يبدأ الثاني قبل أن يتم الأول فاشتغل بالأول وكمّل معه ولا تتابع الثاني لأنك مشغول بإجابة الأول، أما إذا سمعت الثاني بعد انتهاء الأول فتابعه، يعني مثلاً لما كمّل المؤذن الأول الأذان سمعت مؤذنًا بدأ من جديد فتابعه لأنه خير، وهو داخل في عموم قول الرسول ﷺ: «**فقولوا مثل ما يقول المؤذن**».

لكن العلماء ـ رحمهم الله ـ قيّدوا هذا فيما إذا لم يكن قد صلّى، فإن كان أذّن وصلى، ثم بعد ذلك سمع أذانًا قالوا، فلا يجبه، لأنه غير مدعو بهذا الأذان، فقد أدّى ما فُرض عليه فلا يحتاج أن يتابع المؤذن، ولكن في هذا القول نظر؛ لأنه مخالف لعموم قول النبي ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن**» ولم يستثن شيئًا، وقولهم: إنه غير مدعو بهذا الأذان، نقول إنه الآن غير مدعو بهذا الأذان لكن في المستقبل لابد أن يُدْعى للصلاة، والأمر هنا سهل نقول: أجب المؤذن ـ ولو كنت قد صلّيت ـ وأنت على خير، ولا يضرك شيء. والله الموفق.

* * *

١٠٣٨ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ[1]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي، رقم(٦١١)، ومسلم: =

١٠٣٩ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ[١]» رواه البخاري.

١٠٤٠ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: مَنْ قَال حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرسُولُهُ، رَضِيتُ بالله ربًّا، وبمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وبالإسْلامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ[٢]» رواه مسلم.

١٠٤١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ «الدُّعَاءُ لا يُردُّ بَيْنَ الأذَانِ والإقَامَةِ[٣]» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه الأحاديث بقية «باب فضل الأذان» ساقها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ، ومنها: قول النبي ﷺ: **«إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»**، ومنها: **«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة**

= كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن عن سمعه، رقم(٣٨٣).

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم(٦١٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم(٣٨٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١١٩)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، رقم(٥٢١)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، رقم(٣٥٩٥).

والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد»، ومنها: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً» ومنها: «أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردّ»

فأما الحديث الأول فقد سبق الكلام عليه أنه ينبغي للإنسان إذا سمع النداء أن يقول مثل ما يقول المؤذن إلا إذا قال المؤذن: «حي على الصلاة، حي على الفلاح» فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ كما بينا من قبل.

وأما الحديث الثاني: من قال حين يسمع النداء: يعني: وفرغ المؤذن، كما دلَّ عليه الحديث السابق، إذا فرغ المؤذن فإنك تُصلّي على النبي ﷺ ثم تقول: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد**». «**اللهم رب هذه الدعوة التامة**»: هي الدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح؛ لأن ذلك من أتم ما يكون من الدعوات.

و «**الصلاة القائمة**» يعني: الصلاة التي ستقام؛ لأن النداء إعلام بدخول وقت الصلاة.

«**آت محمدًا الوسيلة والفضيلة**»: يعني أعطه الوسيلة وهي درجة في الجنة أعلى ما يكون من درجات الجنة وهي للنبي ﷺ.

«**والفضيلة**» يعني الميزة والرتبة العالية على غيره عليه الصلاة والسلام وقد حصل له ذلك.

«**وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته**» وقد وعده الله ذلك في قوله:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ومن هذا المقام المحمود الشفاعة العظمى، فإن الناس يوم القيامة يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون في ذلك الموقف العظيم الذي مقداره خمسون ألف سنة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، عارية أجسادهم، حافية أقدامهم، شاخصة عيونهم، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، الشمس تدنو منهم قدر ميل(١)، ولا هناك عوج ولا أمت ولا ظل، ولا بناء ولا شيء، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله، فيأتون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تصل إلى النبي ﷺ فيقوم ويشفع(٢)، وفي هذا المقام يحمده الأولون والآخرون، لأن الناس كلهم في هذا المقام، فإذا تعذر الأنبياء الكرام الكبار: إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وآدم أبو البشر ثم قام هذا النبي الكريم فشفع إلى الله فهنا يحمده الأولون والآخرون، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله ـ عزَّ وجلَّ ـ؛ ثم إن هذا الحديث رواه البخاري إلى قوله: الذي وعدته، لكن قد صحت الزيادة: «**إنك لا تخلف الميعاد**(٣)» فينبغي أن يقولها الإنسان؛ لأنها صحيحة، ولأن هذا دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٤).
(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم(١٩٣).
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠).

فهو ـ جلَّ وعلا ـ لا يخلف الميعاد لكمال صدقه وكمال قدرته ـ جلَّ وعلا ـ، وإخلاف الوعد إما أن يكون عن كذب من الواعد، وإما أن يكون عن عجز منه، والله ـ جلّ وعلا ـ أصدق القائلين وأقدر القادرين، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ وعد نبيه في قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهو جلَّ وعلا ـ صادق في وعده، قادر على تنفيذه.

أما من قال ـ حين يسمع النداء ـ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً**»، فهذه تقال إذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، وقُلتَ معه فقل: «**رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**».

أما آخر أحاديث الباب ففيه الحث على الدعاء بين الأذان والإقامة، وأن الدعاء بين الأذان والإقامة حري بالإجابة، فينبغي أن تنتهز هذه الفرصة فتدعو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بين الأذان والإقامة، لعل الله أن يستجيب لك. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٨٧- باب فضل الصلوات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الشــرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب فضل الصلوات.

الصلوات: هي عبادات معلومة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأنفع أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي صلة بين الإنسان وبين ربه؛ لأن الإنسان يقوم بين يدي الله عزَّ وجلَّ يناجيه، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فيقول الله: «**حمدني عبدي**»، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فيقول الله: «**أثنى علي عبدي**». ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيقول الله عزَّ وجلَّ: «**مجّدني عبدي**»، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيقول الله: «**هذا بيني وبين عبدي نصفين**»، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فيقول: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل[1]» محاورة ومناجاة.

ثم هي أيضًا أفعال وأقوال كلها تعظيم من حين ما يبدأ الإنسان وهو يقول: الله أكبر. يعني أكبر من كل شيء علمًا وسلطانًا وكبرياء وجبروتًا، وكل شيء السموات السبع والأرضون السبع في كفه كخردلة في كف

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم(٣٩٥).

أحدنا يَطوي الله هذه السموات على عظمها، يطويها بيمينه ـ عزَّ وجلَّ ـ ويقبض الأرض على كبرها كقبضة أحدنا بيده على الشيء، فكل المخلوقات ليست إليه بشيء، فالله أكبر.

ثم يناجيه بكلامه ثم ينحني تعظيمًا له بفعله، ويعظمه بلسانه يقول: سبحان ربي العظيم، ثم يرفع ثم يسجد وهذا الرفع من أجل الفصل بين ركن التعظيم وركن الذل ركن التعظيم هو الركوع، وركن الذل هو السجود، ولهذا قال النبي ﷺ: «أما الركوع فعظِّموا فيه الرب».

ثم يسجد ذلاً لله وخضوعًا فيضع أشرف ما به على مستوى أقدامه التي هي أسفل ما به، ويضع جبهته على الأرض ذلاً لله وخضوعًا له ـ عزَّ وجلَّ ـ ثم يقول (سبحان ربي الأعلى) تنزيهًا لربه ـ سبحانه وتعالى ـ عن السفول، فالإنسان الآن في سفل، وجهه في الأرض فيقول: (سبحان ربي الأعلى)، كأنما يقول: سبحان من تنزه عن السفول، فكان أعلى وفوق كل شيء ـ جل وعلا ـ

فالصلاة عبادة عظيمة ـ نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم حتى نعرف قدرها ـ، ويدلك على فضلها وعظمها ومحبة الله لها أنه ما من فريضة فُرضت على الرسول ﷺ إلا بواسطة الوحي إلا الصلاة، فرضها الله على رسوله من الله إلى الرسول كفاحًا له كلّمه بها، وفرضها عليه في أعلى مكان يصل إليه البشر، وفرضها عليه في أشرف ليلة كانت لرسول الله ﷺ وهي ليلة المعراج، وفرضها عليه عددًا كبيرًا، خمسين صلاة في اليوم والليلة؛ لأن الله يحبها، ولأن ثوابها عظيم، ولكن من لطف الله أن خففها حتى

صارت خمس صلوات عن خمسين صلاة ـ اللهم لك الحمد ـ .

والصلاة لها ثمرات جليلة عظيمة منها:

١ ـ ما ذكره الله تعالى في الآية التي صدر بها المؤلف هذا الباب ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الفحشاء: فواحش الذنوب كالزنا واللواط وما أشبهها.

والمنكر: ما دون ذلك.

ولكن متى تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر؟ والجواب إذا كانت صلاة مقامة على الوجه الأكمل، ولهذا فكثيرًا لا نجد القلوب تتغير أو تكره الفحشاء أو المنكر بعد الصلاة، أو يكون الإنسان بعد الصلاة خيرًا منه قبلها، لا نجد هذا لماذا؟ لأن الصلاة التي نصليها ليست الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإلا فكلام الله حق، ووعده صدق، الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

إذا كنت قد هممت بسيئة أو كان قلبك يميل إلى المعاصي فإنك إذا صليت انمحى ذلك كله، لكن بشرط أن تكون الصلاة التي تراد منك والتي تريدها أنت لله ـ عزَّ وجلَّ ـ صلاة أكمل ما يكون، ولهذا يجب علينا ـ ونسأل الله أن يعيننا ـ يجب علينا أن نعتني بصلاتنا، نكملها بقدر المستطاع بجميع أركانها وشروطها وواجباتها ومكملاتها، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

قال بعض السلف: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدًا ـ نسأل الله العافية ـ، لأنها ليست الصلاة المطلوبة منَّا، الصلاة المطلوبة منَّا أن تكون صلاة بمعنى الكلمة، كان بعض السلف إذا دخل في

صلاته لا يحس بشيء، ويغيب عن كل شيء إلا عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

حتى إن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ وهو من فقهاء التابعين أصابت أحد أعضائه آكلة ـ والآكلة جروح تتقرح حتى تقضي على الجسم كله ـ فقرر الأطباء أن تقطع رجله، حتى لا تسري الآكلة إلى بقية البدن، وكان في ذلك الوقت لا يوجد إمكانيات للتخدير فقال: أمهلوني حتى أدخل في صلاتي. فلما دخل في صلاته قطعوا رجله، فلم يحس بها؛ لأن قلبه منشغل مع الله، والقلب إذا انشغل لن يحس بما يصيب البدن، انظر إلى الحمالين ـ مثلاً ـ يُحمّلون البضائع أو يُنزلونها فيصاب أحدهم بجرح في يده أو في رجله مع التحميل ولا يحس به، لأنه مشغول، فإذا انتهى من العمل أحس بالجرح.

فالإنسان في صلاته لابد أن يكون مع الله ـ عزَّ وجلّ ـ ولا يذهب قلبه يمينًا وشمالاً كما هي العادة عند كثير منَّا، ولا تتسلط الهواجس ولا الوساوس التي هي بلا أصل ولا فرع إلا إذا دخل الإنسان في الصلاة، يقول الشيطان له: اذكر كذا، اذكر كذا، افعل كذا، لا تفعل كذا وهذا يخل بالصلاة، فلربما ينصرف الإنسان وليس له من صلاته شيء وإن كانت تبرأ الذمة لكن ما أدرك شيئًا منها، وكان عمر رضي الله عنه يجهز جيشه في الصلاة(١)، فأخذ البطالون من هذا أنه لا بأس أن الإنسان يهوجس في صلاته - يوسوس وما إلى ذلك - لأن عمر جهز الجيش، فيفعل ويترك.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب يُفْكِر الرجلُ الشيء في الصلاة، ترجمة الباب.

لكن تجهيز الجيش جهاد في سبيل الله والجهاد في سبيل الله يجوز أن يدخل على الصلاة، ولهذا نجد أن الله شرع للمسلمين صلاة الخوف، صلاة الخوف فيها أفعال لا تُفعل في غير صلاة الخوف، كما هو معروف لطلاب العلم، فعمر رضي الله عنه يجهز جيشه في صلاته - وهو حاضر القلب - لم يذهب قلبه يمينًا ولا شمالاً، لأنه يعبد الله - عزَّ وجلَّ - وإن كان يجهز الجيش وهو يصلي، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر وأن يتقبل منَّا ومنكم إنه على كل شيء قدير.



١٨٧- باب فضل الصلوات

١٠٤٢ - وَعَنْ أَبِي هُرِيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكم يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ» قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا[(١)]» متفقٌ عليه.

١٠٤٣ - وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ[(٢)]» رواه مسلم.

١٠٤٤ - وَعَنِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنَ امْرَأةٍ قُبْلَةً فأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ[(٣)]» متفقٌ عَلَيْه.

«الغَمْرُ» بفتحِ المعجمةِ: الكثيرُ.

١٠٤٥ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «الصَّلواتُ

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم(٥٢٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وتُرفع. . .، رقم(٦٦٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وتُرفع. . .، رقم(٦٦٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم(٥٢٦)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، رقم(٢٧٦٣).

الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَة، كفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، ما لم تُغشَ الكَبَائِرُ[١]» رواه مسلم.

١٠٤٦ ـ وعن عثمَانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مِن امْرِىءِ مُسْلِمٍ تَحضرُهُ صَلاةٌ مَكتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وضوءها، وَخُشوعَهَا، وَرُكوعَهَا، إلاَّ كانت كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذّنُوبِ ما لَمْ تُؤْتَ كَبِيرةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كلَّهُ[٢]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث من فضائل الصلوات فقد شبّه النبي ﷺ الصلوات بنَهْرٍ غَمرٍ جارٍ. النهر الغمر: الكثير الماء. الجاري: معروف يعني: ضد الراكد، يغتسل منه الإنسان في اليوم خمس مرات فهل يبقى من وسخه شيء؟

الجواب: لا يبقى من وسخه شيء، فهكذا الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا حتى يبقى الإنسان طاهرًا نقيًّا من الخطايا، ولكن كما أسلفنا فيما مضى أن هذا في الصلوات التي يتمها الإنسان، يتمّها ويحققها ويحضر قلبه، ويشعر بأنه يناجي الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا تمت الصلاة على المطلوب حصل هذا الثواب العظيم، أن الله يمحو بها الخطايا.

وكذلك أيضًا من فضائل الصلوات الخمس أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينها ما لم تُغْشَ الكبائر ـ يعني: ما لم

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، رقم(٢٣٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم(٢٢٨).

تُفعل ـ فالصلوات الخمس تكفر الصغائر ولكنها لا تكفّر الكبائر، فالغش مثلاً في المعاملات كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ تبرّأ من فاعله فقال: «**من غشَّ فليس منِّي**(١)».

فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس وهو غاشّ؛ فإن الغش لا يُكفّر؛ لأنه كبيرة من كبائر الذنوب، الحلف الكاذب في السلعة يقول والله لقد أعطيت بها كذا وهو كاذب، أو والله إنها من النوع الفلاني وهو كاذب، هذا أيضًا من كبائر الذنوب، كما قال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان، والمسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**(٢)» كذلك لو كان الإنسان ينزل ثوبه خيلاء فإن هذا من كبائر الذنوب فإنه لا يكفر عنه ذلك إذا صلى، بل لو أنزله إلى ما دون الكعب يعني: أسفل من الكعب ـ ولو لم يكن خيلاء ـ فإنه من كبائر الذنوب فلا يغفر له بصلاته، .لو صلى لا يغفر له هذا الفعل؛ لأنه كبيرة، والغيبة أيضًا من كبائر الذنوب فإذا اغتاب الإنسان رجلاً واحدًا فقط بين صلاة الفجر وصلاة الظهر مثلاً فإن صلاة الظهر لا تكفر هذه الغيبة، لأن الغيبة من كبائر الذنوب، ولو كانت مرة واحدة لرجل واحد.

والغيبة هي التي يسميها العوام السبابة يعني: أن يذكر أخاه بما يكره،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبيّ ﷺ من غشنا فليس منا، رقم(١٠٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائة، رقم(٢٣٦٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم(١٠٦).

لأن النبي ﷺ سُئل عن الغيبة فقال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه**[١]». والغيبة تختلف آثامها باختلاف آثارها وعواقبها فمثلاً: اغتياب العلماء أشد من اغتياب العوام، واغتياب الأمراء يعني وُلاة الأمور أشد من اغتياب من دونهم، وبهذا نعرف أن هذه النشرات التي توزع بين الناس الآن أنها من الغيبة، وأن نشرها بين الناس من كبائر الذنوب، وأن الإنسان يأثم بها إثمًا عظيمًا؛ لأنها توجب أن يكره الناس من اغتيبوا في هذه الأوراق والنشرات، وأن يتمردوا عليهم، وتوجب أيضًا إيغار الصدور، وإحداث الفتن، فهي ـ والعياذ بالله ـ غيبة لولاة الأمور وهي من أكبر الآثام في الغيبة، فالذي ينشرها أو يصورها ويوزعها آثم فاعل كبيرة ـ والعياذ بالله ـ عليه إثمها وإثم كل من تأثر بها ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ، لأن هذه الأمور لا شكَّ أنها داخلة في الغيبة: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، ثم ما مصدر هذا الكلام، من قال: إن هذا الكلام صحيح، من يقول إنه صحيح؟ ولذلك يوجد في بعض هذه النشرات أشياء كلها كذب، فقد شاهدناها نحن أنها كذب وليست بصحيحة فتكون جامعة بين الغيبة، والبهتان ـ والعياذ بالله ـ.

وثالثًا: ماذا يترتب على نشر هذه الأوراق، هل تصلح الأمور؟ هل يقلع الناس عما وُصفوا به في هذه النشرات؟ أبدًا. لا يزيد الأمر إلا شدة،

---

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم(٢٥٨٩).

لذلك نرى أن توزيع مثل هذه النشرات في غيبة ولاة الأمور نرى أنه من كبائر الذنوب، وأن الإنسان آثم إذا نشرها أو صورها أو وزعها بين الناس لما فيها من انطباق حقيقة الغيبة عليها، لأن حقيقة الغيبة «**ذكرك أخاك بما يكره**»، وهذا لا شك أنه من ذكرك أخاك بما يكره، ثم يتولد على هذه الغيبة مفاسد عظيمة ليست كما لو اغتبت زيدًا أو عمرًا فالأمر يكون عليه شخصيًا، لكن هذا يترتب عليه ضرر على المغتاب شخصيًا، وضرر على الأمن، لأنه يوجب إيغار الصدور وكراهة ولاة الأمور، فنحن نحذر من نشر هذه الأوراق، ونرى أن من شارك في نشرها أو توزيعها فإنه آثم فاعل كبيرة من كبائر الذنوب ولو كنا نعلم أن الأمور ستصلح بمثل هذا لكان الأمر هينًا، ولكن الأمور لا تصلح، ولا تزداد إلا احتكاكًا وكراهة لولاة الأمور وهو شر مستطير.

نسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجازي من حاول نشرها بما يستحق إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



١٨٨ ـ باب فضل صلاة الصبح والعصر

١٠٤٧ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّة[١]» متفقٌ عليه.

«البَرْدَانِ»: الصُّبْحُ وَالعَصْرُ.

١٠٤٨ ـ وعن أبي زهيْرٍ عُمَارَةَ بن رُؤَيْبَة رضي الله عنه قالَ: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّار أَحَدٌ صَلَّى قبل طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي الفَجْرَ والعَصْرَ[٢]» رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل صلاة الصبح، وصلاة العصر، هاتان الصلاتان تميزتا بفضلٍ ليس في غيرهما: أما الفجر فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. يشهده الله وملائكته، وهذه فضيلة عظيمة، واختصت أيضًا بأنها مفصولة عن الصلوات الخمس منفردة بوقتها، فبينها وبين صلاة العشاء نصف الليل الأخير، وبينها وبين صلاة الظهر نصف النهار الأول، لأن وقت العشاء ينتهي بنصف الليل ولا يمتد إلى طلوع الفجر، فإذا انتصف الليل خرج وقت صلاة العشاء وبقي

---

(١) رواه البخاري: كتاب المواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم(٥٧٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(٦٣٥).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(٦٣٤).

هذا النصف إلى الفجر ليس وقتًا لصلاة مفروضة، لكنه وقت التهجد لمن وفقه الله ـ عزَّ وجلّ ـ، أما من طلوع الشمس إلى زوال الشمس فهو أيضًا ليس وقتًا لصلاة مفروضة وإنما هو وقت لصلاة مطلقة كصلاة الضحى وما أشبه ذلك، فتميزت بأنها مشهودة وبأنها منفردة بوقتها لا يتصل بها ما قبلها، ولا تتصل بما بعدها، أما صلاة العصر فتميزت بأنها الصلاة الوسطى، فإن الصلاة الوسطى بنص الحديث عن النبي ﷺ هي صلاة العصر(١)، وتميزت بأن الله تعالى نوه بفضلها وشرفها حيث خصها بالذكر بعد أن عمّم فقال: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، هذا عام ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ يعني: صلاة العصر فخصها بالذكر لفضيلتها، وهناك فضائل وميزات اشتركت فيها صلاة الفجر وصلاة العصر، منها ما أشار إليه المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب.

الأول: أن من صلى البردين دخل الجنة، **والبَرْدان هما**: صلاة الفجر وصلاة العصر؛ لأن الفجر تأتي في براد الليل أبرد ما يكون من الليل في آخره، والعصر تأتي في براد النهار أبرد ما يكون النهار في آخره، فلذلك قال ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**».

الثاني: وكذلك أخبر النبي ﷺ: «**أنه لا يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**» يعني: صلاة الفجر، وصلاة العصر.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم(٢٩٣١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، رقم(٦٢٧).

ففي الأول: إثبات دخول الجنة.

وفي الثاني: انتفاء دخول النار.

فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؛ نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المحافظين على الصلوات، والصلاة الوسطى وأن يُحَرِّمَنا على النار ويدخلنا الجنة إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٤٩ ـ وعن جُنْدُبِ بنِ سُفيَانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ في ذمةِ اللهِ فَانْظُرْ يَا ابنَ آدَمَ، لا يَطلُبَنَّك اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بشيءٍ[(١)]» رواه مسلم.

١٠٥٠ ـ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَتَعَاقَبُون فيكم مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ في صَلاةِ الصُّبْحِ وَصَلاةِ العَصْرِ، ثمَّ يَعْرُجُ الَّذِين بَاتُوا فِيكم، فَيَسأَلُهُمْ اللهُ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ كَيْفَ تَرَكتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّون، وأَتيناهُمْ وَهُمْ يُصلُّون[(٢)]» متفقٌ عليه.

١٠٥١ ـ وعن جَريرِ بن عبدِ اللهِ البَجَلي رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ،

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم(١٠٥٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢٢)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(١٠٠١).

فَنَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ فقال: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ لا تُضَامُونَ في رُؤيَتِهِ، فَإنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْل طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبها فافْعَلُوا[1]» متفقٌ عليه.

وفي رواية: «فَنَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ».

١٠٥٢ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلاةَ العَصْر فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ[2]» رواه البخاري.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضيلة صلاة الفجر، وصلاة العصر فمنها:

الحديث الأول: أن النبي ﷺ قال: «**من صلى الفجر فهو في ذمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ**» يعني: في عهده وأمانه «**فلا يطلبنكم الله في ذمته بشيء**» يعني: لا تغدوا، ولا تعملوا عملاً سيئًا فيطالبكم الله تعالى بما عهد به إليكم، وهذا دليلٌ على أن صلاة الفجر كالمفتاح لصلاة النهار، بل لعمل النهار كله، وأنها كالمعاهدة بين الله وبين العبد في أن يقوم العبد بطاعة ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ ممتثلاً لأمره، مجتنبًا لنهيه.

ومن فضائل صلاة الفجر، وصلاة العصر:

١ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكَّل بالعباد ملائكة معقبات يتعاقبون فينا

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، رقم(١٠٠٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر، رقم(٥٢٠).

يحفظوننا من أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ثم يصعد الذين باتوا فينا إلى الله ـ عزَّ وجلّ ـ فيسألهم ـ وهو سبحانه وتعالى أعلم ـ: «**كيف تركتم عبادي؟**» يسألهم ذلك إظهارًا لشرف العباد، وتنويها بفضلهم، وليس خفاء على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يعلم السر وأخفى، لكن لإظهار فضيلتهم، يسألهم: «**كيف تركتم عبادي؟**» فيقولون: (**أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**) لأنهم يأتون في أول الليل وفي أول النهار فيتعاقبون في صلاة الفجر وصلاة العصر: هؤلاء ينزلون وهؤلاء يصعدون، وقيّد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقت نزولهم وصعودهم بهاتين الصلاتين لفضلهما؛ لأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى، وصلاة الفجر هي الصلاة المشهودة.

٢ ـ ومن ذلك أيضًا ـ من فضائل صلاة الفجر وصلاة العصر ـ ما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ (فنظر إلى القمر ليلة البدر ـ ليلة الرابع عشر ـ فقال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**» يعني يوم القيامة يراه المؤمنون في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر، ليس المعنى أن الله مثل القمر؛ لأن الله ليس كمثله شيء، بل هو أعظم وأجل ـ عزَّ وجلَّ ـ وقد قال النبي ﷺ فيما صح عنه: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**[(١)]» لكن مُراد النبيّ ﷺ من المعنى تشبيه الرؤية بالرؤية، يعني: فكما أننا نرى القمر ليلة

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام، رقم(٢٦٣).

البدر رؤية حقيقية ليس فيها اشتباه فإننا سنرى ربنا ـ عزَّ وجلَّ ـ كما نرى هذا القمر رؤية حقيقية بالعين ـ بالبصر ـ بدون اشتباه.

واعلم أن ألذ نعيم وأطيب نعيم عند أهل الجنة ـ وأسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم ـ هو النظر إلى وجه الله فلا شيء يعدله، ولهذا قال ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، فسَّرها النبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله.

﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ اسم تفضيل مؤنث يقابله «أحسن» في المذكر، فالزيادة: زيادة على الأحسن وهي النظر إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فيقول رسول الله ﷺ لما ذكر أننا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر ـ قال: «فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا» والمراد من قوله: «استطعتم على هذه الصلاة» أي على أن تأتوا بها كاملة، ومنها أن تصلى في جماعة «إن استطعتم ألا تغلبوا على هذا فافعلوا» وفي هذا دليلٌ على أن المحافظة على صلاة الفجر، وصلاة العصر من أسباب النظر إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويالها من قيمة عظيمة، يا لها من ثمن ومثمن، حافظ على صلاة الفجر وصلاة العصر تنظر إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة في جنات النعيم.

فلهذا قال: «إن استطعتم ألا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس ـ يعني الفجر ـ وصلاة قبل غروبها ـ يعني العصر ـ فافعلوا».

٣ ـ ومن ذلك أيضًا ـ من فضائل صلاة العصر خاصة ـ أن من تركها فقد حبط عمله؛ لأنها عظيمة، فإذا تركتها حبط عملك، وقد استدل بهذا بعض

العلماء على أن من ترك صلاة العصر كفر؛ لأنه لا يُحبط الأعمالَ إلا الردةُ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيقول بعض العلماء: صلاة العصر خاصة من تركها فقد كفر، وكذلك من ترك بقية الصلوات عمومًا فقد كفر، وهذا القول ليس ببعيد من الصواب؛ لأن حبوط العمل لا يكون إلا بالكفر ـ والعياذ بالله ـ والردة، ففي هذا دليلٌ على عظم شأن هذه الصلاة ـ صلاة العصر ـ ولذلك نصَّ الله على المحافظة عليها من بين سائر الصلوات فقال: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، يعني: صلاة العصر ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ والله الموفق.



١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

١٠٥٣ - عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ غَدَا إلى المسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ الله لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٠٥٤ - وعنه رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَريضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خُطُوتاهُ، إحْدَاهما تحطُّ خَطِيئَةً، والأخرى تَرْفَعُ دَرَجَةً[(٢)]» رواه مسلم.

١٠٥٥ - وعن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ رجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لا أَعْلَم أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ! فَقيل له: لو اشتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكبُه في الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ قالَ: ما يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلي إلى جَنْبِ المسْجِدِ، إنِّي أُريدُ أَنْ يُكْتَبَ لي مَمْشَايَ إلى المسجدِ، ورجُوعي إذا رَجَعْتُ إلى أهْلِي. فقالَ رسول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّه[(٣)]» رواه مسلم.

١٠٥٦ - وعن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المسْجد، فأرادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنتَقِلوا قُرْبَ المسْجِد، فَبَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ فقالَ لهم: «بَلَغَني أنَّكُمْ تُريدُونَ أَنْ تَنْتقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟!» قالوا: نعم يا رسول الله قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فقالَ: «بَنِي سَلَمَةَ ديارَكُم تُكْتَبْ آثارُكُمْ، ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ» فقالوا: ما يَسُرُّنَا أنَّا كُنَّا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد أو من راح، رقم(٦٢٢)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة، رقم(١٠٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة، رقم(١٠٧٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٥).

تَحَوَّلنا[١]». رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل المشي إلى المساجد.

المشي إلى المساجد: يعني: الصلاة فيها، والمشي إلى المساجد يكون لأسباب متعددة، يكون مثلاً لحضور درس، أو لأجل أن يقرأ فيها القرآن، أو لإصلاح شيء فيها، أو غير ذلك، لكن من جاء إلى المساجد للصلاة فهذا هو المقصود في هذا الباب، ففي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح**».

«**غدا**»: يعني ذهب في الصباح، و«**راح**»: يعني ذهب في العشي بعد الزوال، فإنه يُكتب له نزلٌ في الجنة كلما غدا أو راح.

ونحن ـ ولله الحمد ـ نغدو إلى المساجد ونروح في كل يوم وليلة خمس مرات فيُكتب للإنسان نزل في الجنة يعني: ضيافة في الجنة، كلما غدا أو راح، هذه من فضائل المشي إلى المساجد، ومن فضائل ذلك أيضًا أن الإنسان إذا تطهر في بيته وخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، ففي الحديث الذي ساقه المؤلف هنا أنه لم يخطُ خطوة إلا رفعه الله بها درجة وفي الخطوة الثانية يحط عنه بها خطيئة، لكن في حديث آخر «**أنه لا يخطو**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب كراهية النبي ﷺ أن ....، رقم(١٧٥٤)، ومسلم: كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٨).

خطوة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة[١]» فيكتسب في الخطوة الواحدة رفع الدرجة وحط الخطيئة بشرط أن يتوضأ في بيته ويسبغ الوضوء ثم يخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، فهذا له بكل خطوةٍ يخطوها أن يرفع الله له بها درجة ويحط عنه بها خطيئة، وهذه نعمة عظيمة من الله ـ عزَّ وجلّ ـ.

ومن **فوائد ذلك**: أنه ينبغي للإنسان أن يأتي إلى المسجد ماشيًا ويرجع ماشيًا هذا هو الأفضل، ودليل ذلك قصة الأنصاري الذي كان بعيد الدار فقيل له: «لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء» فقال: لا أشترى ، أنا أحتسب على الله خطاي ذاهبًا وراجعًا، فقال النبي ﷺ: «**قد كتب الله لك ذلك كله**» فدل ذلك على أن المجيء إلى المسجد على قدميه أفضل من المجيء على مركوبه؛ لأنه يُحسب له أجر الخطا، ولكن إذا كان الإنسان معذورًا فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وخطوة السيارة دورة لعجلتها، إذا دار عجلها دورة واحدة فهذه تعتبر خطوة؛ لأنه عند دورانه يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية فإذا كان الإنسان معذورًا فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وتكون كل دورة للعجلة بمنزلة الخطوة، وهذا أيضًا من فضائل المشي إلى المساجد: أن الله تعالى يكتب للإنسان الخطوات كلما ذهب وكلما رجع.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٥).

ومما يدل على ذلك أيضًا ـ على فضل المشي إلى المساجد ـ «ولو بعدت» حديث جابر في بني سلمة يقول: خلا ما حول المسجد. يعني: من المنازل، فأراد بنو سلمة أن يأتوا إلى المسجد ويقربوا منه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فسألهم عن ذلك قالوا: نعم. أردنا أن نتحول لنقرب من المسجد فقال: «**يا بني سلمة: ديارَكم تُكتبْ آثارُكم ديارَكم تُكتبْ آثارُكمْ**» يعني: الزموا دياركم ولا تقربوا تكتب آثاركم، فدل هذا على أنه كلما كان منزل الإنسان أبعد من المسجد فإنه أكثر أجرًا؛ لأنه قال: «**تُكتبْ آثارُكم**» ولكن لا يعني هذا أن الإنسان يتقصد أن ينزل بعيدًا عن المسجد، لكن إذا قُدّر أنه لا يتيسر له إلا في المكان البعيد أو كانت ديار قومه أو ما أشبه ذلك، فإنه يكتب له أثره، فدل ذلك على فضيلة المشي إلى المساجد، وفضل الله ـ تعالى ـ واسع وخيره كثير، يثيب على العمل القليل الثواب الكثير ـ نسأل الله لنا ولكم من فضله العظيم.

* * *

١٠٥٧ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَعْظَمَ الناس أجرًا في الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُم، والَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ حَتَّى يُصَلِّيهَا مَعَ الإمَامِ أَعْظَمُ أجرًا مِنَ الذي يُصَلِّيها ثُمَّ يَنامُ[١]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم(٦١٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٤).

١٠٥٨ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَشِّرُوا المَشَّائِينَ في الظُّلَم إِلَى المَسَاجِدِ بِالنورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ(١)» رواه أبوداود، والترمذي.

١٠٥٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أَدُلُّكُم على مَا يَمْحُو اللهُ بِه الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِه الدَّرَجَاتِ» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُم الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ(٢)» رواه مسلم.

١٠٦٠ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمانِ، قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾(٣) [التوبة: ١٨]. الآية رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه بقية الأحاديث في فضل المشي إلى المساجد، ذكر الحديث الأول: أن النبي ﷺ قال: «**أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها**

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، رقم(٤٧٤)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم(٢٠٧)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم(٧٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم(٣٦٩).

(٣) رواه أحمد(٣/٦٨)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم(٣٠١٨)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم(٧٩٤).

ممشى فأبعدهم» وذلك لما سبق من أن الإنسان إذا تطهر في بيته وخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع الله له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة ولا تزال الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، فإذا كان بيتك بعيدًا عن المسجد، ولم يمنعك البُعد من حضور الجماعة فإنك أعظم أجرًا من القريب؛ لأن القريب ليس له عذر، قريب يسهل عليه الوصول إلى المسجد، والبعيد قد يكون له شيء من العذر لبعده، ومع ذلك يتجشم البُعد ويحضر إلى المسجد ويصلي مع الجماعة فكان هذا أفضل، ثم ذكر أن الذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أفضل من الذي يصلي ثم ينام، وهذا في صلاة العشاء، فإن المشروع في صلاة العشاء أن تؤخر إلى ثلث الليل؛ لأن النبي ﷺ صلى العشاء ذات يوم وقد مضى عامة الليل، وقال: «**إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي**» فهذا الذي صلى وحده ونام؛ لأنه يشق عليه أن ينتظر صلاة الجماعة لكونهم يؤخرونها نقول له: إذا انتظرت وصليت مع الجماعة فهو أفضل، وأماإذا كان الإمام يصلي على العادة فإنه لا يجوز للإنسان أن يصلي ثم ينام؛ لأن صلاة الجماعة واجبة حتى إن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**[1]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، رقم(٦١٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف، رقم(١٠٤٠).

ثم ذكر الحديث الذي أخرجه الترمذي قال: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**».

وهذا الحديث ضعيف، لكن لا شكَّ أن الذي يذهب إلى المسجد في أيام الظُّلم فإنه يحصل له من جنس العمل، يعني كما تجشم الظُّلَم وأتى إلى المساجد فإنه يُكتب له النور يوم القيامة، وأضعف منه الحديث الذي بعده: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**»، فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]. هذا أيضًا حديث ضعيف لا يصح رفعه إلى رسول الله ﷺ ويكفي في فضل المشي إلى المساجد ما سبق من الأحاديث الصحيحة الواضحة نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في العمل والموافقة لما يرضاه ـ جلَّ وعلا ـ.

❊ ❊ ❊

١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة

١٠٦١ - عنْ أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ[١]» متفقٌ عليه.

١٠٦٢ - وعنه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ[٢]» رواه البخاري.

١٠٦٣ - وعن أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ أخَّر ليلة صَلاَةَ الْعِشَاءِ إلَى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَ مَا صَلَّى فقال: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدوا وَلَمْ تَزَالُوا في صَلاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوها[٣]» رواه البخاري.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل انتظار الصلاة سواء كان ذلك بعد صلاة سابقة أو تقدم الإنسان إلى المسجد ينتظر الصلاة، فقد بيَّن النبي ﷺ في هذه الأحاديث أن الإنسان ما دام ينتظر الصلاة فإنه في صلاة، وبّين أيضًا أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدِث تقول:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم(٦١٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم(١٠٦٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، رقم(٤٢٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم(٦٢١).

«**اللهم صلِّ عليه، اللهم اغفرْ له، اللهم ارحمْه**».

وقوله: «**ما لم يحدث**» قيل: ما لم يحدث حدثًا في الإسلام يعني ما لم يعص ويأت معصية؛ وقيل: ما لم يُحدث حدثًا ينقض الوضوء؛ لأنه إذا أحدث حدثًا ينقض الوضوء فإن الحدث يُبطل الصلاة فيمنع أن يكون في صلاة، وأيًّا كان ففيه دليلٌ على فضيلة انتظار الصلاة بعد الصلاة، وعلى فضيلة انتظار الصلاة وإن لم يكن بعد الصلاة، فيؤخذ من هذا أنه ينبغي للإنسان أن يتقدم إلى المسجد.

ثم ذكر قصة تأخير النبي ﷺ صلاة العشاء إلى نصف الليل يعني أنه لم ينته منها حتى انتصف الليل والصحابة ينتظرون النبي ﷺ فلما انصرف من صلاته. قال: «**إن الناس صلوا وناموا وإنكم لا تزالون في صلاة ما انتظرتم الصلاة**» فكانت من وقت العشاء إلى نصف الليل، يعني إلى أن صلى النبي ﷺ والصحابة في انتظاره ولا يزالون في صلاة ما انتظروا الصلاة، وفي هذا الحديث دليلٌ على أن الأفضل تأخير صلاة العشاء وهو كذلك إلا إذا كان يشق على الناس أو على بعضهم، فالأفضل أن يقدموا، أما إذا كان لا يشق فالأفضل أن يؤخروا، على هذا فإذا كانوا جماعة في سفر أو في غير سفر أو في بلد لا تقام فيها الجماعات فإن الأفضل أن يؤخر الصلاة إلى قريب من منتصف الليل، لأن النبي ﷺ قال: «**إن هذا لوقتها لولا أن أشق على أمتي**» وكان ﷺ في صلاة العشاء إذا رآهم اجتمعوا عجل، وإذا رآهم أبطأوا أخّر. والله الموفق.

* * *

١٩١ـ باب فضل صلاة الجماعة

١٠٦٤ ـ عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أفضَلُ مِنْ صَلاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً[(١)]» متفقٌ عليه.

١٠٦٥ ـ وعن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ في بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خمْسًا وعِشْرِيْنَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لا يخْرِجُه إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْه بها خَطِيئَةٌ، فَإذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَة تصلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّه، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحمْهُ، وَلاَ يَزَالُ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاة[(٢)]» متفقٌ عليه وهذا لفظ البخاري.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل صلاة الجماعة يريد بذلك ـ رحمه الله ـ بيان فضل الصلاة مع الجماعة، وقد اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات وأجل الطاعات، لكن اختلفوا هل هي سنة أو واجب أو شرط لصحة الصلاة؟ على أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنها سنة إن قام به الإنسان أُثيب على ذلك وإن تركها فلا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦٠٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٣٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦١١).

إثم عليه.

والقول الثاني: أنها واجبة يجب على الإنسان أن يصلي مع الجماعة فإن لم يفعل فهو آثم وصلاته صحيحة.

والقول الثالث: أن الجماعة شرطٌ لصحة الصلاة، وأنه إذا لم يُصلّ مع الجماعة فصلاته باطلة، ولا تقبل منه.

وهذا الأخير اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ورواية عن الإمام أحمد- رحمه الله -: أن الإنسان إذا صلَّى وحده بدون عذر شرعي فإن صلاته لا تقبل، كالذي يصلي بغير وضوء، وعللوا ذلك بأن صلاة الجماعة واجبة، والقاعدة: أن من ترك واجبًا في الصلاة بطلت صلاته، لكن القول الراجح: أنها واجبة يأثم الإنسان بتركها، ولكنه إذا صلى وحده قُبلت صلاته، فليست شرطًا لصحة الصلاة، ويدل لهذا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**». ووجه الدلالة أنه لو كانت صلاة المنفرد لا ثواب فيها ما صحت المفاضلة ولكن يأثم الإنسان الذي لا يصلي مع الجماعة.

وأما حديث أبي هريرة فبيَّن النبي ﷺ أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المرء في بيته وفي سوقه، تفضل على ذلك بخمس وعشرين ضعفًا، ولا منافاة بين الحديثين بل يؤخذ بالزائد، لأن فضل الله واسع، ثم بيَّن ذلك فقال: «**وذلك أنه إذا توضأ في بيته فأسبغ الوضوء ـ يعني: أتمه ـ ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة**» الخطوة الواحدة فيها فائدتان:

الأولى: أنه يرفع له بها درجة.

والثانية: أنه يحط عنه بها خطيئة.

فإذا صلى يعني دخل المسجد وصلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه تقول: «**اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**» وهذا أجرٌ عظيم، وفضل كبير، لا ينبغي للرجل المؤمن العاقل أن يفرط فيه، لو أنه قيل لك: إن سلعتك إذا بعتها في بلدك بعتها بمائة، وإذا بعتها في بلد آخر تناله بالسفر إليه بعتها (بمائة وعشرة) لسافرت إلى ذلك من أجل عشرة في المائة، ولم يشق عليك السفر، وكثيرٌ من الناس ـ والعياذ بالله ـ حرموا الخير، تجدهم قريبين من المسجد يتركون هذا الفضل العظيم وهذا المكسب العظيم، الواحد بسبع وعشرين يعني أضعاف، ومع ذلك لا يذهب إلى المسجد ـ نسأل الله العافية ـ، وربح الدنيا ـ مع قِلَّتِهِ ـ يسعى إليه ويهتم به مع أنه زائل، فإن كل ما في الدنيا من نعيم فإما زائل عنك، وإما أنت زائل عنه ولابد، لا نعيم دائم ولا إقامة دائمة، النعيم في الدنيا إما أن يزول أو تزول عنه، ونعيم الآخرة باق، ومع ذلك يوجد بعض الناس يفرط فيه؛ ولا يهتم به، وفضل الله ـ تعالى ـ يؤتيه من يشاء ـ نسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

١٠٦٦ ـ وعنْهُ رضي الله عنه قالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعمى، فقال: يا رسولَ اللهِ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى المَسْجِدِ، فَسَألَ رسولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ

فَيُصَلِّي في بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فقالَ لَهُ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ قال: «فَأَجِبْ[(١)]» رواه مسلم.

١٠٦٧ ـ وعن عبدِ الله ـ وَقِيلَ: عَمْرو ـ بْنِ قَيْسٍ المَعْرُوفِ بابْنِ أُمِّ مَكْتُوم المُؤَذِّن رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ: يا رسولَ الله إنَّ المَدِينَةَ كَثيرَةُ الهَوَامِّ والسِّباع. فقالَ رسول الله ﷺ: «تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، فَحَيَّهلاً»[(٢)]. رواه أبو داود بإسناد حسنٍ. ومعنى «حَيَّهَلاً» تعالَ.

١٠٦٨ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمتُ أن آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحَتَطَبَ، ثمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثمَّ آمُرَ رَجُلا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فأحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بيوتَهمْ[(٣)]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة في بيان وجوب صلاة الجماعة، وأن تكون في المسجد فمنها حديث أبي هُريرة الأخير: أن النبي ﷺ أقسم ـ وهو الصادق البار بدون قسم ﷺ ـ أقسم أنه هم أن يأمر بالصلاة فتقام، ثم يأمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم ينطلق بحزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم(١٠٤٤).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم(٤٦٦)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب المحافظة على الصلوات حيث ينادي بهن، رقم(٨٤٢).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم(٦٠٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٤١).

فيحرق عليهم بيوتهم بالنار) وهذا يدل على وجوب صلاة الجماعة؛ لأن النبي ﷺ لا يهم هذا الهم إلا لترك أمر واجب، ولا يخبر الناس بذلك إلا ليحذرهم من تركه ومخالفته، وإلا لم يكن هناك فائدة، وكونه ﷺ همّ أن يعاقبهم هذه العقوبة دليلٌ على تأكد الجماعة وأنها أمر مهم، وقد رُوي بسندٍ ضعيف أنه قال: «**لولا ما في البيوت من النساء والذرية**[١]» لكن هذا ضعيف، ولكن يكفي أن يكون هم بذلك وأخبر الأمة به.

ثم من الذي تجب عليه الجماعة؟ هو الذي يستطيع أن يصل إليها ـ وهو يسمع النداء ـ يعني: الذي يسمع النداء ويستطيع أن يحضر هو الذي تجب عليه الجماعة، ولهذا استفتى النبيَّ ﷺ رجلٌ قال يا رسول الله: إنني رجل أعمى وليس لي قائد يقودني إلى المسجد ـ يريد أن يرخص له النبي ﷺ ـ فرخّص له، فلما أدبر ناداه قال: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[٢]، فدل ذلك على وجوب صلاة الجماعة على الأعمى، وأن العمى ليس عذرًا في ترك الجماعة، ودل ذلك أيضًا على أنها تجب في المسجد وأنه ليس المقصود الجماعة فقط بل المقصود الجماعة وأن تكون في المسجد، ودل ذلك أيضًا على أن العبرة بسماع النداء، ولكن المراد سماع النداء المعتاد، وليس سماع النداء في المكبر الصوت، فإن مكبر الصوت يُسمَع من بعيد، لكن المعتاد إذا لم يكن هناك مانع من سماع

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧).
(٢) رواه مسلم: صحيح المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم(٦٥٣).

الصوت فهذا هو الذي يجب عليه حضور الجماعة، ودل ذلك أيضًا على أنه لا يصح اقتداء مَنْ كان خارج المسجد بمَنْ في المسجد ولو أمكنه أن يقتدي به يعني ـ مثلاً ـ لو كان الإنسان عنده بيت بجوار المسجد وهو يسمع تكبيرات الإمام، فقال لابنه ـ مثلاً ـ أصلي أنا وإياك مع الجماعة في بيتنا فإن ذلك لا يصح؛ لأنه لابد من حضور المكان الذي تقام فيه الجماعة، إلا أنه إذا امتلأ المسجد، وصلى الناس في الأسواق فإن الذين خارج المسجد يكونون تبعًا للمسجد في اتصال الصفوف، وإلا فبدون اتصال الصفوف فإن من كان خارج المسجد لا تصح صلاته مع أهل المسجد، لابد من الحضور حتى لو كان يسمع كل التكبيرات فلابد أن يحضر، فإذا قال قائل: إذا كان مريضًا ولا يستطيع الحضور لكن يسمع النداء بواسطة مكبر الصوت فهل يتابع الإمام؟

قلنا: لا يصلي مع الإمام؟ هو معذور في ترك الجماعة، وإذا كان من عادته أنه يصلي مع الجماعة فإنه يكتب له ما كان يعمل لمَّا كان صحيحًا، لقول النبي ﷺ «من مرض أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا(١)» والله أعلم.

* * *

١٠٦٩ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: مَنْ سَرَّه أن يَلْقَى الله تعالى غدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافظْ عَلَى هؤلاء الصلوات حَيْثُ يُنَادَى بِهنَّ، فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، رقم(٢٧٧٤).

سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَو أَنَّكُمْ صَلَّيْتُم في بُيوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيتِهِ لَتَركتم سُنَّة نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَركتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكم لَضَلَلْتُم، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ منَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاق، وَلَقَدْ كانَ الرَّجُل يُؤتى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ[1]. رواه مسلم.

وفي رواية له قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى، وَإنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى الصَّلاةَ فِي المَسجِدِ الَّذِي يُؤذَّنُ فيه[2].

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل الجماعة هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كأنما يخرج من مشكاة النبوة، يعني: كأنه من كلام الرسول ﷺ في سلاسته وحسنه ونظمه، يقول رضي الله عنه: من سرّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات حيث يُنادى بهن ـ وكل أحد يسره أن يلقى الله سبحانه وتعالى مسلمًا منيبًا إليه مؤمنًا به ـ جل وعلا ـ، فمن أراد ذلك فليحافظ على هؤلاء الصلوات يعني الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، أي: في المكان الذي ينادى بهن، أي: المساجد، وذلك لوجوب صلاة الجماعة في المسجد فلا يجوز لأحد يقدر على أن يصلي في المسجد إلا وجب عليه إذا كان من أهل

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، رقم(١٠٤٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، رقم(١٠٤٥).

وجوب الجماعة كالرجال .

ثم ذكر رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى شرع للنبي ﷺ سنن الهدى ـ يعني طرق الهدى ـ فكل ما جاء به النبي ﷺ فهو هدى ونور شرعه الله له : «**وإنهن ـ يعني الصلوات الخمس ـ من سنن الهدى**» وصدق رضي الله عنه ، بل الصلوات الخمس أعظم سنن الهدى بعد الشهادتين ، لأن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .

ثم قال : «**لو أنكم صليتم في بيوتكم كما صلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم**» ، يعني لو أن كل واحد صلى في بيته كما صلى هذا المتخلف لتركنا السنة ، ولتعطلت المساجد ، ولانقطع الناس بعضهم عن بعض ، ولما تعارفوا ولا تآلفوا ، ولا حصل هذا المظهر العظيم في الدين الإسلامي ، لو صلى الناس كلهم في بيوتهم ، ولكن من رحمة الله وحكمته أن شرع للعباد أن يصلوا جماعة ، كل يوم خمس مرات تَلْقَى أخاك تُسلّم عليه ويُسلّم عليك وتقتدي به على إمام واحد فهي نعمة عظيمة ، هذه من أعظم روابط الأخوة وأواصر المودة والمحبة .

ثم قال : «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها ـ أي عن هذه الصلوات في المساجد ـ إلا منافق**» والمنافقون كثيرون لا سيما إذا اعتز الإسلام وقوي فلا يستطيع الإنسان أن يعلن كفره ، ولهذا لم يبرز النفاق ولم يكثر النفاق في عهده ﷺ إلا حين انتصر المسلمون في غزوة بدر ، لما انتصر المسلمون في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة بدأ النفاق يظهر ، خاف الكفار على أنفسهم فصاروا يعلنون الإسلام حتى إنهم يأتون إلى الرسول ﷺ

يقولون: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، يعني: ما قالوا صدقًا بل: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

يقول: «**ما يتخلف عنها إلا منافق**»: لماذا يتخلف المنافق؟ لأن المنافق لا يرجو ثوابًا، ولا يؤمن بالحساب، فلا يهتم، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين: العشاء، والفجر**[1]»، لأن صلاة العشاء لا يُرى فيها إذا تخلف، ففي عهد النبي ﷺ لم يكن يوجد كهرباء ولا أنوار فيتخلف الإنسان ولا يُدرىٰ عنه، ثم إن صلاة العشاء والفجر تأتي في وقت الراحة والنوم فهي ثقيلة على المنافقين لا يأتون إليها، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا.

ثم ذكر رضي الله عنه أن الرجل كان يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف، يعني يمسكه رجلان لمرضه، فهو رجل مريض لا يستطيع أن يمشي وحده ويمشون به رويدًا رويدًا حتى يُقام في الصف فيصلي مع الجماعة رضي الله عنهم أجمعين.

وبهذه الأعمال وأمثالها ملكوا مشارق الأرض ومغاربها، ولمّا تخلفت الأمة الإسلامية واختلفت قلوبها صارت إلى ما ترون الآن: أمة ذليلة وهم يبلغون مليارًا من البشر ومع ذلك هم في أذل ما يكون من الأمم؛

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعًا، ترجمة الباب، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٤١).

لأنهم متفرقون، بل بعضهم متعادون، بل بعضهم يرى أن الآخر أشد عليه من اليهود والنصارى ـ والعياذ بالله ـ، لأنهم متنازعون متفرقون، أما في عهد الرسول ﷺ فلا يمكن أن يتخلف أحد عن الجماعة، ولو كان مريضًا، بل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف، فلو أننا عدنا إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم لصرنا أمة عزيزة مرموقة كلٌّ يخافها، وكلٌّ يصانعها، وكلٌّ يتودد إليها؛ نسأل الله أن يعيد لنا مجدنا في ديننا ويعيد لنا كرامتنا إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٧٠ ـ وَعَن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لا تقامُ فيهمُ الصَّلاةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشيطانُ فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإنَّمَا يَأكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيةَ[1]» رواه أبوداود بإسناد حسن.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الجماعة فيما نقله عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو**» يعني ولا بادية «**لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان**» يعني: معنى ذلك: أنه إذا كان ثلاثة في قرية أو في بادية لا تقام فيهم الجماعة، يعني ولا

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم(٤٦٠)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم(٨٣٨).

الجمعة «**إلا استحوذ عليهم الشيطان**» فدل ذلك على أنه لا يجوز ترك الجماعة، ولكن هذا الحديث يفيد أنه لا يجوز إذا كانوا ثلاثة فأكثر، لكن هناك أحاديث أخرى تدل على أن الجماعة تجب إذا كان «**اثنان فأكثر**»، أما في الجمعة فلا تجب إلا إذا كانوا ثلاثة فأكثر في غير البرية، أما البادية والمسافرون في البر فليس عليهم جمعة، لكن القرى والأمصار فيها جمعة، وأدنى ما يكون ثلاثة.

فإن قلت: كيف يمكن أن يكون قرية أو مدينة ليس فيها إلا ثلاثة.

فالجواب: يمكن هذا بأن تكون هذه المدينة أكثر أهلها آفاقيون جاءوا للدراسة مثلاً، كما يوجد الآن في المجتمعات في بعض البلاد الخارجية، يكون ليس فيها من المواطنين إلا ثلاثة فقط والباقون كلهم مسافرون جاءوا للدراسة، فهؤلاء تلزمهم الجمعة؛ لأن فيها ثلاثة مواطنين، وأما البادية فلا تجب عليهم الجمعة؛ لأن الجمعة لا تكون إلا في القرى والأمصار، ولهذا لم تكن البادية في عهد النبي ﷺ وهم حول المدينة يقيمون الجمعة.

وفي قوله: «**فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» دليلٌ على أنه لا ينبغي للمسلمين الافتراق والاختلاف وأنه واجب عليهم الاجتماع، وأن الشرود عن الجماعة سبب للهلاك، لأن النبي ﷺ شبه ذلك بالقاصية من الغنم البعيدة يأكلها الذئب فتهلك، فهكذا الذي يشذ عن الجماعة حتى برأي ينفرد به ويظن أن النصوص معه وتدل عليه، فإن الواجب إذا رأى الإنسان في رأيه أن النصوص تدل على خلاف ما يراه الجمهور فالواجب عليه أن يعيد النظر مرة بعد أخرى، إذ لا يمكن أن يكون

الجمهور هم الذين توهّموا وأنت الذي أصبت، ولهذا لما قال حذيفة لابن مسعود رضي الله عنهما: إن قومًا يعتكفون في البصرة، والرسول ﷺ يقول: «**لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والنبوي، والأقصى**[1]» قال: لعلهم ذكروا فنسيت، وحفظوا نحوهَّم ابن مسعود حذيفة وذلك لأن المسلمين يكادون كالمجمعين على أن الاعتكاف يصح في كل مسجد؛ وأنه لو فرض صحة حديث حذيفة لكان معناه لا اعتكاف تامًّا إلا في هذه المساجد الثلاثة، وإلا فلا يمكن أن يخاطب الله بالقرآن الكريم الأمة الإسلامية يقول: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ثم نقول: لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد لا يحضرها ولا واحد بالمائة من المسلمين، هذا خلاف البلاغة وخلاف الفصاحة.

لكن بعض الناس يحب الإغراب في الشيء، يحب أن يذكر، ومن أمثال العامة: خالف تذكر، فهو إن شذ وخالف وأتى بما هو مخالف للدليل ورأي الجمهور، ثم يشتهر بهذا، وقد شبّه النبي ﷺ الشاذ عن الجماعة بالقاصية من الغنم يأكلها الذئب، والله الموفق.



---

(١) انظر معتصر المختصر (١/ ١٥٣)، والمعجم الكبير (٩/ ٣٠٢)، ومعجم شيوخ أبي بكر (٣/ ٧٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨١).

١٩٢ ـ باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء

١٠٧١ ـ عنْ عَثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعة، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيل كُلَّهُ(١)» رواه مسلم.

وفي رواية الترمذي عنْ عثمان بن عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ كانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ والفَجْرَ في جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَة(٢)» قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٠٧٢ ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَو حَبْوًا(٣)» متفقٌ عليه وقد سبق بطوله.

١٠٧٣ ـ وعنه رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهما لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا(٤)»

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم(١٠٤٩).

(٢) رواه أحمد (١/٥٨)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٤٦٨)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم(٢٠٥).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم(٥٨٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل العشاء في جماعة، رقم(٦١٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٤١).

متفقٌ عليه.

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل صلاة العشاء، وصلاة الفجر يعني في الجماعة، ونص على هاتين الصلاتين ـ صلاة العشاء وصلاة الفجر ـ لما فيهما من الأجر الكثير، ففي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**أن الإنسان إذا صلى العشاء في جماعة والفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله**» يعني: فكأنه قام يصلي كل الليل، العشاء نصف الليل، والفجر نصف الليل وهذا فضل عظيم، يعني كأنك قائم الليل كله وأنت في فراشك إذا صليت العشاء في جماعة والفجر في جماعة.

وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة: «**لو يعلمون ما في العتمة وصلاة الفجر لأتوهما ولو حبوًا**» «العتمة» هي العشاء، و«الفجر» معروف، لو يعلمون ما فيهما من الأجر والثواب لأتوهما يَحْبون على الأرض كما يحبو الصبي، لما فيهما من الأجر العظيم.

وكذلك الحديث الذي بعده، حديث أبي هريرة أيضًا: أن أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، لأن المنافقين يصلون رياء وسمعة، وصلاة العشاء والفجر ظلمة لا يُشاهدون فهم يأتون إليهما كرهًا لكن يأتون إلى الظهر والعصر والمغرب لأن الناس يشاهدونهم، فهم يراءون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، والعشاء والفجر ما فيهما مراءاة؛ لأنها ظلمة؛ وفي عهد النبي ﷺ لم تكن توجد أنوار كهرباء ولا سرج، فلا يشاهدهم أحد فيكون حضورهم العشاء

والفجر ثقيلاً عليهم لفوات المراءاة، هذا من وجه، ومن وجه آخر أن صلاة العشاء والفجر وقت الراحة والنوم.

ففي عهد الرسول ﷺ كان الناس لا يسهرون كما يسهر الناس اليوم، ينامون مبكرين من حين أن يصلوا صلاة العشاء، والفجر يقومون، ومنهم من يمنُّ الله عليه بقيام الليل، ومنهم من يقوم لصلاة الفجر، فهما ثقيلتان على المنافقين فينبغي للإنسان أن يحرص على صلاة العشاء وصلاة الفجر، لكن صلاة العشاء ليست أفضل من صلاة العصر، فصلاة العصر أفضل، ولهذا صارت الفجر قرينة للعصر وقرينة للعشاء، فهي قرينة للعصر كما سبق «**من صلّى البردين دخل الجنة**[1]» وقال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ـ وهي صلاة الفجر ـ وصلاة قبل غروبها ـ وهي صلاة العصر ـ فافعلوا**[2]» وصلاة الفجر مع صلاة العشاء أيضًا إذا اجتمعتا فكأنما قام الإنسان الليل كله، كل الليل.

وكذلك أيضًا «**لو يعلم الناس ما في العشاء والفجر لأتوهما ولو حبوًا**» فاحرص ـ يا أخي المسلم ـ على جميع الصلوات، كن محافظًا عليها، فإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم(٥٤٠)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(١٠٠٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(١٠٠٢).

الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، فذكر الله الصلاة في أول الأوصاف الحميدة وفي آخر الأوصاف الحميدة، وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]، وفي آخر الأوصاف الحميدة قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

وبهذا يعرف أن الصلاة أعظم الأعمال بعد الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، جعلنا الله من مقيمي الصلاة، ومؤتي الزكاة، المحافظين على أداء فرائض الله، واجتناب محارم الله.

❊ ❊ ❊

١٩٣ـ باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

١٠٧٤ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قالَ: سَألتُ رسُولَ الله ﷺ: أيُّ الأعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قال: «الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا» قلت: ثمَّ أيُّ؟ قال: «برُّ الوالديْنِ» قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «الجِهادُ في سَبِيلِ الله[1]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب المحافظة على الصلوات والتحذير من إضاعتهن.

الصلوات: خمس كتبهن الله ـ عزَّ وجلّ ـ على عباده في كل يوم وليلة، لقوله ـ تبارك وتعالى ـ حين سأل النبي ﷺ ربه أن يخفف عن العباد قال: «هي خمس وهي خمسون[2]» أي: إنهن خمس في الفعل وخمسون في الميزان، وسأل النبيَّ ﷺ رجلٌ عن الإسلام ومنه الصلوات فذكر له خمس

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم(٤٩٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم(١٢٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم(٣٣٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم(٢٣٧).

صلوات، قال: هل عليّ غيرها، قال: «**لا، إلا أن تطوع**[(١)]»، وأرسل معاذًا إلى اليمن وقال: «**أخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**[(٢)]».

وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، خصها لما لها من المزية والفضل؛ والمراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر فسّرها بذلك النبي ﷺ أعلم الخلق بكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبمراد الله، ولا قول لأحد بعد قول النبي ﷺ وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]؛ وليت المؤلف أتى بالآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، لأن هذه الآية تدل على أن من لم يُقم الصلاة فهو كافر.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» يعني: على الوقت المطلوب شرعًا إن كان مما يطلب تقديمه فتقديمه أفضل، وإن كان مما يطلب تأخيره فتأخيره أفضل، والصلوات الخمس كلها الأفضل فيها التقديم إلا العشاء ،فالأفضل فيها التأخير ما لم يشق على الناس، وإلا فإن الظهر في شدة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم(٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، رقم(١٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٠٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

الحر الأفضل فيها التأخير تيسيرًا على الناس وتخفيفًا عليهم، أما الفجر والعصر والمغرب فالأفضل فيها التعجيل على كل حال. لكن قال العلماء ـ رحمهم الله ـ من قام حين يسمع النداء يتوضأ ويتأهب للصلاة فهذا تقديم ـ يعني ليس المعنى أنه من حين أن يؤذن نصلي فالمهم أن نستعد للصلاة من أول وقتها.

قال ابن مسعود: ثم أي؟ قال ﷺ: «**بر الوالدين**» يعني: الإحسان إليهما بالقول والفعل والمال والجاه والخدمة وغير ذلك وبر الوالدين: الأب والأم.

قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». قال ابن مسعود: ولو استزدته لزادني ـ يعني لو طلبت زيادة، ثم أي؟ ثم أي؟ لزادني النبي ﷺ؛ قال ذلك بناء على ما عرفه من قرينة الحال.

وفي هذا الحديث دليلٌ على إثبات المحبة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه يحب الأعمال كما يحب العاملين، وأن حبه يتفاوت ـ سبحانه وتعالى ـ فبعض الأشياء أحب إليه من بعض، وفيه أن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله، واجبه على واجبه، وتطوعه على تطوعه، فمثلاً إذا كان الوالدان ليس عندهما من يعولهما ولا من يخدمهما وهما في ضرورة للولد، فإنه يجب عليه أن يبقى ولا يجاهد، وإذا كان عندهما من يقوم بكفايتهما ويخدمهما فهذا بقاؤه عندهما مستحب، ثم الجهاد ـ إن احتيج إليه ـ كان أفضل وإن لم يحتج إليه فبر الوالدين أفضل، ويأتي إن شاء الله الكلام على حديث ابن عمر، والله أعلم.

وبالنسبة لصلاة الفجر فالمعروف أن التوقيت الذي بأيدي الناس لدينا الآن توقيت مقدم على الوقت بخمس دقائق على أقل تقدير، وبعض الإخوان خرجوا إلى البر، فوجدوا أن الفرق بين التوقيت الذي بأيدي الناس، وبين طلوع الفجر نحو ثلث ساعة، فالمسألة خطيرة جدًّا.

ولهذا لا ينبغي للإنسان في صلاة الفجر أن يبادر بإقامة الصلاة، بل يتأخر ثلث ساعة، أو (٢٥) دقيقة، حتى يتيقن أن الفجر قد حضر وقته.

* * *

١٠٧٥ ـ وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله. وأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ[(١)]» متفقٌ عليه.

الشـــرح

ذكر الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل الصلوات الخمس والنهي الأكيد، والوعيد الشديد على من ضيّعهن، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**» هذا واحد، «**وإقام الصلاة**» هذا الثاني، «**وإيتاء الزكاة**» هذا الثالث، «**وحج البيت**» هذا الرابع، «**وصوم رمضان**» هذا الخامس، هكذا رواه ابن عمر رضي الله عنهما وفي

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب بُني الإسلام على خمس، رقم(٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم(١٩).

لفظ أنه قدم الصوم على الحج، فعلى الأول بنى البخاري ـ رحمه الله ـ ترتيب الصحيح ـ صحيح البخاري ـ فبدأ بالحج قبل الصيام، وأكثر الأحاديث على تقديم الصيام على الحج.

قوله ﷺ: «**بني الإسلام**» يعني: أنه شبه الإسلام بالقصر الذي له خمسة أعمدة هذا القصر مبني عليها، ومعلوم أن الأعمدة هي أساس البنيان، وأنه إذا فقدت الأعمدة تداعى البنيان وانهدم، فإن بُني على غير أعمدة بُني بناء ضعيفًا، ولكن الإسلام بناء قوي محكم، شرعه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لعباده، وقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

هذه الدعائم وهذه الأعمدة الخمسة بيّنها ﷺ بقوله: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله**» يعني: أن تشهد معترفًا بلسانك، مؤمنًا بقلبك أنه لا معبود حق إلا الله، كل ما عبد من دون الله فهو باطل، فهناك أناس يعبدون الشمس، وآخرون يعبدون القمر، وهناك أناس يعبدون الشعرىٰ وهي نجم من النجوم، وهناك أناس يعبدون الأشجار، وأناس يعبدون البقر، وهناك أناس يعبدون فروج النساء، أمم مختلفة، لكن من المعبود حقًّا؟ إنه الله عزَّ وجلَّ. فأشهد أن لا إله إلا الله، أقول ذلك معترفًا بلساني، مؤمنًا بقلبي أنه لا معبود حق إلا الله، وهذا هو مقتضى الشرع ومقتضى العقل؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الذي خلق الخلق، ومن الذي خلق الخلق؟! الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]. لو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا جنينًا واحدًا ما استطاعوا بل قال الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ ضرب الله لنا مثلاً وأمرنا أن نستمع له، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كل الذين تدعون من دون الله، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟﴾ [الحج: ٧٣]، سبحان الله! كل المعبودات على اختلاف أصنافها لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له لو اجتمع كل المعبودات سوى الرب عزَّ وجلَّ على أن يخلقوا ذبابًا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، هذا في القدر.

في الشرع قال الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]. إذًا لا أحد يستطيع أن يأتي بمثل كلام الله ولا أن يخلق مثل خلق الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

إذًا هذا الرب الذي هو موصوف بهذه الأوصاف هو المستحق للعبادة، هل يستحق العبادة شيء مدُبَّر؟! الشمس مدبرة ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، هل تستحق أن تعبد؟! القمر هل يستحق أن يعبد؟! النجم هل يستحق أن يعبد؟! الشجر، هل يستحق أن يعبد؟!، لا أحد يستحق، كل هذه مربوبة مخلوقة.

حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام قومه فلما جنَّ عليه الليل وأظلم رأى كوكبًا، وكان من قومه من يعبد النجوم قال: هذا ربي، لماذا قالها إبراهيم؟حتى يقيم عليهم الحجة، قال: هذا ربي، وكالعادة غاب الكوكب، فلما أفل ـ يعني غاب ـ قال: لا أحب الآفلين، لأن الرب لا يغيب عن عباده، وهذا غاب، فلما رأى القمر بازغًا ـ وهو أعلى النجوم إضاءة ـ قال: هذا ربي لأن هناك من يعبد القمر، فلما أفل ـ يعني غاب ـ قال: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وهذه أشد من الأولى، ثم قال: لا أحب الآفلين، فإن عبدت هذا فأنا إذًا ضالٌّ جاء إلى شيء أكبر وهي الشمس وهم يعبدونها أيضًا، فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي فلما أفلت ـ أي: غابت ـ، هل تكون ربًا وهي تغيب عن مربوبها؟ أبدًا. فلما أفلت أعلن عليه الصلاة والسلام التوحيد، قال: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٨ـ٧٩].

إذًا لا إله إلا الله يعني: لا معبود حق إلا الله وكل ما يُعبد من دون الله فهو باطل. والعجيب أن هذه الأصنام التي تعبد ـ يا إخواني ـ أنها يوم القيامة تُجمع وتُحصب في نار جهنم كما يُحصب الحصى وكذلك عابدوها يُحصبون: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]. صحيح: لو كانت هذه الأصنام آلهة حقًّا هل ترد النار؟! لا لكن وردت النار، إذًا فلا تستحق أن تكون آلهة، إنها لم تُنْجِ نفسها

فكيف تنقذ غيرها؟ وكذلك الذين يعبدونها.

لما جاءت هذه الآية أراد المشركون أن يشبهوا بها قالوا: عيسى بن مريم يُعبد ومن يعبدُ عيسى؟ النصارى، إذًا يلقى في النار، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

وعيسى بن مريم ممن سبقت له من الله الحسنى؛ لأنه أحد أولي العزم من الرسل، والمهم - يا إخواني - أن تعلموا أن كل ما يُعبد من دون الله فهو باطل سواء كان نجمًا أو وليًّا أو صالحًا أو علمًا أو رئيسًا، كل ما يعبد من دون الله فهو باطل، عبادته باطلة، إذًا فمن الذي يستحق العبادة؟ إنه الله عزَّ وجلَّ، وما سواه فهو باطل، إذًا فانتبهوا لمعنى أشهد أن لا إله إلا الله. فشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن الإخلاص الذي لا تصح العبادة إلا به، والمتابعة: التي تتضمنها شهادة أن محمدًا رسول الله، ولهذا يعد هذا ركنًا واحدًا.

أما الثاني: فهو إقامة الصلاة، والصلاة يعني الصلوات الخمس وما يتبعها من النوافل وما يستقل من النوافل أيضًا، إقام الصلاة من أركان الإسلام والصلوات الواجبة بالإجماع وهي خمس: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والجمعة تكون في محل الظهر، وما عدا ذلك فمختلف فيه: فالوتر اختلف فيه العلماء: هل هو واجب يأثم الإنسان بتركه أو سنة أو فيه تفصيل: وهو أن من له ورد من الليل يجب عليه أن يوتر، ومن ليس له ورد، وإنما ينام إذا صلى العشاء إلى الفجر فهذا لا

يجب عليه الوتر؟. وأما صلاة الكسوف فمختلف فيها: من العلماء من يقول: واجبة، ومنهم من يقول: ليست بواجبة، والصحيح أنها واجبة؛ لأن النبي ﷺ أمر بها وفزع لما كسفت الشمس وصلاها صلاة غريبة، لكنها فرض كفاية إذا قام بها من يكفي من أهل البد سقطت عن الباقين، وكذلك أيضًا اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في تحية المسجد: هل هي واجبة أو لا؟ والقول بالوجوب قول قوي، لكن يمنع القطع به، أحاديث تدل على أنها ـ أي تحبة المسجد ـ ليست بواجبة مثل مجيء الإمام يوم الجمعة، فإن النبي ﷺ يدخل المسجد يوم الجمعة ويصعد المنبر ويخطب الناس ويجلس بين السجدتين ولا يصلي تحية المسجد، وكذلك ظواهر أخبار أخرى تدل على عدم وجوب تحية المسجد.

وكذلك صلاة العيدين اختلف فيهما العلماء: منهم من يقول: إنها واجبة، ومنهم من يقول: سنة، ومنهم من يقول: فرض كفاية، المهم أن الصلوات المجمع على وجوبها هي: الخمس، والجمعة بدلاً عن الظهر.

ومعنى: «**إقام الصلاة**»: أن يأتي بها الإنسان في أوقاتها متممًا شروطها وأركانها وواجباتها، ومكملاً ذلك بمستحباتها، هذا هو إقام الصلاة.

وأما «**إيتاء الزكاة**»: فهو إعطاء الزكاة لمستحقها، والزكاة هي القسط من مالك الذي أوجبه الله تعالى عليك في الذهب والفضة والنقد وعروض التجارة والخارج من الأرض وسائمة بهيمة الأنعام، فيجب أن تعطي زكاة هذه لمستحقها، والمستحقون لها في قوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ

﴿وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأما حج البيت فهو قصد مكة لأداء المناسك وقد فرضه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على هذه الأمة في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة.

وأما صوم رمضان فهو صوم الشهر الذي بين شعبان وشوال، وفرض في السنة الثانية من الهجرة.

فهذه هي أركان الإسلام، من أتى بها فهو المسلم وقد بنى على أساس متين، ومن لم يأت بها فهو بين فاسق أو كافر، فمن لم يأت بالشهادتين فهو كافر، ومن لم يُصلّ فهو كافر، ومن منع الزكاة فهو فاسق، ومن لم يحجّ فهو فاسق، ومن لم يصم فهو فاسق، والله الموفق.

* * *

١٠٧٦ ـ وعنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهمْ عَلَى الله[1]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة...، رقم(٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٩).

الشرح

قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ في باب المحافظة على الصلوات الخمس فيما نقله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**».

«**أمرت**»: الآمر له هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ «**أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**» فالذي أمره بقتالهم هو الذي خلقهم، وله أن يتصرف في ملكه بما يشاء، له أن يأمر بقتل هؤلاء، وله أن يأمر بقتالهم إلى أن يسلموا، فإذا أسلموا كف عنهم، وهذا الحديث مخصوص بقوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. وكذلك بحديث بريدة بن الحصيب أن النبي ﷺ كان إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وذكر الحديث وفيه: «**أنهم إذا أرادوا الجزية فاقبل منهم وكُفّ عنهم**[1]» وعلى هذا فيقاتل الكفار إلى غايتين: إما أن يسلموا، وإما أن يعطوا الجزية عن يد ـ وهم صاغرون ـ فإن لم يفعلوا لا هذا ولا هذا وجب على المسلمين قتالهم، وقتال

(١) رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته، رقم(٣٢٦١).

المسلمين لهم بأمر الله الذي هو ربهم ورب الكافرين، ليس تعصبًا من المسلمين لدينهم، وحُقَّ لهم أن يتعصبوا له لأنه دين الله عزَّ وجلَّ؛ ودين غير المسلمين دين باطل منسوخ لا يقبله الله عزَّ وجلَّ ـ من أي أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**» سبق الكلام عليه.

«**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم**» وفي هذا دليلٌ على أن الكفار إذا قوتلوا فأموالهم حلال لنا، كما أننا نستبيح دماءهم فنستبيح أموالهم من باب أولى، وكذلك أيضًا نستبيح نساءهم وذرياتهم يكونون سبيًا لنا، ويكونون أرقاء للمسلمين، لأننا نأخذهم بكلمات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبأمره، ودينه، وشرعه.

«**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**» وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة حتى راجعه الصحابة، وراجعه عمر في ذلك، ولكن أبا بكر أصر على أن يقاتل مانعي الزكاة، وقال: (والله لو منعوني عناقًا ـ أي ماعزًا صغيرة، وفي رواية: عقالاً وهي ما تربط به البعير ـ كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك[1]) يقول: فلما رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال علمت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣١٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٩).

أنه الحق.

ففي هذا دليلٌ على أهمية الصلاة، وأن الناس يُقاتَلون على تركها إلى أن يصلوا. والله الموفق.

* * *

١٠٧٧ ـ وعن معاذ رضي الله عنه قالَ: بَعَثني رسولُ الله ﷺ إلى اليَمَن فقال: «إنَّكَ تَأتِي قَوْمًا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أنْ لا إله إلا الله، وأنِّي رسولُ الله، فَإنْ هم أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ الله تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خمْسَ صَلواتٍ في كلِّ يَومٍ وَلَيْلَةٍ، فَإنْ هم أَطَاعُوا لِذلك، فَأَعْلِمْهُمْ أنَّ الله تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائهم، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبينَ الله حِجَابٌ[1]» متفقٌ عليه.

الشرح

نقل الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب المحافظة على الصلوات حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن معاذ بن جبل أنه بعثه النبي ﷺ إلى اليمن – واليمن في جنوب الجزيرة العربية – في السنة العاشرة من الهجرة في ربيع الأول، ولما أراد أن يبعثه قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب**»، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى؛ لأن الله أنزل على اليهود التوراة، وعلى النصارى الإنجيل، وإنما أخبره بذلك ليكون مستعدًا لهم؛

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ، رقم(٦٨٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

لأن أهل الكتاب هم أعلم الناس في ذلك الوقت بشرائع الله، فيحتاج الإنسان أن يعرف حالهم حتى يمكن أن يجادلهم بما يفحمهم ويخصمهم فيه **«وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»**.

وهذا هو مفتاح الإسلام، «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» وهذا لا يعني أن رسول الله ﷺ مختص بالرسالة، فهناك رسل قبله: موسى، وهود، وعيسى، وغيرهم، ولكن رسول الله هو خاتم النبيين، وقد نسخت شريعته جميع الشرائع، فلا نبي بعده، ولا شريعة سوى شريعته **«فإن هم أطاعوك في ذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»** وهذا هو الشاهد، وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر والجمعة بدل الظهر **«فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»**: **«في أموالهم»** هذه إحدى روايات البخاري، **«تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»**: الأغنياء هنا جمع غني، وهم الذين يملكون نصابًا زكويًا، والغني في كل موضع بحسبه، فيفسر في باب وجوب الزكاة بالنصاب الزكوي، ويفسر في باب أهل الزكاة بأنه الذي يجد ما يكفيه وعائلته لمدة سنة فأكثر **«فإن هم أطاعوك لذلك ـ وافقوا ـ فإياك وكرائم أموالهم»** يعني احذر أن تأخذ الطيب من الأموال بل خذ الوسط لا يظلمون ولا يُظلمون، لا تأخذ الردي فتظلم المستحقين للزكاة، ولا الأجود فتظلم الذين تجب عليهم الزكاة، خذ الوسط.

«واتق دعوة المظلوم» يعني أنك إن أخذت من كرائم أموالهم فقد ظلمتهم، فيدعو عليك، «فاتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» تصل إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويستجيبها، ولو كانت من كافر، فالمظلوم ـ إذا دعا الله ولو كان كافرًا ـ، فإن الله ينتقم له ممن ظلمه إما عاجلاً وإما آجلاً، لأن هذا من باب إقامة العدل، والله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، ومن تمام حكمه العدل بين عباده، فيأخذ للمظلوم من الظالم، «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، والشاهد من هذا الحديث قوله: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة». والله الموفق.

*　　*　　*

١٠٧٨ ـ وعن جابر رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ[(١)]» رواه مسلم.

١٠٧٩ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةَ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم(١١٦).

(٢) رواه أحمد (٥/٣٤٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم(٢٥٤٥)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم(٤٥٩)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم(١٠٦٩).

١٠٨٠ ـ وعن شقيق بن عبد الله التابعي المُتَّفق عَلَى جَلالتِهِ رَحِمَهُ الله قالَ: كانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيئًا مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ[1]، رواه الترمذي في كتاب الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح

هذه الأحاديث في التحذير من إضاعة الصلاة، حديث جابر وحديث بريدة، أما حديث جابر فقد قال النبي ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»، وحديث بريدة: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

فهذان الحديثان يدلان على أن تارك الصلاة كافر، وأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، فالذي لا يصلي أشد من اليهود والنصارى، اليهود لو ذبحوا لأكل الإنسان ذبيحتهم، والنصراني لو ذبح لأكل الإنسان ذبيحته. أما تارك الصلاة لو ذبح فإن ذبيحته لا تحل.

تارك الصلاة مثلاً: لو كانت أنثى لا تصلي فإنه لا يحل للمسلم أن يتزوجها، ولو كانت نصرانية جاز أن يتزوجها المسلم، ولو كانت يهودية جاز أن يتزوجها المسلم.

تارك الصلاة لا يُقر على ترك الصلاة، بل يُقال: صل وإلا قتلناك، واليهودي والنصراني يقر على دينه إما بمعاهدة أو استئمان أو ذمة، فدل ذلك على أن ترك الصلاة أعظم من اليهودية والنصرانية، هذا الأمر الذي

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ماجاء في ترك الصلاة، رقم(٢٥٤٦).

يتهاون به الناس اليوم، وليُعلم أن الإنسان إذا ترك الصلاة وعقد له على امرأة فإن النكاح غير صحيح، ولو جامعها فإنه يجامعها بزنى ـ والعياذ بالله ـ وكذلك لو عقد له ـ وهو يصلي ـ ثم ترك الصلاة انفسخ النكاح، ووجب أن يفرَّق بينه وبين المرأة إلا أن يتوب ويعود للإسلام فيبقى على نكاحه، وليُعلم أيضًا أن تارك الصلاة ـ إذا مات على ترك الصلاة ـ فإنه لا يغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّى عليه ولا يُدفن مع المسلمين ولا يُدعى له بالرحمة، ولا تناله شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، ولكن كيف نصنع به؟

هل نبقي جيفته للكلاب تأكلها ونحن نشاهد؟ لا، لأن هذا كسر لقلوب أقاربه، لكن نخرج به برًا ـ في البر ـ ونحفر له حفرة ـ ليس قبرًا بل حفرة ـ ونرمسه فيها بثيابه بدون تكفين ولا تغسيل ولا صلاة عليه، ولا كرامة له، ولولا أن أهله يتأثرون لقلنا: يبقى على وجه الأرض تأكله الكلاب ـ والناس ينظرون إليه ـ لكنه يُرمس اتقاء لنتنه ورائحته وخبثه، وإذا كان يوم القيامة قال النبي ﷺ: «إنه يُحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبيِّ ابن خلف[١]» رؤساء الكفر، والعياذ بالله، لا يحشر مع أبي بكر وعمر وعثمان وعليٌّ رضي الله عنهم.

وبهذا نعلم أن ترك الصلاة أمر عظيم وأنه يجب على من مات عنده ميت ـ وهو لا يصلي ـ أن يبعده عن مساجد المسلمين، ولا يحل له أن يقدمه للمسلمين ليصلوا عليه، وهو يعلم أنه مات وهو لا يصلي ـ أبدًا فإن

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٩).

فعل فهو مسيء إلى المسلمين، والمسلمون ليس عليهم جناح؛ لأنهم ما علموا، لأن الله قال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]. والذي لا يصلي كافر بالله ورسوله، حتى لو قال: أومن بأن الله موجود، وأن محمدًا رسوله، فلا يكفي هذا، لأن المنافقين يقولون مثل هذا الكلام. ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

ثم اعلم أنه إذا مات لك ميت ـ وهو لا يصلي ـ فإنه لا يحل لك من ميراثه شيء على قول أكثر أهل العلم، لأن ميراثه ليس لأقاربه المسلمين، كما أنه هو لو مات عنه قريب مسلم فإنه لا يرثه، يعني: مثلاً إنسان مات وله ابن لا يصلي، وله ابن عم بعيد يصلي، من يرثه؟ يرثه ابن العم البعيد، وابنه لا يرث، ولو مات عن أبيه ـ وهو لا يصلي ـ وله عم، والولد غني ومات عن أبيه الذي لا يصلي وعن عمه المسلم الذي يصلي فالمال لمن؟ المال للعم لقول النبي ﷺ: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**[1]» وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، كما حكاه عنهم عبد الله بن شقيق أو شقيق بن عبد الله قال: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة. وقال

(١) رواه البخاري: كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر السملم، رقم(٦٢٦٧)، ومسلم: كتاب الفرائض، رقم(٣٠٢٧).

النووي في هذا الرجل: إنه متفق على جلالته وثقته وعدالته وتحريه، وقد صرح علماؤنا المتأخرون كالشيخ عبد العزيز بن باز ـ حفظه الله ـ على أنه ـ أي تارك الصلاة ـ كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، وأنه مرتد عن دين الإسلام، ومع الأسف أن الناس الآن يتهاونون في هذا الأمر العظيم. نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعًا لما فيه الخير والصلاح.

١٠٨١ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فإنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنَجحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيئًا، قالَ الرَّبُّ ـ عزَّ وجلَّ ـ انظُروا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فيُكَمَّلُ منها ما انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثمَّ تكونُ سَائِرِ أَعمالِهِ عَلَى هذا[1]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا آخر حديث في باب فضل الصلاة المفروضة والوعيد الشديد على من تركها والنهي الأكيد، وفيه أن أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة الصلاة ـ وهذا بالنسبة لحق الله عزَّ وجلَّ ـ فأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإلا فعلى العكس خاب وخسر ـ والعياذ بالله ـ، أما بالنسبة لحقوق الآدميين فأول ما يقضى بين الناس في الدماء، لأنها أعظم الحقوق، الدماء: يعني القتل، ثم يأتي بقية المحاسبة

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ لا يتمها، رقم(٧٣٣)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، رقم(٣٧٨)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم(٤٦١).

على ما بقي، ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا حاسب العبد على الصلاة وصلحت أفلح ونجح، وإلا خاب وخسر، ثم يأمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يُنظر في أعماله: هل له نوافل، فإنها تكمل بها الفرائض، ولهذا كان من فضل الله ورحمته ونعمته وإحسانه أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات وقبلها وفي كل وقت إلا الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، وذلك لأن الإنسان لابد أن يكون في صلاته خلل فتكُمّل، يُكَمّل هذا الخلل بهذه النوافل، فالظهر له أربع ركعات قبلها وركعتان بعدها، والأربع ركعات قبلها بتسليمتين، وصلاة العصر ليس لها راتبة لكن لها سنة مطلقة كما قال النبي ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**[١]» صلاة المغرب لها راتبة بعدها ركعتان وسنة مطلقة قبلها، الراتبة بعدها ركعتان، صلاة العشاء بعدها ركعتان، صلاة الفجر قبلها ركعتان، صلاة الليل، صلاة الوتر، صلاة الضحى، كل هذه النوافل يزداد بها أجر المصلي ويُكمّل بها النقص الذي حصل في الصلوات المفروضة، وهذه من نعمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة، رقم(٥٨٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، رقم(١٣٨٤).

١٩٤ـ باب فضل الصف الأول
والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها

١٠٨٢ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: أَلاَ تَصُفُّون كما تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رسُولَ الله وَكيْفَ تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّها؟ قال: «يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأولَ، وَيَتَرَاصُّون في الصَّفِّ[١]» رواه مسلم.

١٠٨٣ـ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعلَمُ النَّاس مَا في النِّدَاءِ والصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا[٢]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل الصف الأول والتراص في الصفوف وتسويتها وإكمال الأول فالأول.

هذه مسائل متعددة بيّن ـ رحمه الله ـ حكمها بما ساقه من الأحاديث.

الحديث الأول: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها**»: الملائكة لهم عبادات متنوعة، وهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة، رقم(٦٥١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم(٥٨٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦١).

يستكبرون عن عبادة الله ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

وتأمل قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. ولم يقل: يسبحون في الليل والنهار؛ لأنهم يستوعبون الوقت كله في التسبيح، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومن عباداتهم عند ربهم أنهم يصفون عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦]. وكيف صفوفهم؟ قال النبيّ ﷺ: «**يكملون الأول ـ يعني: فالأول ـ ويتراصون**» إذن فنحن إذا صففنا بين يدي الله في صلاتنا ينبغي أن نكون كالملائكة: يكملون الأول فالأول ويتراصون.

«**الأول فالأول**»: كما أنه من سنة الملائكة عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومما رغب فيه النبي ﷺ هو من الأمور التي ينبغي أن يتزاحم الناس عليها؛ لأن النبي ﷺ قال في حديث أبي هريرة: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول**» يعني من الأجر «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» يعني لو لم يجدوا طريقًا يصلون إلى الصف الأول به إلا أن يستهموا عليه ـ يعني يقترعون قرعة، لاستهموا ـ وهذا يدل على فضيلة الصف الأول ويدل على أن الأفضل التراص في الصفوف، ويدل على أنه يكمل الأول فالأول فهذه ثلاث مسائل ينبغي للإنسان أن ينتبه لها:

أولاً: ألا يقف في صف حتى يكمل الصف الذي قبله، يكمل الأول فالأول.

ثانيًا: في الصلاة يتراصون: يلصق بعضهم كعبه بكعب أخيه، ومنكبه بمنكبه حتى تتم المراصة، لأنهم إذا لم يتراصوا أتدرون ما يحصل؟ تدخل

الشياطين بينهم، كالحدث أي كأولاد الغنم الصغار، ثم يشوشون عليهم صلاتهم، فإذا تراصوا لم يبق للشياطين مكان، ولكن يجب التنبُّه لمسائل:

المسألة الأولى: ليس المراد بالمراصَّة المرصَّة التي تشوش على الآخرين، يعني يرصه حتى يتعبه ويؤذيه، فإن هذا لا يجوز، وإنما المراد منها ألا يكون بينك وبينه فرجة، هذه هي المراصة، أما المراصة التي يحصل بها أذية وتشويش على أخيك الذي عندك فليست مطلوبة.

ثانيًا: الصف الأول: «لو لم يجد الناس إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» لا يجوز التقدم إليه بوضع منديل أو وضع كتاب، أو ما أشبه ذلك، أو يتحجر مكانًا، وقد سمعت بعض الناس أنهم كانوا في صلاة الجمعة، فجاء شخص متقدم ووجد مكانًا في الصفوف الأولى خاليًا، فتقدم إليه وصلى فيه، ثم جاء رجل كان من عادته أن يصلي في هذا المكان، وكأنما اشتراه من كيسه، فلما وجد من سبقه قال له: ماذا تبغي من المكان؟ قال له ما قعدت مكانك، وإنما أنا وجدت مكانًا خاليًا فجلست فيه، فقال: لا، هذا مكاني، فإنني أجلس هنا ـ عادة ـ، وأنا واضع فيه كذا وكذا من حاجياتي، فسبحان الله من أين له ذلك؟ إن المساجد لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ومن جاء أولاً فهو أحق، وليس أحد أحق بمكانه منه، فالإنسان يجب أن يتجنب هذه الأمور، بل قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ أن التحجر حرام، وأنه لا يجوز.

حتى إن بعض الفقهاء قال: يتوجه أن لا تصح صلاته، لأنه شبه مغصوب حيث إنه جلس في مكان لا يستحقه.

فالأحق بالمكان من جاء إلى المسجد أولاً، ولولا أني أخشى الفتنة لأتيت على جميع الذين يضعون شيئًا يتحجرونه، ورميتها في الشارع، ولكني أخشى من فتنة ومن عداوة ومن بغضاء نحن في غنًى عنها.

فقول الرسول ﷺ: «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» يعني: أنهم يتقدمون ويتسابقون، ثم إن التحجر فيه مضرة فالإنسان يقول: أنا مكاني الآن مضمون، فيتأخر فينحرم من الخير بناء على أن مكانه مضمون.

نعم إذا حضر إلى المسجد ولكنه أراد أن يبتعد عن الصف الأول لأجل أن يقرأ أو يصلي أو يراجع أو ينام ـ ولا بأس بالنوم في المسجد ـ فلا بأس، لأنه يستحقه، لكن يجب أن يصل إلى مكانه قبل أن تتصل الصفوف فيحتاج إلى تخطي الرقاب، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى الرقاب فقال: «**اجلس فقد آذيت**»[١].

وفي حديث أبي هريرة الثاني دليلٌ على جواز الاستهام في القرب، يعني يطق القرعة لو تنازع اثنان في الأذان، قال واحد: أنا الذي أؤذن، وقال الآخر: لا بل أنا سأؤذن وليس منهم مؤذن راتب، وكلهم متساؤون في الصفات المطلوبة في الأذان، فحينئذٍ نقرع بينهما، فمن خرجت له القرعة فهو الذي يؤذن، ومع الأسف أنك ترى بعض الناس جماعة في سفر أو نزهة أو ما أشبه ذلك، كل واحد يقول للثاني ـ أَذّن أنت، أذّن أنت، وهو لا يعلم ما في الأذان من خير فلا يسمع صوتك شجر ولا مَدَرٍ، ولا حجر إلا شهد لك يوم القيامة فكيف تترك هذه الغنيمة التي ينبغي أن تبادر

---

(١) المستدرك: (١/ ٤٢٤).

نحوها، فكل من هذين الرجلين ـ من يتنازل عن الأذان لغيره، أو من يتنازل عن الصف الأول ـ كلاهما مخطىء، ولو قدرنا أنه فعل ذلك حتى لا يغضب الآخرون، لماذا؟ لأنه ينبغي له أن يفعل السنة، أما إذا استنكف واستكبر فإنه آثم.

ملحوظة: بعض الإخوة تجده - ويظن أنه من السنة- يباعد بين رجليه في الصف فتطابق رجله رجل الواقف بجواره لكن كتفه بعيد عنه، وهذا خطأ، وليس من السنة، فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا وقفوا تراصّوا حتى يكون المنكب يمس المنكب، والكعب يمس الكعب، وكل شيء على طبيعته، فليس معنى التراص أن تلصق قدميك بقدم من بجوارك فهذا فهم للسنة على غير حقيقتها.

نسأل الله أن يهدينا إلى الخير وأن يجعلنا من المتسابقين إليه إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٨٤ ـ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «خَيْرُ صُفوفِ الرِّجالِ أوَّلُها، وَشَرُّها آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُها، وَشَرُّها أوَّلُهَا[1]» رواه مسلم.

١٠٨٥ ـ وعن أَبِي سَعيد الخُدْرِي رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ رأى في أصْحَابِهِ تأخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بي. وَليأتَمَّ بكم مَنْ بَعْدَكُمْ، لا يَزَالُ قَوْمٌ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦٤).

يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرهُمُ الله[(١)]» رواه مسلم.

١٠٨٦ ـ وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنا في الصَّلاة، وَيَقُولُ: «اسْتوُوا وَلاَ تختلِفوا فتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأحْلامِ وَالنُّهى، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونهمْ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ[(٢)]» رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاةِ[(٣)]» متفقٌ عليه.

وفي رواية للبخاري: «فإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاةِ».

الشــرح

هذه الأحاديث في بيان فضل الصفوف نقلها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**» وذلك أن صفوف النساء تكون خلف الرجال، وهذا هو السنة، فإذا كان أولها فهو قريب من الرجال فيكون شرها، وآخرها بعيد عن الرجال فيكون

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٥٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة، رقم(٦٨١)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٥٦).

خيرها، أما الرجال فكلما تقدموا فهو أفضل كما قال النبي ﷺ محذرًا عن التأخر: «**لا يزال قومٌ يتأخرون حتى يؤخرهم الله**» وهذه خطيرة: أن الإنسان - كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني وهو في الثالث أو الثالث وهو في الرابع ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح - والعياذ بالله - ولهذا قال: «**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**» فأنت - يا أخي - تقدّم في الصف الأول فالأول.

وقوله في الحديث: «**خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»: ما لم يكن النساء في مكان خاص لهن، فإن خير صفوفهن أولها، لأنه أقرب من الإمام ولا محذور فيه، لأنهن بعيدات من الرجال فلا محذور في ذلك.

ثم ذكر أن النبي ﷺ كان يسوي مناكب أصحابه عند التسوية، مناكبهم: يعني أكتافهم ويقول: «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» يعني: أن اختلاف الناس - بعضهم متقدم وبعضهم متأخر - يوجب اختلاف القلوب، وآخر الآحاديث أن الرسول ﷺ أمر بتسوية الصف وقال: «**إن تسوية الصفّ من تمام الصلاة**» وهو كذلك، وفي رواية: «**تسوية الصفوف من إقامة الصلاة**» فالذي ينبغي لنا أن نقيم صفوفنا بالتسوية، وتكميل الأول فالأول، والتراص حتى يكون ذلك من تمام صلاتنا.

ملحوظة: أحب أن أنبه على خصلة بدأ الناس يفعلونها وليست معروفة من قبل، ألا وهي أن الإنسان من حين أن يسلم يتقدّم على إخوانه ويستدبرهم، وهذا مما أخشى أن يكون داخلاً في النهي الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**ولا تدابروا**»، وقد شكى إليّ بعض الناس هذه الحال،

فقال: إنهم يصلون إلى جنبنا ثم يستدبروننا، ويعطوننا ظهورهم، لماذا وليس هناك حاجة؟ فلو كان ذلك في درس وأراد أن يسمع كلام المتكلم، فلا بأس، أما إذا قال: أنا أستضيق مثلاً، فهذا نقول له: قم وابعد عن الصف، حتى لا تكون مستدبرًا لصحبك، اذهب إلى القبلة أو إلى خلف الصفوف حتى لا تستدبر إخوانك المسلمين، إني ـ والعلم عند الله ـ أشعر بأن الإنسان إذا تقدم يشعر بنفسه كأنه متقدم على الناس والناس دونه مرتبةً وما أشبه ذلك، فأخشى أن يلعب الشيطان بهذا الإنسان.

وأنا أرى أن هذا الفعل داخل تحت النهي في الحديث المتقدم، فمن تقدم على إخوانه في الصف بعد السلام، أخشى عليه أن يختلف قلبه من أجل تقدمه هذا، لذا أنصح من يفعل هذا الفعل أن يتركه. والله الموفق.

* * *

١٠٨٨ ـ وعنه رضي الله عنه قال: أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فأقبلَ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «أَقِيْمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي[١]» رواه البُخاري بِلفْظِهِ، ومُسْلِم بمعناه.

وفي رواية للبُخاري: وكَانَ أحَدُنَا يُلْزِقُ منكبه بمنكب صاحبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدمِهِ[٢]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف، رقم(٦٧٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم، رقم(٦٨٣).

١٠٨٩ ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بن بشر رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وَجُوهِكُمْ[(١)]» متفقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُسوِّي صفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسوي بِهَا القِدَاح حَتَّى رأى أنَّا قد عَقلنا عَنْهُ، ثُمَّ خَرجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَاد يُكبر، فَرَأى رَجُلاً بَاديًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فقالَ: «عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وجُوهِكُمْ[(٢)]».

الشرح

هذه الأحاديث في تتمة باب إقامة الصفوف والحث على تسويتها وما يتعلق بذلك. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يسوي الصفوف فيقبل على الناس ويقول: «**أقيموا صفوفكم، فإني أراكم من وراء ظهري**» فأمرهم ﷺ بإقامة الصفوف، وأخبر أنه يراهم من وراء ظهره؟ وهذا من خصائص النبي ﷺ أنه في هذه الحال المعينة يرى الناس من وراء ظهره، أما فيما سوى ذلك فإنه كغيره لا يرى من وراء ظهره شيئًا، وأخبر ﷺ في حديث النعمان بن بشير: أنهم إما أن تسووا الصفوف أو يخالفن الله بين قلوبكم فقال: «**عباد الله لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**».

واختلف العلماء في قوله: «**بين وجوهكم**». فقيل المعنى أن الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، رقم(٦٧٦)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٥٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦٠).

يعاقبهم بأن يجعل وجوههم نحو ظهورهم، فتُلوى الأعناق، وقيل المعنى بين وجوهكم: أي بين وجهات نظركم، وهو كالحديث الذي سبق: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» وهذا المعنى أصح وأرجح، ومعلوم أن الاختلاف الظاهر يؤدي إلى اختلاف الباطن، فإذا اختلف الناس فيما بينهم ظاهرًا أدى ذلك إلى اختلاف القلوب، وإذا اختلفت القلوب صار الشر والفساد ـ والعياذ بالله ـ وخلاصة هذا الباب كله: أننا مأمورون بتسوية الصفوف على النحو التالي:

أولاً: تسوية الصف بالمحاذاة: بحيث لا يتقدم أحد على أحد، ولهذا كان الصحابة يلصق أحدهم كعبه بكعب صاحبه، ومنكبه بمنكبه، وفي هذا الوصف دليلٌ على فساد فهم هؤلاء الذين إذا وقفوا في الصف باعدوا بين أرجلهم حتى تكون أقدامهم لاصقة بأقدام الآخرين لكن المناكب متباعدة، وهذا بدعة، والسنة أننا نتراص جميعًا يرص الواحد صاحبه بحيث يلصق كعبه بكعبه ومنكبه بمنكبه بدون مباعدة بين الأرجل بل ندعها مستقيمة على طبيعتها.

ثانيًا: تسوية الصف بإكمال الأول فالأول بحيث لا يصف أحد في الصف الثاني والأول لم يتم، أو في الثالث والثاني لم يتم أو في الرابع والثالث لم يتم وهكذا.. الخ.

ثالثًا: أن الأولى إذا اجتمع رجال ونساء أن تبتعد النساء عن الرجال، فإن خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها.

رابعًا: سد الفرج: ألا ندع للشياطين فرجًا يدخلون من بينها، لأن

الشياطين تسلط على بني آدم ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى، وامتحانًا فإذا وجدوا فرجة في الصف تخللوا المصلين حتى يشوشوا عليهم صلواتهم.

خامسًا: إذا كانوا ثلاثة فإنه يتقدم أحدهم إمامًا ويكون الباقيان خلفه، سواء كان الاثنان بالغَيْن أو صغيرين، أو بالغ وصغير - كلهم يكونون خلفه، لأن ذلك ثبت عن النبي ﷺ في صلاة النفل، وصلاة الفرض مثل صلاة النفل إلا إذا قام دليلٌ على الفرق بينهما والله الموفق.

* * *

١٠٩٠ - وعن البَرَاءِ بنِ عازِب رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيةٍ إلى ناحية، يَمسَحُ صُدُورَنَا، وَمَنَاكِبنا، ويقولُ: «لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأوَّل[1]» رواه أبوداود بإسناد حَسَنٍ.

١٠٩١ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأَيْدِي إِخْوانِكُمْ، وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشيطانِ، ومَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله[2]» رواه أبوداود بإسناد صحيح.

١٠٩٢ - وَعَنْ أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «رُصُّوا صُفُوفكُمْ،

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٦٨).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٩٧)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٧٠)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب من وصل صفًّا، رقم(٨١٠).

وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا الأعناقِ فَو الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأرى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ[(١)]» حديثٌ صحيحٌ رواه أبوداود بإسناد على شرط مسلم، «الحذَفُ» بحاءٍ مهملةٍ وذالٍ معجمةٍ، مفتوحتين، ثم فاءٌ وهي: غَنَمٌ سُودٌ صغارٌ تَكُونُ بِاليَمَنِ.

الشرح

هذه الأحاديث في تكملة هذا الباب الذي فيه بيان فضيلة الصف الأول وتكميل الأول فالأول من الصفوف، فإن في هذه الأحاديث دليلاً على مسائل:

أولاً: أن النبي ﷺ كان يمسح صدور أصحابه ومناكبهم، ليسوي صفوفهم، ويقول: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**».

ثانيًا: وكان النبي ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يسوي بيده الكريمة، وكان هذا عادته.

ولما كثر الناس في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي زمن عثمان، صار هناك رجال موكلون من قبل الخليفة، يسوون الصفوف، فإذا جاءوا إلى الإمام وقالوا: إن الصفوف قد تمت، وكملت، كَبّروا للصلاة، وهذا دليلٌ على عناية النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بالصفوف، والتراص فيها، والتسوية، وعدم فرجات الشيطان، حتى تكون الصلاة تامةً مستوية، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة، ومن إقامة الصلاة. والله الموفق.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٧١).

١٠٩٣ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «أَتِمُّوا الصَّفَّ المقدَّم، ثُمَّ الَّذي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ في الصَّفِّ المُؤَخَّرِ[١]» رواه أبو داود بإسنادٍ حسن.

١٠٩٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصفوفِ[٢]» رواه أبوداود بإسناد عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وفيه رجلٌ مُخْتَلَفٌ في تَوْثيقِهِ.

١٠٩٥ ـ وَعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قالَ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رسولِ الله ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يقول: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ ـ أَوْ تَجمَعُ ـ عِبَادَكَ[٣]» رواه مسلم.

١٠٩٦ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «وَسِّطُوا الإِمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ[٤]» رواه أبو داود.

الشرح

هذه بقية الأحاديث في بيان فضل الصفوف الأُوَل، وقد سبق أن النبي ﷺ أمر بأن يُكمل الصفُّ الأول فالأول، وأخبر أن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول، وفي حديث أنس بن مالك الذي نقله المؤلف في

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٢)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٧٤)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب الصف المؤخر، رقم(٨٠٩).

(٢) رواه أبو داود: كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف، رقم (٥٧٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب يمين الإمام، رقم(١١٥٩).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب مقام الإمام من الصف، رقم(٥٨٣).

هذا الباب: أن النبيّ ﷺ أمر أن نبدأ بالصف المُقَدّم فالمقدم وما كان من نقص فليكن في المؤخَّر، يعني أمرهم أن يُتموا الصفوف الأول فالأول، وما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر، وهذا يدل على أن من صف في الصف الثاني قبل تمام الأول ـ ولو كان معه غيره ـ فإنه لم يُصِب السنة، بل السنةُ ألا يكون أحد في الصف الثاني حتى يتم الأول ولا في الثالث حتى يتم الثاني.. ولا في الرابع حتى يتم الثالث وهُلم جَرّا.

وفي الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هنا أن النبي ﷺ قال: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**[1]» لكن هذا الحديث فيه رجلٌ مختلف في توثيقه، وعلى هذا فيكون ضعيفًا ـ وإن كان على شرط مسلم من حيث الإسناد ـ لكن إذا كان فيه رجلٌ مُختلفٌ بتوثيقه فليكن ضعيفًا.

أما الحديث الأخير فإن النبي ﷺ أمر أن يُوسّط الإمام فقال: «**وسّطوا الإمام**» يعني: اجعلوه وسطًا، وهذا هو العدل أن يكون الإمام ليس مائلاً إلى اليمين ولا إلى الشمال، بل يكون في الوسط، ولهذا لما كان في أول الإسلام أو في الهجرة وكان الناس يصفّون إذا كانوا ثلاثة صفًّا واحدًا كان المشروع أن الإمام يكون بينهم ـ لا يكون متطرفًا من حيث اليسار، بل يكون بينهم فدل ذلك على أن توسيط الإمام له أهمية، وبه نعرف أن ما

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر، رقم(٥٧٨)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل ميمنة الصف، رقم(٩٩٥).

يفعله بعض الناس الآن: تجدهم يُكملون الصف الأيمن والصفُ الأيسر ليس فيه إلا القليل هذا خلاف السنة، والسنة أن يكون اليمين واليسار متقاربين، فإذا تساويا فهنا نقول: الأيمن أفضل فإن زاد رجل أو رجلان في الأيمن فلا بأس، أما أن يكون الصف الأيمن تامًّا والأيسر ليس فيه إلا قليل فهذا خلاف السنة، لأن ذلك ليس فيه توسيط الإمام، وقد تقدم أن الحديث الذي فيه: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**» فيه رجلٌ قد اختُلف في توثيقه.. والله أعلم.

* * *

١٩٥- باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

١٠٩٧ - عَنْ أُمِّ المُؤْمِنينَ أمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بنت أبي سُفيان رضي الله عنهما قَالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله تَعَالَى في كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ رَكْعَةً تَطَوَّعًا غَيْرَ الفَرِيضَةِ، إلاَّ بَنى اللهُ لهُ بَيْتًا في الجنَّةِ! أَوْ: إلاَّ بُنِيَ له بَيْتٌ في الجَنَّةِ[١]» رواه مسلم.

١٠٩٨ - وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغرِبَ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ[٢]. متفقٌ عليه.

١٠٩٩ - وعنْ عبدِ الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بيْنَ كلِّ أذانينِ صَلاةٌ» وقال في الثالثة: «لِمَنْ شَاءَ[٣]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه رياض الصالحين باب فضل

---

(١) رواه البخاري: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، رقم(١٩٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى، رقم(١٠٩٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها، رقم(١٢٠٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء، رقم(٥٩١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، رقم(١٣٨٤).

النوافل والسنن الراتبة التابعة للمكتوبات، واعلم أن من نعمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن شرع لعباده نوافل زائدة على الفريضة لتكمل بها الفرائض، لأن الفرائض لا تخلو من نقص، فشرع الله لعباده نوافل تكمل بها الفرائض، ولولا أن الله شرّعها لكانت بدعة، لكن من نعمة الله أن شرع هذه النوافل حتى تكمل نقص الفرائض، والنوافل أنواع متعددة وأجناس: منها الرواتب التابعة للمكتوبات وهي: اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر يسلم من كل ركعتين، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، هذه اثنتا عشرة ركعة، من صلاّهن في كل يوم وليلة «**بنى الله له بيتًا في الجنة**» كما في حديث أم حبيبة رضي الله عنها.

والأفضل أن تُصلَّى هذه الرواتب في البيت، لا في حق المأموم ولا في حق الإمام، لأن النبي ﷺ قال: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**[1]» حتى لو كنت في مكة أو في المدينة، فالأفضل أن تُصلّي هذه السنن الراتبة في بيتك؛ لأن النبي ﷺ كان يُصلّيها في بيته ويقول: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**».

وهناك نوافل تابعة للمكتوبات لكنها ليست كهذه الرواتب وهو ما رواه عبد الله بن مُغَفّل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بين كل أذانين صلاة بين**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم(٦٧٤٦).

كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة» وقال في الثالثة «لمن شاء» لئلا يتخذها الناس سنة راتبة، وعلى هذا فيكون بين كل أذانين - يعني بين الأذان والإقامة - الفجر بين الأذان والإقامة سنة راتبة، الظهر بين الأذان والإقامة سنة راتبة، العصر ليس لها راتبة قبلها ولا بَعدها لكن تدخل في هذا الحديث أن الإنسان إذا أُذّن لصلاة العصر فليُصلّ ركعتين قبل الإقامة، المغرب كذلك ليس لها سنة راتبة قبلها لكن يُسنّ أن يُصلي ركعتين بعد أذان المغرب، وقد ورد فيها حديث بخصوصها قال: «صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب[1]» ثلاثًا وقال في الثالثة: «لمن شاء»، العشاء كذلك ليس لها راتبة قبلها لكن تدخل في الحديث أن يُصلي بعد الأذان وقبل الإقامة ركعتين، وإذا فاتت الرواتب التي قبل الصلاة، بأن جاء والإمام يصلي الفريضة فإنه يقضيها بعد ذلك.

وإذا كان للصلاة سنّتان قبلها وبعدها، وفاتته الأولى فإنه يبدأ أولاً بالبعدية ثم ما بالقضاء. مثال ذلك: دخل والإمام يُصلي الظهر - وهو لم يُصلّ راتبة الظهر - فإذا انتهت الصلاة يُصلي أولاً الركعتين اللتين بعد الصلاة ثم يقضي الأربع التي قبلها.

الجمعة قال ابن عمر رضي الله عنهما: إن النبي ﷺ كان يصلي بعدها ركعتين، وثبت عنه ﷺ أنه أمر أن يُصلي الإنسان بعدها أربع ركعات فقال:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٥٥)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل المغرب، رقم(١٠٨٩).

«**إذا صلى أحدكم الجمعة فليُصلّ بعدها أربعًا**[١]» فقال بعض العلماء: يقدم القول وتكون راتبة الجمعة أربع ركعات، وقال بعضهم: يجمع بين القول والفعل فتكون راتبة الجمعة ست ركعات، وقال بعضهم: إن صليت راتبة الجمعة في المسجد فأربع، وإن صليتها في البيت فركعتان، لأن الرسول ﷺ يصليها في البيت ركعتين، وقال: «**صلوا بعد الجمعة أربعًا**» فإن صلى في المسجد فأربع، وإن صلى في البيت فركعتان والأمر في هذا واسع ـ إن شاء الله ـ لكن ينبغي للإنسان أن يحرص على هذه السنن الرواتب لما فيها من الخير وتكميل ناقص الفرائض.

وإذا فاتت سنة الفجر فأنت بالخيار إن شئت فاقضها إذا صليت الفجر، وإن شئت أخرها، لكن الغالب أن الإنسان إذا أخَّرها ينسى أو ينشغل والأمر ما دام أنه ليس فيه نهي لأنها ذات سبب وتابعة للصلاة فصلّها بعد أن تصلي الفجر. والله أعلم.

* * *

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم(١٤٥٧).

١٩٦- باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

١١٠٠ - عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْر، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ(١). رواه البخاري.

١١٠١ - وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: لمْ يَكن النَّبيُّ ﷺ على شيءٍ مِنَ النَّوافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتي الفجر(٢). متفق عليه.

١١٠٢ - وَعَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «رَكْعَتَا الفَجْرِ خيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيها(٣)» رواه مسلم.

وفي رواية: «لَهُمَا أَحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيَا جَميعًا(٤)».

١١٠٣ - وَعَنْ أَبِي عبدِ الله بلال بن رَبَاحٍ رضي الله عنه مُؤَذِّنِ رسول الله ﷺ أنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ لِيُؤْذنه بِصَلاةِ الغدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْر سَأَلَتْه عَنْهُ، حَتَّى أصبحَ جدًّا، فَقَامَ بِلالٌ فآذنه بالصَّلاة، وتَابَاعَ أَذَانَهُ، فَلَمْ يَخرُجْ رَسُولُ الله ﷺ فلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَخبَرَهُ أَنَّ عائشةَ شَغَلَتْهُ بأَمْرٍ سَأَلَتْه عَنْهُ حتى أصبَحَ جِدًّا وأنَّهُ أبطَأَ عَلَيْهِ بالخُروجِ، فَقَالَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ: «إنِّي كُنتُ رَكعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ» فقالَ: يا رسول الله إنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدًّا! فَقَالَ: «لوْ أصبَحتُ أكْثَرَ مِمَّا

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الركعتين قبل الظهر، رقم(١١١٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعًا، رقم(١٠٩٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما، رقم(١١٩١).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي الفجر والحث عليهما، رقم(١١٩٣).

(٤) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي السنة الفجر والحث عليهما، رقم(١١٩٤).

أصبَحتُ، لرَكعْتُهُما، وأحْسَنْتُهُمَا، وأَجملْتُهُمَا[١]» رواه أبو داود بإسناد حسن.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب تأكيد ركعتي الصبح: يعني سنة الفجر.

وتمتاز سنة الفجر وهي ركعتان قبل الصلاة بأمور:

أولاً: أنه يسن تخفيفهما، فلو أطالهما الإنسان لكان مخالفًا للسنة، بل يخفف حتى كانت عائشة رضي الله عنها تقول: «إنه يخفف فيهما حتى أقول: أقرأ بأم القرآن أم لا» من شدة التخفيف.

ثانيًا: أنه يسن فيهما قراءة معينة: إما: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ في الركعة الأولى، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الثانية، وإما ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا . . .﴾ [البقرة: ١٣٦]. و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا . . .﴾ [آل عمران: ٦٤]. يعني مرة هذا ومرة هذا.

ثالثًا: أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل ـ يعني رواتب الصلوات ـ لم يكن أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر. يتعاهدهما عليه الصلاة والسلام.

رابعًا: أن النبي ﷺ أخبر: «**أنهما خير من الدنيا وما فيها**» و«**أحب إليه من الدنيا وما فيها**».

خامسًا: أن النبي ﷺ لم يكن يدعهما حضرًا ولا سفرًا. كل هذه تتميز

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما، رقم(١٠٦٦).

بها سنة الفجر، فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها وأن يحرص عليها حضرًا وسفرًا، وإذا فاتته قبل الصلاة فليصلِّهما بعد الصلاة إما في نفس الوقت وإما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح.

وذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، لكنهما بتسليمتين، لأن الظهر راتبتها ست ركعات: أربع قبلها وركعتان بعدها فينبغي لنا أن نحرص على ما كان النبي ﷺ يحرص عليه وأن نقتدي بسنته ﷺ ما استطعنا، فإن الله يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. والله الموفق.

* * *

باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تهجد بالليل أم لا

١١١٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذاصلَّى رَكْعَتي الفَجْرِ، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ(١). رواه البخاري.

١١١١ ـ وعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاةِ العِشَاءِ إلى الفَجرِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّم بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِواحِدَةٍ، فَإِذَا سَكَتَ المُؤَذنُ مِنْ صَلاةِ الْفَجْرِ، وتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ، وَجَاءَهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفتيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّه الأيْمن، هكذا حَتَّى يأتِيهُ المُؤَذِّنُ للإقَامَةِ(٢). رواه مسلمٌ.

قولها: «يُسَلِّم بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ» هكذا هو في مسلم ومعناه: بَعْدَ كُلِّ ركعتين.

١١١٢ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ «إذَا صَلَّى أحَدُكُمْ رَكعتَي الفَجْرِ، فَلْيضْطجعْ عَلَى يَمينِهِ(٣)».

رواه أبوداود والترمذي بأسانيد صحيحة. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر، رقم(١٠٩٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢١٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٤١٥)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الاضطجاع بعدها، رقم(١٠٧٠)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ماجاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، رقم(٣٨٥).

الشرح

سبق لنا أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتي الفجر، وسبق أن هاتين الركعتين تتميزان عن بقية الرواتب بمميزات سبق ذكرها، ومن مميزاتهما: أنه إذا صلَّى هاتين الركعتين اضطجع على شقه الأيمن كما كان النبي ﷺ يفعل، ثبت ذلك عن عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: «**أنه كان إذا صلى سنة الفجر اضطجع بعدها على الجنب الأيمن**»، وفي حديث عائشة الثاني الذي رواه مسلم: «**أنه كان ﷺ يُصلي إحدى عشرة ركعة ويسلم بين كل ركعتين**»، وفي هذا دليلٌ على وهم من توهّم أنه إذ صلى إحدى عشرة ركعة يُصلي أربعًا جميعًا ثم أربعًا جميعًا ثم ثلاثًا بناءً على حديثها رضي الله عنها أنها قالت: «**كان النبي ﷺ لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا**[1]» فظن بعض الناس أنه يصلي أربعًا جميعًا ثم أربعًا جميعًا ثم ثلاثًا، وهذا وهم، فقد أخذهم ظاهر الحديث، فيحمل هذا على «أنه يصلي أربعًا» على ركعتين ركعتين، ثم يستريح ثم يصلي أربعًا على ركعتين ركعتين ثم يستريح، ثم يصلي ثلاثًا، هكذا يجب أن يُحمل، لأن الراوي عن النبي ﷺ في ذلك واحد وهي عائشة، والفعل واحد، فيجب حمل بعضها على بعض لتتفق السنة، لا يُقال: إنه يفعل هذا مرة وهذا مرة؛ لأن كلمة «كان» تدل على دوام الفعل

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل، رقم(١٠٧٩).

غالبًا.

وأما حديث أبي هُريرة في أمر النبي ﷺ: «**إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن**» فهذا ـ وإن كان الترمذي وأبوداود قد روياه، وقال المؤلف - رحمه الله -: إنه بأسانيد صحيحة فقد قال حبر الأمة وبحر العلوم العقلية والنقلية شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن هذا حديث منكرٌ، وإنه لم يصح الأمر به عن النبي ﷺ أي أمر هذه الضجعة بعد السجدتين ـ بعد الركعتين ـ في سنة الفجر، وما قاله الشيخ هو الصحيح لأنه حديث منكر لا عبرة به، لأن الرسول ﷺ لم يأمر بأن يضطجع الرجل إذا صلى سنة الفجر على جنبه الأيمن.

وقول المؤلف ـ رحمه الله ـ في الترجمة (لا فرق بين المتهجد وغيره) إشارة إلى خلاف في ذلك، وهو: أن بعض العلماء قال: يُسنّ الاضطجاع بعد ركعتي الفجر مطلقًا، وبعضهم قال: لا يسن مطلقًا، وبعضهم قال بالتفصيل: إن كان له تهجد فإنه يسن له أن يضطجع بعدهما من أجل الراحة بعد التعب، وإن لم يكن له تهجد فلا يضطجع، ومن أعجب الأقوال وأغربها أن بعض العلماء قال: إن الاضطجاع بعد سنة الفجر شرطٌ لصحة صلاة الفجر، وأن من لم يضطجع فصلاته باطلة؟؟ وهذه من غرائب العلم، وغرائب الأقوال؟ فما الربط بين هذا الاضطجاع وبين الصلاة؟؟ الاضطجاع منفصل عن الصلاة ولا علاقة له بها؟ لكن ذكرناه لأجل الإحاطة بآراء بعض أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ والصحيح هو ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله: أنه إذا كان الإنسان متعبًا من تهجدٍ فإنه يستريح،

يضطجع على الجنب الأيمن، وهذا بشرط ألا يخشى أن يغلبه النوم فتفوته الصلاة، فإن خشي من ذلك فلا يضطجع.

* * *

١٩٩- باب سنة الظهر

١١١٣ - عَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسول الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْل الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا[١]. متفقٌ عليه.

١١١٤ - وَعَنْ عَائشة رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ كانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ[٢]، رَواه البخاري.

١١١٥ - وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي في بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاس المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ بَيتي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّ بِالنَّاسِ العِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ[٣]. رواه مسلم.

١١١٦ - وعن أُمِّ حَبيبة رضي الله عنها قَالَتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدها، حرَّمَهُ الله على النَّارِ[٤]».

رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١١٧ - وَعَنْ عبدِ الله بن السائب رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُصلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أن تَزولَ الشَّمسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقالَ: «إِنَّها سَاعَةٌ تُفْتِحُ فيها أبوابِ السَّمَاءِ،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم(١٠٩٩)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب التطوع بعد المكتوبة، رقم(١١٠٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الركعتين قبل الظهر، رقم(١١١٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا وفعل بعض الركعة، رقم(١٢٠١).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب الأربع قبل الظهر وبعدها، رقم(١٠٧٧)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب منه آخر، رقم(٣٩٣)، والنسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الاختلاف على إسماعيل بن أبي خالد، رقم(١٧٩٣).

فَأُحِبُّ أَنْ يَصعَدَ لي فيها عَملٌ صالِحٌ[(١)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١١١٨ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، صلاَّهُنَّ بعْدَهَا[(٢)]. رواه الترمذي. وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب سنة الظهر، وذكر أحاديث متعددة كلها تدل على أن الظهر لها ست ركعات: أربع قبلها بسلامين، وركعتان بعدها، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع التي قبل الظهر فإنه يصليها بعد الظهر، لأن الرواتب تُقضى كما تُقضى الفرائض، ولكن قد ورد في حديث أخرجه ابن ماجه: **«أنه يبدأ أولاً بالسنة البعدية، ثم بالسنة القبلية»** فمثلاً جئت لصلاة الظهر والإمام يصلي ولم تتمكن من الراتبة قبل الصلاة، نقول: صَلِّ، فإذا انتهيت من الصلاة وأذكارها فصلِّ الركعتين اللتين بعد الصلاة، ثم صل ركعتين وركعتين للذي قبل الصلاة، هذا هو السنة.

وفي هذه الأحاديث دليلٌ على أن الإنسان ينبغي له أن يحافظ على الرواتب، لقول عائشة: كان النبي ﷺ: لا يدع أربع ركعات قبل الظهر ـ يعني لا يتركها ـ.

إلا أنه في السفر لا يصلي سنة الظهر لا الأولى ولا التي بعدها؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يصلي راتبة الظهر إذا كان مسافرًا. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند الزوال، رقم(٤٤٠).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب منه آخر، رقم(٣٩١).

٢٠٠ـ باب سنة العصر

١١١٩ ـ عَنْ عَليٍّ بْنِ أبي طَالب رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَع رَكَعَات، يَفْصِل بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْليم عَلَى المَلائِكَةِ المقرَّبين، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمين وَالمؤمنين[1]. رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١١٢٠ ـ وَعَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «رَحِمَ الله امْرَأً صَلَّى قبل العَصْرِ أَرْبَعًا[2]» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١١٢١ ـ وعَنْ عليٍّ بن أَبِي طالبٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصرِ رَكْعَتَيْنِ[3]. رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

* * *

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم(٣٩٤).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١١٧)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر، رقم(١٠٧٩)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم(٣٩٥).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر، رقم(١٠٨٠)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم(٣٩٤).

٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تَقَدَّمَ في هذه الأبواب حديثُ ابنِ عُمَرَ، وحَدِيثُ عائِشَةَ، وهما صَحيحانِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي بعْدَ المغربِ رَكعتَيْنِ.

رواه أبوداود بإسناد صحيحٍ.

١١٢٢ - وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «صَلُّوا قَبَلَ المغرب» قالَ في الثَّالثَة: «لمَنْ شَاء[١]» رواه البخاري.

١١٢٣ - وعن أَنس رضي الله عنه قالَ: لَقد رَأيتُ كِبارَ أصحابِ رسول الله ﷺ يَبْتَدِرثونَ السَّوارِيَ عند المغربِ[٢]. رواه البخاري.

١١٢٤ - وعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا نُصَلِّي عَلَى عَهدِ رسولِ الله ﷺ رَكْعَتينِ بعدَ غُروبِ الشَّمس قَبلَ المغربِ، فقيلَ: أكانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهُمَا؟ قالَ: كانَ يَرانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنا[٣]. رواه مسلم.

١١٢٥ - وعنه قالَ: كُنَّا بالمدينة فَإِذا أَذَّنَ المُؤذِّنُ لِصلاةِ المغربِ، ابْتَدَرُوا السَّوارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ ليدخُلَ المَسجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ صُلِّيت من كثرةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا[٤]. رواه مسلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الصلاة قبل المغرب، رقم(١١١١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانية، رقم(٤٧٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم(١٣٨٢).

(٤) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم(١٣٨٣).

٢٠٢ـ باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فيه حديثُ ابن عُمَرَ السَّابِقُ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وحديثُ عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ[(١)]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأبواب في بيان سنة العصر والمغرب والعشاء وقد سبق بيان سنة الفجر وسنة الظهر، فأما العصر فمن السنن قبلها أن يصلي الإنسان أربع ركعات استئناسًا بهذا الحديث: «**رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا**» وهذه الجملة دُعائية: يعني أن النبي ﷺ دعا لمن صلى قبل العصر أربعًا، وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند أهل العلم، لكنه يرجى أن ينال الإنسان الأجر إذا صلى هذه الأربع، وأما المغرب فلها سنة قبلها وبعدها، لكن السنة التي قبلها ليست راتبة، والتي بعدها راتبة، السنة التي قبلها فيها الحديث أن النبي ﷺ قال: «**صلوا قبل المغرب**» ثلاثًا وقال في الثالثة: «**لمن شاء**» لئلا تتخذ سنة راتبة، فإذا أذن المغرب فصلِّ ركعتين سنة لكن ليست كالسنة التي بعدها راتبة مؤكدة، بل هي سنة إن تركها الإنسان فلا حرج، وإن فعلها فلا حرج، ولهذا قال أنس: «كان النبي ﷺ يرانا نصلي فلم يأمرنا ولم ينهنا».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة، ومن ينتظر الإقامة، رقم(٥٨٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، رقم(١٣٨٤).

وأما العشاء فلها سنة قبلها وبعدها، لكن السنة قبلها ليست راتبة بل هي داخلة في عموم قول النبي ﷺ: «بين كل أذانين صلاة». أما بعدها فيسن بعدها ركعتان.

فتبيَّن بهذا أن الصلوات الخمس: الفجر لها سنة قبلها، وليس لها سنة بعدها، الظهر لها سنة قبلها وبعدها، العصر ليس لها سنة قبلها ولا بعدها - يعني راتبة - لكن لها سنة غير راتبة قبلها وأما بعدها فهو وقت نهي، المغرب لها سنة بعدها. أي: راتبة وقبلها غير راتبة، العشاء لها سنة بعدها يعني راتبة، وقبلها وليست براتبة، هذه هي السنن التابعة للمكتوبات.

ومن فوائدها: أنه إذا حصل نقص في الفرائض فإن هذه النوافل تكملها. والله أعلم.



٢٠٣ـ باب سنة الجمعة

فيه حديثُ ابنِ عمرَ السَّابق أنَّه صلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكعتين بَعد الجُمعة[١]. متفقٌ عليه.

١١٢٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا[٢]» رواه مسلم.

١١٢٧ ـ وَعَنْ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ لا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ في بَيْتِهِ[٣]، رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين، باب سنة الجمعة، الجمعة: صلاة مستقلة ليست هي الظهر؟ ولهذا لا تجمع العصر إليها، يعني إذا كنت مسافرًا، ومررت ببلد، وصليت معهم الجمعة فإنك لا تجمع العصر إليها، لأنها مستقلة، والسنة إنما جاءت بالجمع بين الظهر والعصر لا بين الجمعة والعصر. ولأنها أي: ـ الجمعة ـ تختلف عن سائر الصلوات بما يشرع قبلها وما يشرع بعدها وما يشرع في يومها ـ، فلا سنة قبلها ـ يعني ليس لها راتبة ـ إذا جاء الإنسان إلى المسجد يصلي ما شاء ـ إلى أن يحضر الإمام ـ من غير عدد معين، يصلي أحيانًا،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة وقيامها، رقم(٨٨٥)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم(١٤٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم (١٤٥٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم (١٤٦١).

ويقرأ أحيانًا حتى يأتي الإمام[١] سواء صلى ركعتين، أو صلى أربع ركعات، أو ست ركعات، أو ثماني ركعات، على حسب نشاطه، وأما بعدها فلها سنة راتبة، والسنة الراتبة التي بعدها: ركعتان في البيت لقول ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا صلى الجمعة لا يصلي بعدها شيئًا حتى ينصرف إلى بيته فيصلِّي ركعتين» وفي حديث أبي هريرة الذي ذكره المؤلف: أن النبي ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا**» فاختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل سنة الجمعة أربع ركعات يعني بسلامين أم ركعتان؟ فمنهم من قال: إنها أربع ركعات، لأن هذا هو الذي أمر به النبي ﷺ وأما الركعتان فهما فعله، وأمره مقدم على فعله فتكون أربع ركعات.

ومنهم من قال: هي ركعتان فقط؛ لأن هذا هو الذي ذكره ابن عمر رضي الله عنهما وأما الأربع فليست براتبة.

ومنهم من فصل فقال: إن صلى سنة الجمعة في المسجد صلّى أربعًا، وإن صلي في البيت صلى ركعتين. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ، ومنهم من قال: يجمع بين هذا وهذا: فيصلي أربعًا بأمر النبي ﷺ ويصلي ركعتين بفعله، فتكون السنة بعد الجمعة ست ركعات، والسنة في الجمعة في البيت أفضل، يعني على اختيار شيخ الإسلام ـ ولكن إن صليت في المسجد فإنك تزيدها أربع ركعات، والله أعلم. وهو الموفق.

---

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٢ / ٩٠)، وما بعدها.

٢٠٤ـ باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها، والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

عَنْ زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «صَلُّوا أيها النَّاسُ في بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ صَلاةُ المرءِ في بَيْتِهِ إلاَّ المَكْتُوبَةَ[1]» متفقٌ عليه.

١١٢٩ ـ وَعَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجعلُوا مِنْ صَلاتِكُمْ في بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوها قُبُورًا[2]» متفقٌ عليه.

١١٣٠ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ في المسجد، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصيبًا مِنْ صَلاتِهِ، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاتِهِ خَيْرًا[3]» رواه مسلم.

الشرح

لمّا ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ الرواتب التابعة للمكتوبات، بيّن في هذا الباب أن الأفضل للإنسان أن يصلي في بيته، وذكر في ذلك أحاديث منها:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب صلاة الليل، رقم(٦٨٩) ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٣٠١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، رقم(٤١٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٢٩٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٢٩٨).

أن النبي ﷺ قال: «**صلوا في بيوتكم، صلوا في بيوتكم**» فأمر أن يُصلّى في البيوت، فإن صلاة المرء في بيته أفضل إلا المكتوبة، فدل ذلك على أن الإنسان ينبغي له أن تكون جميع نوافله في بيته سواء الرواتب أو صلاة الضحى أو التهجد أو غير ذلك، حتى في مكة والمدينة الأفضل أن تكون النوافل فبي البيت، أفضل من كونها في المسجد، في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، لأن النبي ﷺ قال هذا وهو في المدينة والصلاة في مسجده خيرٌ من ألف صلاة إلا في المسجد الحرام. وكثيرٌ من الناس الآن يفضل أن يصلي النافلة في المسجد الحرام دون البيت، وهذا نوع من الجهل، فمثلاً إذا كنت في مكة وأُذّن لصلاة الفجر وسألك سائل: هل الأفضل أن أصلِّي الراتبة في البيت أو أذهب إلى المسجد الحرام؟ قلنا: الأفضل في البيت، صلاة الضحى أفضل في المسجد الحرام أو في البيت؟ قلنا: في البيت، التهجد أفضل في المسجد الحرام أو في البيت؟ قلنا: في البيت، وهلمَّ جرًّا. إلا الفرائض فالفرائض لابد أن تكون في المساجد، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الأخير: «**فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا**» يعني أن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، جعل الله في صلاتك فيه خيرًا. من هذا الخير أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك وألفوا الصلاة وأحبوها، ولا سيما الصغار منهم، ومنها أن الصلاة في البيت أبعد من الرياء، فإن الإنسان في المسجد يراه الناس وربما يقع في قلبه شيء من الرياء، أما في البيت فإنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء. ومنها أن الإنسان إذا صلى في بيته وجد فيه راحة، راحة قلبية وطمأنينة وهذا لا شك

أنها تزيد في إيمان العبد، فالمهم أن الرسول ﷺ أمرنا أن نصلي في بيوتنا إلا الفرائض.

كذلك أيضًا يستثنى من ذلك من النوافل قيام رمضان فإن الأفضل في قيام رمضان أن يكون جماعة في المساجد مع أنه سنة وليس بواجب، لكن دلت السنة على أنَّ قيام رمضان في المسجد أفضل، فإن الرسول ﷺ صلى بأصحابه ثلاث ليالٍ أو ليلتين ثم تخلّف وقال: «**إني خشيت أن تُفرض عليكم**». والله الموفق.

* * *

١١٣١ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَطَاءٍ أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيرٍ أَرْسَلَهُ إلى السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيءٍ رآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ في الصَّلاةِ فَقَالَ: نَعَمْ صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ في المقصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمامُ، قُمتُ في مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إليَّ فقال: لا تَعُدْ لِمَا فَعَلت. إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ، فَلاَ تصِلْها بِصَلاةٍ حتَّى تَتكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَنَا بِذَلِكَ، أَنْ لا نُوصِل صَلاةً بِصَلاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ[(١)]. رواه مسلم.

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره ـ رحمه الله ـ في استحباب الفصل بين الفرض والسنة حديث معاوية رضي الله عنه أنه رأى رجلاً صلى الجمعة ثم قام فصلى يعني سُنَّةً، فدعاه معاوية وأخبره أن النبي ﷺ أمر ألا تُوصل صلاةٌ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم(١٤٦٣).

بصلاةٍ حتى نخرج أو نتكلم، فمثلاً إذا صليت الظهر، والظهر لها راتبة بعدها، وأردت أن تصلي الراتبة لا تصلِّ في مكانك، قم في محل آخر أو اخرج إلى بيتك وهو أفضل، أو على الأقل تكلّم، لأن النبي ﷺ نهى أن توصل صلاة بصلاة حتى يخرج الإنسان أو يتكلم، ولهذا قال العلماء: يُسنّ الفصل بين الفرض وسنته بكلام أو انتقال من موضعه.

والحكمة من ذلك ألا يُوصل الفرض بالنفل، فليكن النفل وحده، والفرض وحده حتى لا يختلط. هكذا قال أهل العلم رحمهم الله. والله الموفق.



٢٠٥ ـ باب الحث على صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

١١٣٢ ـ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: الوِترُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاةِ المَكْتُوبَةِ، ولكن سَنَّ رسولُ الله ﷺ قالَ: «إنَّ الله وِترٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرآنِ[١]». رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١١٣٣ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قد أَوْتَرَ رسولُ الله ﷺ مِنْ أَوَّل اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إلى السَّحَر[٢]» متفقٌ عليه.

١١٣٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا[٣]». متفقٌ عليه.

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان فضيلة الوتر والحث عليه ووقته وكذلك عدده:

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٤٣)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب استحباب الوتر، رقم(١٢٠٧)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، رقم(٤١٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ساعات الوتر، رقم(٩٤١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢٣٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ليجعل آخر صلاته وتراء، رقم(٩٤٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم(١٢٤٥).

واعلم أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله وتر يحب الوتر**»، «**إن الله وتر**» يعني: ليس معه إله ثان، وهو سبحانه وتعالى يحب الوتر، وقد ظهرت آثار هذه المحبة في مخلوقاته وشرائعه الشرائع التي شرعها سبحانه وتعالى نجد أن أكثرها وتر ينقطع بوتر، الصلوات الخمس عددها سبعة عشر ركعة، وهي وتر، صلاة الليل إحدى عشرة ركعة، وهي وتر، كذلك المخلوقات أعظم ما نعلم من المخلوقات العرش وهو واحد. ثم السموات وهي سبع، ثم الأرضون وهن سبع، فتجد أن الوترية ظهرت في مشروعات الله، وفي مخلوقات الله عزَّ وجلَّ، لأنه تبارك وتعالى وترٌ يحب الوتر.

واعلم أيضًا أن الوتر وتران: وتر فريضة، ووتر سنة:

أما وتر الفريضة: فهو صلاة المغرب كما ثبت في الحديث الصحيح أنها وتر النهار، يعني تختم بها صلاة النهار وهي وتر، وإن كانت في أول الليل.

وأما وتر النافلة: فهو الوتر الذي يختم به صلاة الليل، قال النبي ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**».

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في وتر صلاة الليل، فمنهم من قال: إنه واجب، وأن الذي يترك الوتر آثم، ولكنه ليس كالفريضة، فليس ركنًا من أركان الإسلام، لكنه واجب، يأثم الإنسان بتركه.

ومنهم من قال: إنه سنة لا يأثم الإنسان بتركه، ولكل منهم حجة، لكن حجة من يقول: إنه ليس بواجب أقوى، لأن رجلاً سأل النبي ﷺ عما يجب عليه من الصلوات، فَعَدَّ عليه الصلوات الخمس، فقال: هل عليّ

غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تَطوَّعَ».

وفصل بعض العلماء فقال: من كان له ورد من آخر الليل وجب عليه أن يوتر، ومن لم يكن كذلك، يعني: أنه يصلي العشاء ثم ينام ـ فهذا لا يلزمه الوتر، لقول النبي ﷺ: «**أوتروا، يا أهل القرآن**[١]» وهذا خاص بهم، أمر خاص بهم، لأن الأمر العام يشملهم وغيرهم، لكن هذا أمرٌ خاص.

وعلى كل حال فإن ترك الوتر أمر لا ينبغي، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ إمام أهل السنة، وقامع البدعة: «**من ترك الوتر، فهو رجل سوء، لا ينبغي أن تُقبل له شهادة**»، إلى هذا الحد وصفه بأنه رجل سوء، وأنه لا ينبغي أن تقبل له شهادة لأن أدنى الوتر ركعة، ركعة لا تشتد على أحد، ولا تكلف أحدًا، ولا تأخذ من وقتك وقتًا كثيرًا. فالذي يتركها مع تأكُّدها وفضلها وأمر النبي ﷺ بها، رجل سوء ما فيه خير! قال: ولا ينبغي أن تقبل له شهادة، فإذا جاء إلى القاضي وشهد، وقد علمنا أنه لا يوتر، رددنا شهادته، هذا قول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وهذا يدل على تأكد هذا الوتر، فلا ينبغي للإنسان أن يدعه.

أما وقته: فهو من صلاة العشاء وسنتها، إلى طلوع الفجر. من صلاة العشاء ولو جمعت جمع تقديم إلى المغرب. يعني: لو أن الإنسان كان مسافرًا، أو كان مطرٌ، أو ما أشبه ذلك، وجمعت صلاة العشاء إلى المغرب

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم(٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أركان الإسلام، رقم(١٢).

تقديمًا، فإن الوتر يدخل وقته، يصلي العشاء، ثم راتبة العشاء، ثم الوتر، سواء في أول الليل، أو وسطه، أو آخره، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**من كل الليل أوتر النبي ﷺ من أول الليل ووسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر، هذا وقته**». أما عدده: فسيأتي -إن شاء الله- والله الموفق.

ولنعلم أن الذي يسرع في الصلاة إسراعًا مخلاً بالطمأنينة، ليس له صلاة سواء الفريضة والنافلة، لأن رجلاً جاء إلى المسجد وصلى بغير طمأنينة، فقال له النبي ﷺ: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصل**[1]» ثلاث مرات، فلابد من الطمأنينة. وعجبًا لبني آدم، وعجلة بني آدم، وجهل بني آدم، وظلم بني آدم، كيف يسرع هذه السرعة وهو يخاطب الله ويناجيه؟!

لو أن إنسانًا وقف مع صديق له يحادثه لبقي الساعة والساعتين، وهو واقف لا يملّ، فكيف وهو بين يدي الله -عزَّ وجلَّ- يناجيه ويخاطبه: يا رب اغفر لي، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم، يناجيه بكلامه، كيف يسرع هذه السرعة، هل وراءه جيش؟! أبدًا، لكن الشيطان عدو لنا، واللهِ لا يحب منا إلا ما يسوؤنا، يُحبّ أن يصدنا عن ذكر الله وعن الصلاة، يقول لنا: عَجِّل عَجِّل! كأننا على جمر. وأقول: يا أخي جرب، اطمئن في الصلاة، واستحضر وكأنك تخاطب الله، وتناجيه، حتى تذوق طعمها، وحتى تكون قرة عينك كما كانت قرة عين الرسول ﷺ، أما أن نسرقها

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، رقم(٧١٥)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم(٦٠٢).

سرقًا، هذه سرقة من الشيطان. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اللهم أعذنا جميعًا من الشيطان الرجيم.

* * *

١١٣٥ ـ وعن أَبي سَعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا[(١)]» رواه مسلم.

١١٣٦ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي صَلاتَهُ بِاللَّيْلِ، وَهِيَ مُعتَرِضَةٌ، بينَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقيَ الوِتْرُ، أَيقَظَهَا فَأَوْترت[(٢)]. رواه مسلم.

وفي رواية له: فإذا بقي الوتر قال: «قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ[(٣)]».

١١٣٧ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال: «بَادِرُوا الصُّبْحَ بالوِتْرِ[(٤)]».

رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١٣٨ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَليوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فإِنَّ

---

(١) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم(١٢٥٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم(١٢٢٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢٢٨).

(٤) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعتة، رقم(١٢٤٣).

صَلاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مِشْهُودَةٌ، وذلِكَ أفضلُ[(١)]» رواه مسلم.

الشـــرح

هذه الأحاديث في بقية ما يتعلق بالوتر ذكرها المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين، منها:

أن النبي ﷺ قال: «**أوتروا قبل أن تصبحوا**»، لأن الوتر ينتهي وقته بطلوع الفجر، فإذا طلع الفجر، فلا وتر، حتى ولو بين أذان الفجر والإقامة، لا وتر، ولكن إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر، فإنه يصلي في النهار شفعًا، إن كان يوتر بثلاث، صلى أربعًا، إن كان يوتر بخمس، صلى ستًّا، إن كان يوتر بسبع، صلى ثمانية، لقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا غلبه نوم، أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.

واعلم أن الوتر له صفات:

الصفة الأولى: أن يوتر بواحدة فقط، وهذا جائز، ولا يُكره الوتر بها.

الثانية: أن يوتر بثلاث، وله الخيار إن شاء سلّم من الركعتين، ثم أتى بالثالثة، وإن شاء سردهما سردًا، بتشهد واحد.

الثالثة: أن يوتر بخمس، فيسردها سردًا، لا يتشهد إلا في آخرها.

الرابعة: أن يوتر بسبع، فيسردها سردًا لا يتشهد إلا في آخرها.

الخامسة: أن يوتر بتسع، فيسردها سردًا لكن يتشهد بعد الثامنة، ولا

---

(١) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر، رقم(١٢٥٥).

يسلم، ثم يصلي التاسعة، ويسلم.

السادسة: أن يُوتر بإحدى عشرة فيُسلّم من كل ركعتين ويوتر بواحدة.

هذه صفة الوتر، وقد سبق أنه سنة مؤكدة، وأن من العلماء من أوجبه، فلا تُضيّع الوتر. ثم إن كُنتَ ترجو أن تستيقظ من آخر الليل، فاجعل الوتر في آخر الليل، وإن كنت تخاف ألا تقوم، فاجعل الوتر من أول الليل، لا تنم إلا مُوترًا. ولهذا أوصى النبي ﷺ أبا هُريرة أن يُوتر قبل أن ينام، لأن أبا هريرة كان يقرأ أحاديث الرسول ﷺ في أول الليل، وينام في آخره، فأمره النبي ﷺ أن يُوتر قبل أن ينام.

واعلم أن الوتر سنة في الحضر والسفر، حتى في السفر لا تتركه، ومن ذلك ليلة المزدلفة فإن الإنسان إذا صلى العشاء، فإنه يُصلي المغرب والعشاء جمعًا ثم يوتر، وإن كان جابر رضي الله عنه لم يذكره في حديثه، لكن الأصل بقاء ما كان على ما كان، وأن الرسول ﷺ لا يدع الوتر حضرًا ولا سفرًا، والله الموفق.



٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى
وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث على المحافظة عليها

١١٣٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحى، وَأَنْ أُوْتِرَ قبلَ أَنْ أَرْقُدَ(١)» متفقٌ عليه.

وَالإيثارُ قَبلَ النَومِ، إِنَّمَا يُستَحبُّ لِمَنْ لا يَثِقُ بِالاستِيقَاظِ آخِرَ اللَّيل، فإنْ وَثِقَ، فآخِرُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

١١٤٠ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «يُصْبِح عَلَى كُلِّ سُلامى مِنْ أحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تسبيحةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تحميدةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهليلةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكبيرة صَدَقَةٌ، وَأَمَرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقةٌ، وَنَهْيٌ عَن المُنكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىء مِنْ ذلك رَكْعَتَانِ يَركَعُهُما مِنَ الضُّحَى(٢)» رواه مسلم.

١١٤١ - وَعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزيدُ مَا شَاءَ اللهُ(٣). رواه مسلم.

١١٤٢ - وعنْ أُمِّ هانىء فاختةَ بنت أبي طالبٍ رضي الله عنها قَالَتْ: ذَهَبْتُ إلى رسولِ الله ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِه، صَلَّى ثَمَانِيَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صيام أيام البيض، رقم(١٨٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٨٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٨١).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النبي ﷺ وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٧٦).

رَكعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحَى[١]» متفقٌ عليه. وهذا مختصر لفظ إحدى روايات مسلم.

الشرح

(باب فضل صلاة الضحى، وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها).

صلاة الضحى هي: ركعتان، أو أكثر، تُفعلان من ارتفاع الشمس قدر رمح، إلى قبيل الزوال. وارتفاع الشمس قدر رمح يكون بمقدار ربع ساعة، أو نحوها بعد طلوع الشمس، فمن ثم يدخل وقت صلاة الضحى، إلى أن يبقى على الزوال عشر دقائق، أو قريب منها.

كل هذا وقت لها، لكن فعلها في آخر الوقت أفضل، لقول النبي ﷺ: «**صلاة الأوابين حين ترمض الفصال**[٢]». والفصال: أولاد النوق، وترمض يعني تشتد عليها الرمضاء، وهذا في آخر الوقت.

وهذه من الصلوات التي يُسنّ تأخيرها، ونظيرها في الفرائض صلاة العشاء، فإن صلاة العشاء الأفضل أن تؤخر في آخر وقتها إلا إذا شق على الناس.

وصلاة الضحى مما عهد به النبي ﷺ إلى بعض أصحابه، عهد بها إلى أبي هريرة، وأبي الدرداء، وأبي ذر، قال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، رقم(٢٩٣٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٧٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، رقم(١٢٣٧).

عنه حين أوصاه، قال: «أوصاني بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر»، ولم يعين وقتها من الشهر، ولهذا قالت عائشة: «كان النبي ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، لا يُبالي أصامها من أول الشهر، أو وسطه أو آخره[١]».

ولا فرق بين أن تكون متوالية، يعني: متتابعة، أو متفرقة، كلها يحصل بها الأجر، لكن أفضل هذه الأيام الثلاثة، أيام البيض، الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

وأوصاه ﷺ بركعتي الضحى، ركعتان يركعهما ما بين ارتفاع الشمس قدر رمح، إلى قبيل الزوال.

والثالث: «أن أوتر قبل أن أنام» وإنما أوصاه بالوتر قبل أن ينام؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يدرس في أول الليل أحاديث رسول الله ﷺ، فلا ينام إلا متأخرًا، ويخشى ألا يقوم من آخر الليل، فلهذا أوصاه أَنْ يُوتر قبل أن ينام. الشاهد من هذا قوله: «وركعتي الضحى».

ثم يذكر حديث أبي ذر: أنه يُصبح على كل سلامى من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس.

«السلامى» هي: الأعضاء، أو العظام، والمفاصل، وقد ذكر العلماء السابقون ـ رحمهم الله ـ: أن في كل إنسان ثلاثمائة وستين مفصلاً، كل مفصل يطالبك كل يوم بصدقة؛ لأن الذي أحياه عزَّ وجلَّ وأمده، وعافاه له

(١) رواه أحمد (٢/ ١٢٩)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(٦٩٤)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٦٩٩).

عليك مِنَّة وفضل، فكلَّ يوم كلُّ عضو يطالبك بصدقة، لكنها ليست صدقة مال، بل هي كل ما يقرب إلى الله من قول، أو عمل، أو بذل مال، أو غير ذلك. . فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، فكل ما يُقرّب إلى الله فهو صدقة، ومثل هذا يسير على المرء أن يؤدي ثلاثمائة وستين صدقة في كل يوم.

قال: «ويجزىء من ذلك»، يعني: بدلاً عن ذلك، يجزىء ركعتان يركعهما في الضحى. الحمد لله هذه نعمة كبيرة بدلاً من أن تطالب عن كل عضو من أعضائك بصدقة، يكفيك أن تصلي ركعتين من الضحى.

وهذا يدل على أنه ينبغي على الإنسان أن يواظب عليهما، أي: على ركعتي الضحى، حضرًا، وسفرًا، ولكن هل لها عدد معين؟

نقول: أَمّا أقلها فركعتان، وأما أكثرها فما شاء الله، لو تبقى تصلي كل الضحى، فأنت على خير، ولهذا تقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يصلي من الضحى أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله»، ولم تُحدّد، وأما قول من قال: إن أكثرها ثمان، ففيه نظر، لأن حديث أم هانىء في فتح مكة: أن الرسول ﷺ صلى ثمان ركعات، لا يدل على أن هذا هو أعلاه، فإن هذا وقع اتفاقًا، وما يقع اتفاقًا ليس فيه دليلٌ على الحصر.

وعلى هذا فنقول: أقلها ركعتان، ولا حد لأكثرها، صلِّ ما شئت، لكن كان النبي ﷺ يصلي أربعًا، وربما صَلّى ثمانية، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت، إن أمضى

ساعة من دهره لا يتقرب بها إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، كلُّ ساعة تمضي عليك وأنت لا تتقرب إلى الله بها، فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها. فانتهز الفرصة بالصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، والتعلق بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، اجعل قلبك دائمًا مع الله سبحانه وتعالى، ربك في السماء وأنت في الأرض، لا تغفل عن ذكر الله بلسانك وفي أفعالك وبجنانك بالقلب، فإن الدنيا ذاهبة لم تبق لأحد.

انظر من سَلَفك من الأمم السابقة والماضية البعيدة المدى، وانظر من سلفك من أصحابك، بالأمس كانوا معك يتمتعون، ويأكلون كما تأكل، ويشربون كما تشرب، والآن هم بأعمالهم مرتهنون، وأنت سيجري عليك هذا، طالت الدنيا أم قصرت، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الإنشقاق: ٦]. فانتهز الفرصة يا أخي، انتهز فرصة العمر، لا ينفعك يوم القيامة لا مال ولا بنون ولا أهل، لا ينفعك إلا أن تأتي الله بقلب سليم.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يأتي ربه بقلب سليم، وأن يتوفانا على الإيمان والتوحيد، إنه على كل شيء قدير.



٢٠٨- باب الحث على صلاة تحية المسجد وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها

١١٤٤ - عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتِيْنِ[١]» متفقٌ عليه.

١١٤٥ - وعن جابر رضي الله عنه قالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهُوَ في المَسْجِدِ فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ[٢]» متفقٌ عليه.

* * *

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم(١٠٩٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين، رقم(١١٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إذا قدم من سفر، رقم(٤٢٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين، رقم(١١٦٨).

٢٠٩- باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

١١٤٦ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لبلال: «يا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ»، قالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لم أتَطَهَّرْ طُهُورًا في سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ[١]. متفقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري.

«الدَّفُّ» بالفاء: صَوْتُ النَّعْل وَحركته على الأرض، والله أعلم.

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - في بابين:

الباب الأول: في تحية المسجد وأنها سنة مؤكدة، إذا دخل المسجد في أي وقت كان، وأنه يكره أن يجلس حتى يصلي ركعتين، وأنه لا فرق بين أن تكون الركعتان تحية المسجد، أو سنة راتبة، أو فريضة، أو صلاة استخارة، أو غير ذلك، المهم ألا يجلس حتى يصلي ركعتين.

سنتكلم أولاً عن سنة دخول المسجد، وهي مؤكدة جدًّا، حتى إن بعض العلماء قال: إنها واجبة. ويدل على تأكّدها جدًّا أن رجلاً دخل يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب فجلس، فقال له: «أصلّيت؟» قال: لا، قال: «قم فصل ركعتين، وتجوز فيهما[٢]» يعني: خففهما، لأجل أن يستمع

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة، رقم(١٠٨١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل بلال رضي الله عنه، رقم(٤٤٩٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره، =

لخطبة. وإذا كان الرسول ﷺ أمره أن يُصلي حال الخطبة، مع أن استماع الخطبة واجب، كان ذلك إيذانًا بأن تحية المسجد واجبة، ولولا نصوص دلت على عدم الوجوب، لقلنا إنها واجبة، لكنها سنة مؤكدة في أي وقت، إن دخلت بعد صلاة الفجر صَلِّ ركعتين، بعد صلاة العصر صَلِّ ركعتين، عند غروبِ الشمس صلِّ ركعتين، عند طلوع الشمس صلِّ ركعتين، لا تجلس، دخلتَ والإمام يخطب صلِّ ركعتين، دخلت والناس في درسٍ لتستمع الدرس صلِّ ركعتين في أي حال، وفي أي وقت، لابد أن تُصلّي ركعتين، لكن يُستثنى من ذلك أمران:

أولاً: إذا دخل الخطيب فإنه لا يُسنّ له أن يُصلّي ركعتين، بل يعمد إلى المنبر، ويُسلّم على الناس، ويخطب.

الثاني: إذا دخل المسجد الحرام للطواف، فإنه يجزئه الطواف عن صلاة الركعتين، وأما من دخل المسجد الحرام للصلاة فإنه كغيره من المساجد يصلي تحية المسجد.

وما اشتهر بين العامة من أن تحية المسجد الحرام الطواف، هذا لا أصل له، بل يُقال: من دخل المسجد الحرام ليطوف أجزأه الطواف عن تحية المسجد، ومن دخل لاستماع درس أو لانتظار فريضة أو ما أشبه ذلك، فهو كغيره من المساجد لا يجلس حتى يُصلّي ركعتين. وينبغي إذا دخل المسجد، والإمام يخطب يوم الجمعة أن يصلي ركعتين خفيفتين،

= رقم(٨٧٨)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، رقم(١٤٤٥).

وإذا دخله والمؤذن يؤذن، فإن كان في غير جمعة، فإنه ينتظر قائمًا حتى يتابع المؤذن، ويدعو بالدعاء الذي بعد الأذان، ثم يُصلّي ركعتين، وإن كان في يوم الجمعة، والأذان هو الثاني، فإنه يُصلّي تحية المسجد، حتى يتفرغ لاستماع الخطبة، هكذا قال أهل العلم ـ رحمهم الله ـ.

أما الباب الثاني: فهو عن سنة الوضوء، وأنه ينبغي للإنسان إذا توضأ أن يُصلّي ركعتين في أي وقت كان، حتى لو بعد العصر، بعد الفجر، في أي وقت ينبغي لك إذا توضّأْت أن تُصلّي ركعتين؛ لأن بلال بن رباح رضي الله عنه سأله النبي ﷺ عن أرجى عمل عمله في الإسلام، فقال: «إنّي ما توضّأت من ليل أو نهار إلا صليت ركعتين»، فأقره النبي ﷺ على ذلك، وينبغي في هاتين الركعتين أن تحرص غاية الحرص على ألا توسوس فيهما، يعني لا تحدث نفسك بأمور خارج الصلاة، بل اجعل قلبك وقالبك «من أَحْسَن الوضوءَ ثم صلى ركعتين لا يُحدّث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه[1]». ويُصلّي ركعتين سواء في بيته إن توضأ في بيته، أو في المسجد إن توضأ في حمام المسجد أو في أي مكان. والله الموفق.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، رقم(١٥٥)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، رقم(٣٣١).

٢١٠- باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها والتطيب والتبكير إليها والدعاء يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ فيه وبيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله بعد الجمعة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب فضل الجمعة.

وذكر أشياء من خصائص يوم الجمعة، ويوم الجمعة هو اليوم الذي بين الخميس والسبت، وهو اليوم الذي خُصّت به هذه الأمة، وأضلّ الله عنه اليهود والنصارى، اليهود كان لهم السبت، والنصارى كان لهم الأحد، فكانوا تبعًا لنا مع أنهم قبلنا في الزمن، وهذا من فضائل هذه الأمة ولله الحمد، وهذا اليوم هو يوم الخصائص، ويوم السبت والأحد ليس فيهما خصائص، لكن ضل اليهود والنصارى عن يوم الجمعة، فصار لنا ولله الحمد والمنة.

ويوم الجمعة له خصائص متعددة، ومِن أحسن مَنْ ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (زاد المعاد)، فليرجع إليه فإنه واف كاف.

ثم صَدّر المؤلف ـ رحمه الله ـ هذا الباب بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وكان هذا آخر آية سبقت وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ٩ ـ ١٠]. فخاطب الله المؤمنين أن يتركوا البيع إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة، والمراد به النداء الثاني الذي يكون إذا حضر الإمام، أما النداء الأول فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كَثُر الناس في المدينة أمر أن يُؤذَّن أذانٌ سابق ليستعد الناس للحضور، فكان هذا من سنة الخليفة الراشد عثمان الذي أُمِرْنا باتباع سنته، كما قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي[1]»، ولقد ضلّ من قال: إنه بدعة؟! وسفّه الصحابةَ رضي الله عنهم وسفّه الخليفة الراشد، ونحن نقول له: أنت المبتدع في هذا القول الذي ادّعيت أن هذا بدعة، وكيف يكون بدعةً، وقد سماه الرسول ﷺ سنة؟!، «سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي». لكن هؤلاء سفهاء الأحلام، وإن كانوا كبار السن، كيف تضلل الصحابةَ رضي الله عنهم بقائدهم عثمان بن عفان، وتدّعي أنك أنت صاحب السنة؟! . بل أنت صاحب البدعة في هذا القول.

يقول عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ

---

(١) رواه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(٢٦٠٠)، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم(٤٢).

ﭐللَّهِ﴾. والمراد بذكر الله: الخطبة والصلاة، أما الخطبة فيُذكر الله فيها بالتشهد وذكر الأحكام والموعظة وغير ذلك، وأما ذكر الله في الصلاة فهذا ظاهر. ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ اتركوا البيع، ولهذا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة حرُم البيع إلا على من لا تجب عليه كالنساء مثلاً، وأما من تجب عليه الجمعة فإنه يحرم عليه البيع، ولو باع لم يصحّ، حتى لو كان في طريقه إلى المسجد، وسمع أذان الجمعة ومعه زميل له فتبايعا فإن البيع باطل لا ينتقل به المبيع إلى المشتري، ولا الثمن إلى البائع، لأنه باطل وكل شيء نَهَى الله عنه فهو باطل لقول النبي ﷺ: «كُلّ شرطٍ ليس في كتاب الله فهو باطل[1]».

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. يشمل، المسافر الذي في البلد إذا سمع أذان الجمعة يجب أن يحضر الجمعة؛ لأنه مؤمن، فمن الذي أخرجه، فإذا قال أنا مسافر قلنا: ألست مؤمنًا، فيقول: بلى، قلنا اسمع: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. يعني خير لكم من البيع؛ لأن فيه إقامة شعيرة من شعائر الإسلام، وقيام بواجب، فهو خير من البيع ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. يعني إن كنتم من ذوي العلم فاعلموا أنه خير، والمراد بهذه الجملة الشرطية: الحث على ترك البيع والتوجه إلى الجمعة.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢١٣)، وابن ماجه: كتاب الأحكام، باب المكاتب، رقم(٢٥١٢).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني لكم الرخصة: انتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله بالبيع والشراء، لكن لا يلهكم ذلك عن ذكر الله.

ولهذا قال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾. يعني: لا تظنوا أنكم إذا فرغتم من ذكر الله في الخطبة والصلاة أنكم انتهيتم من ذكر الله، لا، ذكر الله في كل حال، وفي كل وقت وفي كل مكان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. مَنْ ذووا الألباب؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فالحاصل أنه إذا قضيت الصلاة فلا جلوس بعدها ملزم، بل اخرج، واطلب الرزق، وابتغ من فضل الله، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان إذا قدّم الصلاة على البيع والشراء، ثم اشترى وباع بعد ذلك فإنه يرزق، لأنه قال: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وفي هذا إشارة إلى أنه لا خطبة بعد صلاة الجمعة، لأن الله قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. فليس بعدها خطبة ولا كلام ولا موعظة، تكفي المواعظ التي في الخطبة التي قبل الصلاة، والتي كانت مشروعة في هدي النبي ﷺ، ولهذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: إذا تكلم أحد بعد الصلاة فلا تستمع له، إلا أن يكون كتابًا من السلطان، لأن الكتابات الموجهة من السلطان لابد أن تستمعها الرعية؛ لأن السلطان له حق على

الرعية يوجهها ويدلها على الخير، أما غير ذلك من النصائح فإن في الخطبتين كفاية، وخير الهدي هدي من؟ محمد ﷺ ولم يكن يخطب بعد الصلاة، ولم يُرَو عنه ذلك في حديث صحيح ولا ضعيف.

يوجد بعض الناس يتخذها سنة راتبة، كلما انتهت صلاة الجمعة قام يتكلم، فتكون الجمعة فيها كم خطبة؟ ثلاث خطب، من أين هذا؟! أما لو طرأ أمر لابد منه، أو جاء كتاب من السلطان، أو من نائب السلطان، من أحد الوزراء أو غيرهم ممن لنا أن نتكلم، فهذا نعم! يقرأ على الناس ويُسمع.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. لعل هنا للتعليل، وليست للترجي، وكل ما جاءتك «لعل» في كتاب الله فهي للتعليل؛ لأن الرجاء إنما يكون من شأن مَنْ يتعسّر عليه الأمر، وأما الرب عزَّ وجلَّ فكل شيء يسير عليه، فإذا وجدت «لعل» في القرآن فهي للتعليل، مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وما أشبه ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. يعني: لأجل أن تتقوا، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. يعني لأجل أن تفلحوا، رزقنا الله وإياكم الفلاح والصلاح، والإصلاح والهداية، نسأل الله أن يهدينا، وأن يهدي لنا وأن يهدي بنا، إنه على كل شيء قدير.

تنبيه: وأنبه على أن تحريم البيع بعد نداء الجمعة الثاني عام حتى أعواد الأراك التي تعرض للبيع - أحيانًا -حول المساجد، فلا يجوز بيعها

ولا شراؤها والله أعلم.

* * *

١١٤٧ - وَعَنْ أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجمعةِ: فيهِ خُلِقَ آدم، وفيه أُدخِل الجَنَّةَ، وَفِيه أُخْرِجَ مِنْهَا[1]» رواه مسلم.

الشرح

قال الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - في كتابه رياض الصالحين باب فضل الجمعة، وما يتعلّق بها، فيما نقله عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة**»، والمراد بذلك خير يوم من أيام الأسبوع، وإنما قلنا هذا لئلا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة**[2]» فإن يوم عرفة أفضل باعتبار العام، وهذا أفضل باعتبار الأسبوع، فيه خلق آدم، وآدم هو أبو البشر، خلقه الله عزَّ وجلَّ بيده، خلقه من تراب ثم قال له: كُنْ فيكون، خلقه يوم الجمعة وفيه أدخل الجنة، وهي جنة المأوى التي يأوي إليها البشر، أدخله الله الجنة هو وزوجه وقال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]. فأذن الله لهما أن يأكلا من جميع أشجار الجنة مما شاءا ونهاهما عن شجرة معينة اختبارًا وابتلاء

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم(١٤١٠).

(٢) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج، رقم(٣٢٦٢).

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠]. ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وأقسم لهما أن يأكلا من هذه الشجرة، وأنه بذلك يحصل لهم الخلد والملك الذي لا يبلى، وما زال بهما حتى أكلا من الشجرة، وكان الله تعالى قد وضع على عورتيهما هيبة فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما، وصار كل إنسان ينظر إلى عورته، آدم ينظر إلى عورة حواء، وحواء تنظر إلى عورته، انكشفا لأنهما هتكا حرمة الله عزَّ وجلَّ بأكلهما من الشجرة، وقال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

لما أكلا منها أمرهما الله عزَّ وجلَّ أن يهبطا إلى الأرض، أخرجهما من الجنة فهبطا إلى الأرض، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه لولا ذلك ما وجدت هذه البشرية، وهذه الخليقة وحصل هذا الامتحان، ولكن الله تعالى بحكمته قدر لكل شيء سببًا، فانظر كيف نزل من الجنة العالية إلى الأرض الهابطة بمعصية واحدة.

فما بالك بنا نحن؟ معاصٍ كثيرة، الليل والنهار، نسأل الله أن يعاملنا وإياكم بعفوه، ومع ذلك نُؤمِّل أملاً ما هو إلا تخييل في الواقع وأوهام، نؤمل أننا في الدرجات العليا مع أننا هابطون بكثرة المعاصي والتهاون بالواجبات وما في القلوب من الحقد والبغضاء والكراهية، فنسأل الله أن يتوب علينا وعليكم، وأن يصحح قلوبنا وقلوبكم.

وهذه الجنة التي أهبط منها آدم، اختلف فيها هل هي جنة المأوى أو أنها جنة بستان عظيم على ربوة طيبة الهواء كثيرة الماء؟ والصواب أنها جنة الخلد، وفي هذا يقول ابن القيم:

فحـــي علـــى جنـــات عـــدن فـــإنهـــا
منـــازلـــك الأولـــى وفيهـــا المخيـــم

والله على كل شيء قدير.

فهذا فضل يوم الجمعة أنه فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها؛ وكلاهما حكمة، خلق آدم حكمة، وإدخاله الجنة حكمة، وإنزاله إلى الأرض بسبب المعصية حكمة، ولكن اعلموا أن آدم تاب إلى الله هو وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. فكان بعد التوبة خيرًا منه قبل التوبة، والله الموفق.

* * *

١١٤٨ ـ وعنهُ قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ ثمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فاسْتَمَع وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لهُ ما بَيْنَه وبينَ الجُمُعَةِ وزِيادَة ثَلاثَة أَيَّام، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا[١]» رواه مسلم.

١١٤٩ ـ وعنه رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «الصَّلواتُ الخَمْسُ وَالجُمُعة إلى الجُمُعَةِ، وَرَمضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائرُ[٢]» رواه مسلم.

١١٥٠ ـ وَعَنْهُ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ يقولُ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، رقم(١٤١٩).
(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، رقم(٣٤٤).

عَلَى أعْوَادِ مِنْبرِه: «لَيَنْتَهينَّ أَقْوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ ليَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ[1]» رواه مسلم.

١١٥١ ـ وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجمُعَة، فَلْيَغْتَسِلْ[2]» متفقٌ عليه.

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ على كلِّ مُحْتَلِمٍ[3]» متفقٌ عليه.

المراد بالمُحتلم: البالغُ. والمُراد بِالوُجُوبِ: وُجُوب اختيار، كقول الرَّجُلِ لِصَاحِبِه: حَقُّكَ وَاجِبٌ عليَّ. والله أعلم.

١١٥٣ ـ وَعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبها وَنِعْمَتْ، وَإن اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ[4]» رواه أبوداود، والترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم(١٤٣٢).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، رقم(٨٢٨)، ومسلم: كتاب الجمعة، رقم(١٣٩٣).
(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، رقم(٨٣٠)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، رقم(١٣٩٧).
(٤) رواه أحمد (٥/١٦)، وأبوداود: كتاب الطهارة، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، رقم(٣٠٠)، والترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة، والنسائي: كتاب الجمعة، باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، رقم(١٣٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الرخصة في ذلك، رقم(١٠٨١).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان ما يتعلق بصلاة الجمعة ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين.

منها: أن الإنسان إذا توضّأ في بيته ثم أتى المسجد وأنصت حتى يفرغ الإمام من تمام الخطبة فإنه يغفر له ما بين الجمعتين، ومن مسَّ الحصى فقد لغا، واللغو معناه: أن يُحرَم من فضل يوم الجمعة، وتكون الجمعة في حقه باعتبار الثواب كأنها صلاة ظهر لا كأنها صلاة جمعة، والحصى هو أن مسجد الرسول ﷺ كان مفروشًا بالحصى يعني بالحجارة الصغيرة، لأنه ليس هناك فرش ولا رمال، وإنما يفرش فيها الحصى كالجمارة التي يُرمى بها الجمرات، فمن مسه يعني: عبث فيه بلمس أو شبهه فقد لغا، ووجه ذلك أنه إذا فعل هذا اشتغل عن سماع الخطبة، وسماع الخطبة واجب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الذي يتكلم والإمام يخطب كمثل الحمار يحمل أسفارًا[١]»، يعني مثل الحمار الذي يحمل الكتب ولا ينتفع بها، والذي يقول له: أنصت، ليست له جمعة ويُحرم أجرها.

وفي هذا الحديث الذي رواه مسلم، يقول: «من توضّأ يوم الجمعة»، لكن في حديث أبي سعيد الخدري: «غسل الجمعة واجبٌ على كل محتلم»، والأخذ بحديث أبي سعيد أولى من عدة وجوه.

الوجه الأول: أن حديث أبي سعيد فيه زيادة وهو الوجوب، وجوب

---

(١) أمثال الحديث (١/ ٨٩).

الاغتسال، وحديث أبي هريرة فيه التوضؤ، والأخذ بالزيادة واجب.

ثانيًا: أن حديث أبي سعيد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي وأبوداود وابن ماجة، اتفق عليه السبعة، وحديث أبي هُرَيرة انفرد به مسلم، ومعلوم أن ما اتفق عليه السبعة أولى بالأخذ مما انفرد به مسلم.

ومنها: أن في حديث أبي سعيد علّق النبي ﷺ الوجوب بوصف يقتضي التكليف، وهو قوله: «على كل محتلم»، والمحتلم هو البالغ، والبلوغ مَناط التكليف، ولهذا نقول: القول الراجح من أقوال أهل العلم في هذه المسألة، أن غسل الجمعة واجب على كل إنسان شتاءً، وصيفًا، سواء أكان به وسخ أم لم يكن به وسخ؛ لأن كلام النبي ﷺ في ذلك واضح ولأن هذا هو الذي يظهر من فهم الصحابة رضي الله عنهم فإن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه دخل، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يخطب، فأنكر عليه، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت أن توضأتُ، ثم أتيتُ، فقال: والوضوء أيضًا، وقد قال النبي ﷺ: «إذا أتى أحدكم الجمعة فليغتسل» يعني: كيف تقتصرُ على الوضوء، فأنكر عليه في مشهد من الصحابة.

الحاصل أن القول الراجح وجوب غسل الجمعة، لكن لو لم يغتسل، فهل تبطل الجمعة؟ لا، لا تبطل، لأن هذا ليس غسل الحدث، حتى نقول: إنه صلى بغير طهارة، بل هو غسل واجب عن غير حدث، ولهذا لا يغني عن غسل الجنابة، لو أن الإنسان اغتسل للجمعة وهو عليه غسل جنابة وما نوى غسل الجنابة لم يجزئه، لأن غسل الجمعة ليس عن حدث بخلاف غسل الجنابة. والله الموفق.

١١٥٤ ـ وَعَنْ سَلمَانَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْر، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَو يَمسُّ من طيب بَيتِه، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنينِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعة الأخْرَى[1]» رواه البخاري.

١١٥٥ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ في السَّاعَةِ الأُولى فَكأنَّمَا قرَّبَ بَدنَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعةِ الثَّالِثَةِ، فكأنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابعةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ راحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإمامُ، حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكر[2]» متفقٌ عليه.

قوله: «غُسْلَ الجَنَابَةِ» أي: غُسلاً كَغُسلِ الجَنَابَةِ في الصِّفَةِ.

الشــرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بيوم الجمعة وفي صلاتها، فالحديث الأول حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر أشياء إذا فعلها الإنسان فإنه يُغفر له ما بين الجمعة والجمعة.

منها الاغتسال، أن يغتسل كما يغتسل للجنابة، كما في حديث أبي هريرة التالي، وهذا الاغتسال سبق أن القول الراجح وجوبه، وأنه يجب

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة، رقم(٨٣٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، رقم(٨٣٢)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، رقم(١٤٠٣).

على الإنسان أن يغتسل ليوم الجمعة إذا كان يُصلّي الجمعة، أما النساء فلا يجب عليهن، ولكن هذا الوجوب ليس عن حدث، فلو تركه الإنسان وصلى الجمعة أَثِم وصحّت جُمُعته، لأنه ليس عن حدث.

ومنها **أن يدّهن بالطيب**: يعني: يتطيب بدُهن عود أو ورد، أو ريحان أو غير ذلك، المهم أن يتطيب، ويختار أطيب ما يجد.

ومنها **أن لا يفرق بين اثنين**: لأنه إذا فرّق بين اثنين آذاهما، وهذا يدل على أن المراد إذا وجد الصف مُشتبكًا فلا يفرّقه، أما لو وجد فرجة فله أن يدخل فيها؛ لأن الاثنين هما اللذان افترقا.

ومنها **أن يصلي ما كتب له**: ولم يُحدّد النبي ﷺ صلاة، فدل هذا على أن الجمعة ليس لها راتبة قبلها، بل يصلي الإنسان ما شاء، قليلاً كان أو كثيرًا إلى أن يحضر الإمام.

ومنها **أن ينصت**: يعني ينصت للخطبة (فلا يتكلم إلى أن يفرغ الخطيب من الخطبة.

فإذا فعل هذه الأشياء الخمسة فإنه يغفر له ما بين الجمعتين، وهذا فضل عظيمٌ من الله عزّ وجلّ.

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «**من اغتسل غسل الجنابة**» يعني: يوم الجمعة، كغسل الجنابة وهو معروف، (ثم راح) يعني في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، يعني: كأنما ذبح بدنة ووزعها على الفقراء، ومن راح في الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الثالثة فكأنما قرّب كبشًا أقرن، وخصّ الكبش بالأقرن لأنه أقوى وأكبر حجمًا،

ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا حضر الإمام طُويت الصحف ولم يُكتب للحاضر شيء من الأجر إلا أجر الصلاة العادية، فإذا دخل الإنسان بعد أن دخل الإمام فإنه لا يُكتب له أجر التقدّم، ولكن يُكتب له أجر الخطا من بيته إلى المسجد.

ففي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان يوم الجمعة أن يُبكّر، وأكثر الناس اليوم، ولله الحمد قد مَنَّ الله عليهم بالصحة والفراغ، لكن يُكسّلهم الشيطان ويُخذّلهم ويُثبّطهم عن الخير، حتى إن الإنسان ليذهب إلى السوق ليس له شغل ولكن ليقطع الوقت، إلى أن يحضر الإمام فيحرم من هذا الخير.

هذه الساعات تختلف في طولها وقصرها بحسب اختلاف الأيام، ففي أيام الصيف يطول النهار فتطول الساعات، وفي أيام الشتاء يقصر النهار فتقصر الساعات، والمهم أن تُقَسّم ما بين طلوع الشمس إلى حضور الإمام إلى خمسة أقسام، قد تكون ساعة عُرفية كالساعات التي معنا، وقد تكون أطول أو أقصر، فالساعة الأولى هي الخُمس الأول، والثانية هي الخُمس الثاني، وهلمَّ جرا. والله الموفق.

* * *

١١٥٦ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رَسُول الله ﷺ ذكرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فيه سَاعَةٌ لا يُوَافِقها عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قائمٌ يصلي يَسأَلُ الله شيئًا، إلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاه»

وأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا[١]. متفقٌ عليه.

١١٥٧ ـ وَعَنْ أبي بُردَةَ بنِ أبي مُوسَى الأشعَريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في شَأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قلتُ: نعمْ، سَمِعْتُهُ يَقُول: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «هي مَا بَيْنَ أنْ يَجلِسَ الإمامُ إلى أن تُقضَى الصَّلاةُ[٢]» رواه مسلم.

١١٥٨ ـ وَعَنْ أَوس بنِ أوس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أَفضَلِ أيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأكثِروا عليَّ مِنَ الصَّلاةِ فيهِ، فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْروضَةٌ عَلَيَّ[٣]» رواه أبوداود بإسناد صحيح.

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيما يتعلق بالجمعة.

فأما الحديث الأول: حديث أبي هريرة.

والحديث الثاني: حديث أبي موسى.

ففيهما بيان أن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه. وهذا من خصائص يوم الجمعة، فيه ساعة إذا سألت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، رقم(٨٨٣)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم(١٤٠٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي يوم الجمعة، رقم(١٤٠٩).

(٣) رواه أحمد (٨/٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم(٨٨٣)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ، رقم(١٣٥٧)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم(١٠٧٥).

الله فيها شيئًا ـ أي شيء يكون ـ ما لم يكن إثمًا أو قطيعة رحم، فإن الله تعالى يجيبه، لكن في الحديث، وهو قائم يصلي.

وأشار النبي ﷺ يقلل هذه الساعة، يعني ساعة ليست طويلة، وقد اختلف العلماء في تعيين هذه الساعة متى؟ من أول النهار، من وسط النهار، من آخر النهار، اختلفوا فيها على أكثر من أربعين قولاً، كما اختلفوا في تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولاً. ولكن قد تكون بعض هذه الأقوال متداخلة، ويمكن اختصارها.

وأرجى زمن تكون فيه هذه الساعة ما دل عليه حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة، يعني إذا دخل الإمام يوم الجمعة وسلم على الناس وجلس، من هذا الحين تبتدىء ساعة الإجابة، ومن المعلوم أنه إذا قام يخطب فإن الناس منصتون لكن يمكن أن يدعو بين الخطبتين وأن يدعو في صلاة الفريضة، والدعاء في صلاة الفريضة أقرب إلى الإجابة، لأن الإنسان يكون فيها ساجدًا لله، و «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**[1]» لهذا نرى أن أقرب ساعة تكون ساعة إجابة في الجمعة في هذه الساعة من حين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة.

فألِحّ يا أخي على ربك بالدعاء في هذا الوقت لعل الله عزَّ وجلَّ أن يجيبك ولا تستبطىء الإجابة ولا تستعظم الطلب فإن الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٤).

أعظم من أن يتعاظمه شيء، فكل شيء هيّن على الله عزَّ وجلَّ، فادعُ الله سبحانه وتعالى واحرص على الدعاء في هذا الوقت.

الوقت الثاني: من صلاة العصر إلى غروب الشمس، هذا أيضًا تُرجى فيه الإجابة ولكن يشكل على هذا قوله: «**وهو قائم يصلي**» فإن العصر لا صلاة فيه، ولكن قد يُقال يحتاج الإنسان أن يتوضأ في هذا الوقت، فيتوضأ ثم يصلي ركعتين للوضوء، أو يُقال إن الإنسان إذا كان في انتظار الصلاة فهو في صلاة، ولهذا نرى أن الأرجى ما دل عليه حديث أبي موسى، ثم ما دل عليه حديث أبي هريرة، وباقي الأقوال ليس عليها دليل بيّن.

ومما يختص بالجمعة كثرة الصلاة على النبي ﷺ، ولا شكَّ أن النبي ﷺ أعظم الخلق حقوقًا علينا، حقوقه علينا أعظم من حقوق أنفسنا على أنفسنا، ولهذا يجب أن تقدم محبته على محبة نفسك وابنك وأبيك وأمك وزوجك وكل الناس، ولا يمكن أن يتم إيمانك إلا بأن تقدم محبة الرسول ﷺ على محبة كل أحد.

من حقه عليك أن تكثر من الصلاة والسلام عليه، وهو ليس بحاجة إلى صلاتك وسلامك، لكنك أنت بحاجة إلى أجر هذه الصلاة والسلام، لأنك إذا صليت على الرسول ﷺ مرة واحدة صلى الله عليك بها عشرا، فإذا قلت: «**اللهم صلِّ على محمد**» صلى الله عليك عشر مرات، مع أنك في حاجة إلى ذلك والرسول ﷺ ليس في حاجة.

ولكن ما معنى الصلاة على الرسول، كلنا يقول اللهم صلِّ على محمد، لكن كثيرًا منا لا يعرف معنى هذه الكلمة، ما معنى قولك: «اللهم

صلِّ على محمدًا؟ قال أبو العالية ـ رحمه الله ـ: صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، عند الملائكة المقربين، يُثني عليه، يقول: عبدي فلان فيه كذا وكذا ويذكر من صفاته الحميدة، فأنت إذا صليت على النبي ﷺ أثنى الله عليك عشر مرات، فعليك بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وفي كل وقت. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني وإياكم القيام بحقه وحق رسوله وحق عباده المؤمنين.

❊ ❊ ❊

٢١١ـ باب استحباب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

١١٥٩ ـ عَنْ سَعْد بنِ أبِي وَقَّاص رضي الله عنه قالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِن مَكَّة نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِن عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَويلاً، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ ساجِدًا ـ فَعَلَهُ ثَلاثًا ـ وَقَالَ: إنِّي سَألتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرتُ ساجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَألْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرتُ ساجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَألْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الأخرَ، فَخَرَرتُ ساجِدًا لِرَبِّي[(١)]» رواه أبوداود.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب سجود الشكر عند تجدد النعم واندفاع النقم.

من المعلوم أن نعمة الله سبحانه وتعالى لا تحصى، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وأضرب مثلاً بالنَّفَس الذي يتكرر في الدقيقة الواحدة إلى ستين مرة، هذا النفس لو حُبِس لهلك الإنسان، فهو نعمة كبرى ولا يمكن عدها، وكذلك الصحة والعافية، الأكل والشرب، البراز والبول، كلها نعم عظيمة، لكنها نعم مستمرة، ولو كُلّف الإنسان أن يسجد عند كل نعمة منها لبقي ساجدًا مدى

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر، رقم(٢٣٩٤).

الدهر، لكنْ هناك نعم تتجدد للإنسان، كإنسان وُلد له، أو تسهّل له الزواج، أو قدم له غائب ميئوس منه، أو حصل على مال أو ما أشبه ذلك من النعم التي تتجدد أو بُشّر بنصر المسلمين، أو ما أشبه ذلك، فهذا يُستحب للإنسان أن يسجد لله تبارك وتعالى شكرًا له.

فمثلاً إذا بُشّر بولد قيل له: أبشر بولد، هذه نعمة متجددة، فيسجد لله كما يسجد في الصلاة ويقول: «**سبحان ربي الأعلى**»، **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي**»، ثم يشكر الله على النعمة المعينة التي حصلت، فيقول: «أشكرك يا ربي على هذه النعمة» ويثني على الله تعالى في ذلك.

هكذا أيضًا في اندفاع النقم، الإنسان في سلامة دائمة، دائمًا في سلامة، ودائمًا هو معرض للآفات وللنقم، لكن أحيانًا تنعقد أسباب النقمة ويشاهدها فيرفعها الله عنه، ولنضرب لذلك مثلاً بحادث، إنسان مثلاً يمشي في الطريق فانقلبت السيارة فنجا، هذه اندفاع نقمة، فيسجد لله تعالى شكرًا على اندفاع هذه النقمة، أو إنسان مثلاً يمشي فبينما هو كذلك انخسفت به حفرة في الأرض فنجا، فهذه اندفاع نقمة، يحمد الله سبحانه وتعالى على ذلك.

واندفاع النقم كثير، فإذا دفع الله عنك نقمة فاسجد لله تعالى شكرًا على اندفاع هذه النقمة. وقُلْ مثلاً في السجود: «**سبحان ربي الأعلى**» ثلاث مرات، و«**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، اللهم إني أشكرك على أن نجوتني من هذه المصيبة**» ويذكرها، هذا سجود الشكر.

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل تشترط له الطهارة أو لا؟

والصحيح أنها لا تشترط، وذلك لأن هذا يأتي بغتة والإنسان غير متأهب، فلو ذهب يتوضأ لطال الفصل بين السبب ومسببه، فإذا كان على غير طهارة فليسجد، والله الموفق.

* * *

٢١٢ـ باب فضل قيام الليل

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب فضل قيام الليل، قيامُ الليل يعني: الصلاة فيه، وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة، كما سيأتي إن شاء الله في الأحاديث.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الثناء على القائمين في الليل، فأمر نبيه ﷺ أن يتهجد فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩ ﴾ [الإسراء: ٧٩]. فأمر الله نبيه أن يتهجد من الليل لا يعني كل الليل، لأن قيام كل الليل ليس من السنة إلا أحيانًا، كقيام عشر رمضان، وأما البقية فالسنة أن ينام ويقوم.

قوله: ﴿ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾، فقيل: المعنى أن هذا خاص بك يعني الوجوب، وجوب التهجد، لأن غير النبي ﷺ لا يجب عليه التهجد إلا أن ينذره، إن نذر أن يتهجد لزمه الوفاء بالنذر وإلا فلا.

أما النبي ﷺ فإنه يجب عليه أن يتهجد من الليل، وقيل: المعنى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾، يعني أنه نافلة أي زيادة وفضل، وهذا له ولغيره عليه الصلاة

والسلام.

ثم قال تعالى مبينًا ما يكون من ثمرات التهجد، قال: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾. قال العلماء: إذا قال الله تعالى في القرآن «عسى» فهو واجب يعني: أن الله سيبعثك مقامًا محمودًا، أي يبعثك يوم القيامة مقامًا تحمد عليه من كل الخلائق.

فلرسول الله ﷺ المقام المحمود يوم القيامة، ومنه الشفاعة العظمى، يعني من المقام المحمود للرسول ﷺ الشفاعة العظمى، وهي أن الناس يوم القيامة يُبعثون في صعيد واحد ليس هناك جبال ولا أشجار ولا أنهار ولا بناء، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، لا يحول بينهم وبين الداعي شيء ولا بينهم وبين الرائي شيء في صعيد واحد.

وتدنو الشمس، منهم حتى تكون على قدر ميل، ويطول هذا اليوم حتى يكون مقداره خمسين ألف سنة، سبحان الله العظيم، الإنسان لا يستطيع أن يقف ولا أربع وعشرين ساعة، لكن هذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، فيلحق الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون، فيطلب بعضهم إلى بعض النظر في الأمر لعل أحدًا يشفع لهم عند الله عزَّ وجلَّ يريحهم من هذا الموقف، فيذهبون إلى آدم، يلهمهم الله عزَّ وجلَّ أن يذهبوا إلى آدم، آدم أبو البشر، كل البشر أبوهم واحد وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وكما هو العادة أن الإنسان يفر إلى أقرب من يراه أنه أنفع، فذهبوا إلى أبيهم، قالوا: اشفع لنا ألا ترى ما نحن فيه، إن الله خلقك بيده، وعلمك أسماء كل شيء وأسجد لك الملائكة، يعني أعطاك خيرًا كثيرًا، فاشفع لنا إلى

الله، فيعتذر، يعتذر بماذا؟ يقول: إن الله نهاه عن الأكل من الشجرة فأكل منها، وهذه معصية، فهو خجلان من الله عزَّ وجلَّ، فكيف يشفع لكم عند الله، فيذهبون إلى نوح وهو أول الرسل من البشر، أول رسول أرسله ﷺ لأهل الأرض هو نوح ﷺ، فيذكرونه بنعمة الله عليه، أنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، ولكنه يعتذر، يعتذر بماذا؟ بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِى مِنۡ أَهۡلِى وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]. لأن الله وعده أن ينجيه وأهله وكان أحد أبنائه كافرًا لم يَنْجُ مِنَ الماءِ حتى قال له نوح: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣]. يعني ولا أركب معكم؛ لأن المياه عظيمة، تدرون كيف كانت؟ السماء فتحها الله، في قراءة ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر: ١١]. وفي قراءة: ﴿ففَتَّحْنَا﴾ وهي أعظم؛ فتح الله أبواب السماء بماء منهمر غزير، أشد من القرب، ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]، حتى إن التنور الذي هو محل النار وهو أشد الأرض يبوسة وأبعدها من الماء بدأ يفور ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونًا﴾ كل الأرض. وإذا كان السماء فُتّحت بماء منهمر، والأرض فجّرت بالعيون، كيف يكون منسوب المياه؟ يكون عظيمًا عظيمًا عظيمًا حتى صعد الماء إلى قمم الجبال.

وكانت امرأة من الكفار الذين كفروا بنوح معها صبي، كلما ارتفع الماء في الجبل صعدت عليه، حتى وصل الماء إلى قمة الجبل فارتفع المنسوب ووصل إلى كعبيها ثم إلى ركبتيها ثم ألجمها الماء فرفعت صَبيّها إلى أعلى من أجل أن ينجو من الغرق، تغرق هي والولدُ ترجو أن ينجو من

الغرق، قال النبي ﷺ: «لو نجَّا الله أحدًا لنجَّا أمَّ الصبي[1]» لكن والعياذ بالله قضى الله على أهل الأرض أن يغرقوا كلهم إلا من ركب في هذه السفينة، ابن نوح الذي كفر بأبيه أبى أن يركب، قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ قال له أبوه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]. لكن نوح عليه الصلاة والسلام قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]. وسبحان الله، إنه كلام الرب عزَّ وجلَّ لنبيّ من الأنبياء، من أولي العزم يقول له: ﴿أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ فيأتون إلى نوح في ذلك اليوم ـ نسأل الله أن ينجينا وإياكم من عذابه ـ يأتون إلى نوح ويقولون: اشفع لنا، فيذكر ذنبه أنه سأل ما ليس له به علم، والمذنب ليس له وجه يشفع، المذنب لا يمكن أن يشفع عند من عصاه، لأنه ليس له وجه فيعتذر.

فيذهبون إلى إبراهيم ﷺ أبي الأنبياء الذي أُمِرْنا أن نتبع ملّته، ويُذكّرونه بنعمة الله عليه، ولكنه يعتذر بأشياء ما تضره، ولكنه عليه الصلاة والسلام لكمال إيمانه جعلها من الأشياء الضارة، فيذكر ما يذكر من العذر، فيقول: «اذهبوا إلى موسى».

يأتون إلى موسى ويُذكّرونه بنعمة الله عليه، ولكنه يعتذر، بماذا

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٧٢).

يعتذر؟ يقول إنه قتل نفسًا لم يُؤذن له بقتلها من بني إسرائيل حين قتل القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيليُ، إسرائيليٌّ من بني إسرائيل كان مع قبطي يتنازعان، وكان موسى عليه الصلاة والسلام من أشد الناس صرامة، فهو قويٌّ شديد، وهذا من حكمة الله؛ لأن بني إسرائيل لا ينفع فيهم إلا الأقوياء الأشداء، بعثه الله إلى بني إسرائيل، فلما رأى هذا القبطي قد استغاثه الإسرائيلي عليه وَكَزه موسى يعني أعطاه وَكْزةً بيده، فقضى عليه.

فقال يعتذر بأنه قتل نفسًا لم يُؤمر بقتلها، اذهبوا إلى عيسى، فيذهبون إلى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، الذي هو آخر الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ليس بينه وبينه نبي ولا رسول، ولكنه يعتذر بدون أن يذكر شيئًا، لكنه يدلهم على من هو أكمل منه، وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأسأل الله تعالى أن يُدخلني وإياكم في شفاعته؛ يأتون إلى محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**[(١)]» ويذهب ويسجد تحت العرش بعد إذن الله عزَّ وجلَّ، ثم يُؤذن له بالشفاعة فيشفع، فينزل الرب عزَّ وجلَّ للقضاء بين عباده، فيقضي بينهم ويستريحون من هذا الموقف.

هذا المقام يا إخواني هل يُحمد عليه الرسول؟! نعم وبلا شك، كل الأنبياء الكرام والرسل، أولو العزم كلهم يعتذرون حتى تصل إلى الرسول ﷺ، وانظر كيف كانت هذه السلسلة، يعني لو شاء الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع الأنبياء، رقم(٦٩٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم(٢٨٦).

لدلّهم على محمد من أَوّل الأمر، لكن ليظهر فضل هذا النبي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، ويتحقق قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وَنِعْمَ هذا المقام مقامًا، فصلوات الله وسلامه عليه، وسيأتي إن شاء الله بقية الكلام عن الآيات.

❊ ❊ ❊

٢١٢ـ باب فضل قيام الليل

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الذاريات: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين، باب فضل قيام الليل، ثم ذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾. وقد سبق الكلام على هذه الآية.

ثم ذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، هذا في سياق قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [السجدة: ١٥].

وصفهم الله عزَّ وجلَّ بهذه الأوصاف الجليلة: إذا ذُكّروا بآيات الله خَرّوا سُجّدًا أي: خرّوا سجدًا فيما يتطلّب السجود فلا يستكبرون على أن يضعوا جباههم وأنوفهم على الأرض، بل يتذلّلون لله إذا أمر بالسجود سجدوا، ويحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾. أي أن المراد بذلك كمال التذلل لله بالعبادة، سواء كان سجدة أو غيرها: ﴿ وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾.

أي: سبحوا الله سبحانه وتعالى، وتسبيح الله يعني: تنزيهه عن كل نقص وعيب، هذا هو التسبيح، سبّحت الله يعني نزّهته وبرّأته من كل نقص وعيب لأنه جلّ وعلا كامل الصفات، منتفٍ عنه جميع النقائص، وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الباء للمصاحبة، أي سبّحوا الله تسبيحًا مقرونًا بالحمد مصاحبًا به.

والحمد هو: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

هذا معنى الحمد، حمدت الله يعني: اعتقدت أن له أوصافًا كاملة، وذكرت بلساني ذلك، فإن كرر المدح صاء ثناء، كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي**[1]».

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾. يعني: لا يستكبرون عن عبادة الله، إذا أمرهم الله امتثلوا الأمر بُذلٍّ وخضوع، وشعور بالعبودية، وشعور بكمال الألوهية والربوبية لله عزَّ وجلَّ.

﴿تَتَجَافَى﴾ أي: تتباعد جنوبهم عن المضاجع، أي: عن المراقد فهم يحيون الليل بالصلاة وذكر الله عزَّ وجلَّ، وإذا أتموا صلاتهم ختموا ذلك بالاستغفار كما قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

قال بعض السلف: هذا يدل على كمال معرفتهم بأنفسهم، يقومون

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم(٥٩٨).

الليل، ثم يستغفرون في آخر الليل خوفًا من أن يكونوا قصّروا مع الله عزَّ وجلَّ.

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾. يدعون الله دعاء المسألة ودعاء العبادة، دعاء المسألة أن يقولوا: يا ربنا اغفر لنا، يا ربنا اغفر لنا، يا ربنا ارحمنا، يا ربنا يسّر أمورنا، يا ربنا اشرح صدورنا؛ هذا دعاء مسألة، أما دعاء العبادة أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان ويحجّوا البيت، ويبرّوا الوالدين، ويصلوا الأرحام، إلى غير ذلك من العبادات.

وكانت العبادة دعاء لأنك لو سألت العابد: لأي شيء تعبد الله؟ لقال: لنيل رضوانه والجنة، فهو داعٍ بلسان الحال وقد يصحبه دعاء بلسان المقال، فالصلاة مثلاً فيها دعاء، يدعو الإنسان فيها دعاء ركن في الصلاة، إذا لم تدع في الصلاة في هذا الدعاء بطلت صلاتك، في أي موضع؟! في الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. هذا دعاء ركن في العبادة، لو تركته ما صحّت صلاتك، فالصلاة دعاء بلسان الحال ودعاء بلسان المقال، ولهذا قال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: يعبدونه ويسألونه. ﴿ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه، لأنهم إن فعلوا المحرم عُوقبوا، وإن تركوا المُحرّم وقاموا بالواجب أُثيبوا، فهم خائفون طامعون، وقيل: خوفًا من ذنوبهم وطمعًا في فضل الله، فالإنسان إذا نظر إلى نفسه وإلى ذنوبه خاف؛ لأنها ذنوب أثقل من الجبال، وأكثر من الرمال، نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه.

وإن نظر إلى سعة رحمة الله وسعة عفوه، وأن العفو أحب إليه من

العقوبة وأنه يفرح بتوبة عبده المؤمن، أشد من أي فرح في الدنيا كلها، قال النبي ﷺ: «لله أشد فرحًا» اللام هذه للابتداء، وهي للتوكيد «بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ» ليس حوله أحد، «فانفلتت منه» ضاعت، «وعليها طعامه وشرابه فأيس منها[(١)]» طلبها فلم يجدها، فيأس منها ومن الحياة، «فأتي شجرة فاضطجع في ظلها» فاضطجع في ظل الشجرة ينتظر الموت، إذ لم يبق له إلا الموت «قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها» خطام يعني: زمام، فقام وأخذه، «ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، هو يريد أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، لكن من شدة الفرح قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، فالله جل وعلا أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا الرجل براحلته.

إذا نحن نطمع في فضل الله، ذنوبنا كثيرة عظيمة، لكن فضل الله أوسع، ورحمته أوسع، إذا كانت الصلوات الخمس تُكفّر ما بينها إذا لم ترتكب الكبائر فهذا فضل عظيم؛ فعلى كل حال، هم يدعون الله خوفًا وطمعًا، خوفًا من عذابه، وطمعًا في ثوابه، خوفًا من ذنوبهم، وطمعًا في فضله، كل الأوجه صحيحة.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾؛ من: للتبعيض، يعني: ينفقون بعض ما رزقناهم لا كل ما رُزقوا؛ لأنه لا ينبغي للإنسان أن يتصدّق بكل ماله، ولهذا لما قال أبو لبابة يا رسول الله: إني أتصدّق بكل مالي. قال: «يكفيك

(١) رواه مسلم: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم(٢٧٤٧).

الثلث، يكفيك الثلث، تصدّق بالثلث[(١)]». حتى إن العلماء قالوا: إذا نذر الصدقة بماله كله أجزأه ثلثه، لأن هذا هو المشروع، فعلى هذا تكون «مِنْ» للتبعيض، يعني: ينفقون شيئًا مما رزقناهم. وقيل: إن «من» للبيان، لبيان الجنس، فينفقون حسب الحال، قد ينفقون قليلاً أو كثيرًا، الثلث، أو النصف، أو الكل، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه عندما حثَّ النبي ﷺ يومًا على الصدقة، فتصدّق أبو بكر بكل ماله، وتصدّق عمر رضي الله عنه بشطر ماله ـ بالنصف ـ وقال: «الآن أسبقُ أبا بكر[(٢)]»، لأن الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون، ليس حسدًا ولكن تسابقًا في الخيرات، فلما جاء بنصف ماله وإذا أبو بكر قد تصدّق بكل ماله، قال النبي ﷺ لأبي بكر: «**ماذا تركتَ لأهلك؟**» قال: تركتُ لهم الله ورسوله. قال لعمر: «**ماذا تركت؟!**» قال: تركت النصف، ثم قال عمر: «**والله لا أسابقه على شيء أبدًا بعد اليوم**». لأن أبا بكر رضي الله عنه له سوابق وفضائل لا يلحقه أحد، لا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا مَنْ دونهم.

المهم أنهم يُنفقون مما رزقهم الله، فما هو الجزاء وما هي الثمرة؟! ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. اللهم اجعلنا منهم يا رب.

---

(١) الحديث رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا، رقم(٢٥٣٧)، ومسلم: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم(٣٠٧٦).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، رقم(١٤٢٩)، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، رقم(٣٦٠٨).

لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين، وذلك في جنات النعيم، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أتظنون أن قول الله تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨]. أتظنّون أن النخل والرمان والفاكهة كالذي في الدنيا؟ لا والله، ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء، اسم الرمان لكن رمان لا يمكن أن يطرأ على بالك، اسم النخل لكن لا يطرأ على بالك، اسم الفاكهة لكن لا تطرأ على بالك ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء الأبرار الكرام البررة، إنه على كل شيء قدير.

❊ ❊ ❊

قال الله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

١١٦٠ ـ وَعَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تصنَعُ هَذَا، يَا رسُولَ اللهِ، وَقَد غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أكُونُ عبدًا شَكُورًا(١)». متفقٌ عليه.

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل قيام الليل، وذكر آياتٍ ثلاثًا تكلّمنا على اثنتين منها، وهذه هي الثالثة، وهي قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]. هذه من

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ، رقم(١٠٦٢)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم(٥٠٤٤).

أوصاف المتقين الذين أعد الله لهم الجنات والعيون، من أوصافهم أنهم كانوا لا يهجعون من الليل إلا قليلاً، وذلك أنهم يشتغلون بالقيام والتهجد وقراءة القرآن وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠]. فكانوا يقومون من الليل، ثم إذا فرغوا من القيام رأوا أنهم مُقصّرون، فجعلوا يستغفرون الله عزَّ وجلَّ، ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]، أي في آخر الليل.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل ويطيل القيام حتى تتفطر قدماه، لأن الدم ينزل فيها، فتتفطر، فقيل له في ذلك: كيف تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**» فجعل النبي ﷺ هذه الأعمال من شكر نعمة الله سبحانه وتعالى، فدلّ ذلك على أن الشكر هو القيام بطاعة المُنْعم، وليس الإنسان إذا قال: «أشكر الله»، هذا شكر باللسان ولكن لا يكفي، لابد من الشكر بالجوارح والقيام بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وفي هذا دليلٌ على تحمّل النبي ﷺ للعبادة ومحبته لها؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك إلا لمحبة شديدة، ولهذا قال: «**جُعلتْ قرة عيني في الصلاة**[1]» فالصلاة أحب الأعمال إلى الرسول ﷺ، وقد قام معه من الليل مِنْ أصحابه عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه، قام معه ذات ليلة فأطال

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٤٥)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم(٣٨٧٩).

النبي ﷺ القيام، قال عبد الله: حتى هممتُ بأمر سوءٍ[(١)]، قالوا: بِمَ هممت يا أبا عبدالرحمن؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه، وهو شابٌّ أصغر سنًّا من الرسول عليه الصلاة والسلام ومع ذلك عجز أن يكون كالنبي ﷺ.

ولكن لو قال قائل: هل الأفضل في صلاة الليل أن أُطيل القيام، أو أن أطيل السجود والركوع؟ قلنا: انظر ما هو أصلح لقلبك، قد يكون الإنسان في حال السجود أخشع وأحضر قلبًا، وقد يكون في حال القيام يقرأ القرآن ويتدبره، ويحصل له من لطائف كتاب الله عزَّ وجلَّ ما لا يحصل له في حال السجود، ولكن الأفضل أن يجعل صلاته متناسبة إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا قصر القيام قصر الركوع والسجود، حتى تكون متناسبة كصلاة النبي ﷺ والله أعلم.

* * *

١١٦٤ ـ وعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أصْبَحَ! قال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ ـ أو قال: في أُذنِهِ[(٢)]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم(١٠٦٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم(١٢٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم(١٢٩٣).

متفقٌ عليه.

١١٦٥ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ، إذا هُو نَامَ، ثَلاثَ عُقدٍ، يَضربُ عَلَى كلِّ عُقدَةٍ: عَلَيْكَ ليْلٌ طَويلٌ فَارقُد، فإنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ الله تَعَالَىٰ انْحَلَّت عُقْدَةٌ، فإنْ تَوضَّأ انْحَلَّت عُقدةٌ، فإن صلَّى انْحَلَّت عُقْدُهُ كلُّها، فأصبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفسِ، وَإلاَّ أصبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ» متفقٌ عليه.

الشــرح

هذان الحديثان فيما يتعلق بقيام الليل.

الحديث الأول: أنه ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجلٌ نام حتى أصبح، وقوله: «حتى أصبح» يعني: حتى طلع الصبح، ولم يتهجّد. ويحتمل حتى أصبح يعني فاتته صلاة الفجر، فقال النبي ﷺ: **«ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ـ أو قال: في أذنه ـ»** فلما بالَ في أذنيه حالَ بينَه وبينَ سماعِ النداء فلم يقُم. وهذا يدل على أن الشيطان يبول، لأن النبي ﷺ قال: **«بال الشيطان في أذنه»**.

وأنه يأكل ويشرب، وقد ثبت هذا أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يأكلن أحد منكم بشماله، ولا يشربن، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله[1]»** كما ثبت أيضًا عن النبي ﷺ أن الشيطان يتقيأ فإن رجلاً أكل طعامًا ولم يُسمِّ، فشاركه الشيطان فيه ـ لأنك إذا بدأت في الطعام ولم تسم

---

(١) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، رقم(٣٧٦٥).

الله شاركك الشيطان ـ، فلما سمى الرجل قال النبي ﷺ: «**تقيأ الشيطان ما أكله**[١]» تقيّأه يعني: أخرجه من جوفه.

فهذه أربعة أشياء: البول، والأكل، والشرب، والتقيؤ، أربعة أشياء يجب علينا أن نؤمن بها، كما أخبر النبي ﷺ، وأن نؤمن بأنها حقٌّ على حقيقتها:

أولاً: لأن الرسول ﷺ هو أعلم الخلق في أمور الغيب.

ثانيًا: هو أنصح الخلق للأمة، فلا يمكن أن يأتي بكلام يلبس عليها.

ثالثًا: أنه أصدق الخلق عليه الصلاة والسلام، لا يمكن أن ينطق بكلام وهو يريد خلاف ظاهره أبدًا، فالشيطان يأكل ويشرب ويتقيأ ويبول، ولكن هل بوله وقيؤه وأكله وشربه، شيء محسوس يشاهد؟ لا، لا يشاهد نؤمن بذلك، ونقول هذه أمور غيبية لا نعرف عن كيفيتها، ولا نعرف عنها من واقع الأمر المحسوس.

وفي الحديث هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على القيام، على قيام الليل حتى لا يكون للشيطان عليه سبيلٌ.

أما حديث أبي هُريرة أن النبي ﷺ أخبر بأن الشيطان يعقد على قافية أحدنا إذا نام ثلاث عقد، يعقدها ويحكمها، يقول: «**عليك ليل طويل**» يريد أن يثبطه عن الخير، لكن إذا قام الإنسان وذكر اللهَ انحلّت عقدة، فإذا توضأ انحلت العقدة الثانية، فإذا صلّى انحلّت العقدة الثالثة، فأصبح طيب

---

(١) انظر الإقناع للشربيني (١/ ٤٧).

النفس نشيطًا، والحمد لله هذا الدواء سهلٌ، اذكر الله، قل لا إله إلا الله، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، واقرأ عشر آيات في آخر سورة آل عمران، توضّأ، تنحلّ عقدتان، صلّ تنحل العقد الثلاثة، ولهذا يُستحب أن الإنسان يفتتح قيام الليل بركعتين خفيفتين، لأن النبي ﷺ أمر بذلك، ولأنه هو نفسه ﷺ يفعل ذلك، يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، ولأن ذلك أسرع في حل عقد الشيطان، فبمجرد أن يصلّي ركعتين تنحل العقد، وهذه من أمور الغيب التي لا ندركها نحن بحواسّنا، لا ندركها إلا عن طريق الوحي، ويجب علينا أن نقول: آمنا وصدقنا بما أخبر الله به ورسوله، لأن هذا هو حقيقة الإيمان، أما الذي لا يؤمن إلا إذا شاهد فليس بمؤمن، ولهذا إذا شاهد الكفار العذاب، أو شاهدوا الموت يؤمنون، فرعونُ لما غَرق ورأى أنه هالك قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

وبعد أن كان يتسلط على بني إسرائيل صار الآن تبعًا لهم أراد أن يؤمن بما آمنوا به، أذلّ نفسه وهو حي قبل أن يموت، فقيل له: ﴿الآنَ﴾. يعني: الآن تؤمن، لا ينفع ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]. لأن بني إسرائيل قد أرعبهم فرعون، لو قيل لهم إنه مات كان في قلوبهم شك، لكن إذا رأوا جثته طافية على الماء آمنوا ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

فالحاصل: يا إخواني أن هذه الأمور التي قد تستبعدها عقولكم يجب أن تصدّقوا بها، قالها المعصوم، قل: «آمنا وصدقنا»، لا تقل: أنا ألمس يدي وأذني فلا أجد فيهما رطوبة، فهل بول الشيطان مثل بول الإنسان؟ هذا أمر علمُه عند الله، فنؤمن بأنه يبول في أذن الإنسان إذا تأخر عن الصلاة سواء وجدنا رطوبة أم لا، وأنه يأكل ويشرب ويتقيأ فالواجب في مثل هذه الأمور أن يُصدّق الإنسان ويؤمن، وما أكثر ما خفي علينا.

لما جاءوا يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام عن الروح، ما هي الروح التي إذا كانت في البدن صار حيًّا يتحرك ويذهب ويجيء، وإذا خرجت منه صار جثة ما هي الروح؟! قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. يعني لا يبدي لكم من العلم ما تعرفون به ما الروح.

ولما جاء عصفور ونقر في البحر، قال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام: «**ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**(١)» يعني: ما نقصه شيئًا.

فنحن لا نعلم إلا ما علمنا الله، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً. والله الموفق.



(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟، رقم(١١٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم(٤٣٨٥).

١١٦٦ ـ وَعَن عَبْدِ الله بن سلام رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أيُّها النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِموا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجنَّةَ بِسَلامٍ[1]».

رواهُ الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشــرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل قيام الليل عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس أفشوا السلام**».

اعلم أن خطاب الشرع إذا صدر بالنداء، دلّ ذلك على أهمية هذا الخطاب؛ لأن النداء يوجب تنبُّه المخاطب، فإنه فرق بين أن تقول الكلام مرسلاً وبين أن تنادي مَنْ تُخاطب، فالثاني يكون أبلغ في التنبيه والانتباه.

يقول: «**يا أيها الناس أفشوا السلام**» أفشوا: يعني: أظهروا وأعلنوا وأكثروا من السلام، والسلام يخاطب به المسلِّم والمسلَّم عليه، فإن المسلم ينبغي له أن يُسلّم على كل من لاقاه ممن يستحق أن يُسلّم عليه، سواء عرفه أو لم يعرفه.

والذي يستحق أن يسلم عليه هو المسلم الذي لا يحل هجره، أما الكافر فلا تبدأه بالسلام سواء كان كافرًا لا ينتسب للإسلام، أو كان كافرًا

---

(١) رواه أحمد (٥/٤٥١) وزاد: «وصلوا الأرحام»، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٤٠٩).

ينتسب للإسلام لكنه على بدعة مكفرة، فهذا لا تُسلّمْ عليه لأنه لا يستحق، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام**[١]».

وينبغي للمُسَلِّم أن يرفع صوته حتى يُسمع، وألا يسلم بأنفه، لأن بعض الناس ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ يكون عنده كبرياء أو عنده جفاء، فإذا لاقاك سلّم عليك بأنفه، لا تكاد تسمعه، هذا خلاف إفشاء السلام، إفشاء السلام أن ترفع صوتك وتجهر به، السلام عليك، قال العلماء: إلا إذا سلّم على قوم أيقاظ بينهم نيام، فلا ينبغي أن يرفع صوته رفعًا يستيقظ به النيام، لأن هذا يؤذي النائمين.

ثم إن الصيغة المستحبة أن تقول: «السلام عليك» إن كان المسلَّم عليه واحدًا، وإن كانوا جماعة رجال تقول: «السلام عليكم»، وإن كان جماعة نساء تقول: «السلام عليكن»، حسب المخاطب، ثم إنك إذا قلت: «السلام عليك، أو عليكم، أو عليكن»؛ فإنك تشعر بأنك تدعو لهم بالسلامة، «السلام عليكم» لا مجرد تحية بل دعاء بالسلامة، بأن الله يُسلّم من كل الآفات، من آفات الذنوب وآفات القلوب وآفات الأجسام وآفات الأعراض ومن كل آفة، ولهذا لو قلت: «أهلاً ومرحبًا»، بدل «السلام عليك»، ما أجزأك، لأن أهلاً ومرحبًا ليس فيها دعاء، وإنما فيها تحية، وتهنئة، ولكنها ليست فيها دعاء. فالسلام المشروع أن تقول: «السلام عليكم».

---

(١) رواه مسلم: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم(٤٠٣٠).

أمَّا المسلَّم عليه فالواجب عليه أن يرد كما سُلّم عليه، هذا أمرٌ واجبٌ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]. فإذا قال: «السلام عليك»، فقلت: «أهلاً ومرحبًا بأبي فلان، حياك الله وبيّاك سُررنا بمجيئك.. تفضل.. «كل هذه الكلمات لا تجزىء عن كلمة واحدة وهي؟! «عليك السلام»، لابد أن تقول: «عليك السلام»، فإن لم تفعل فأنت آثم وعليك وزر، لأنك تركت واجبًا ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ وأنت لم تردها ولا حيَّيت بأحسن منها».

كذلك أيضًا إذا سُلّم عليك بصوت مرتفع بيِّن واضح، لا ترد عليه السلام بأنفك، قد يسمع وقد لا يسمع، هذا لا يجوز لأنك لم ترد بمثلها ولا بأحسن منها، وكثير من الناس يقول: السلام عليكم بصوت واضح، فيرد الثاني: «عليكم السلام» بصوت منخفض لا يُسمع، وبأنفةٍ وغطرسة وجفاء، هذا لا يجوز لأن قوله تعالى: ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾. يشمل الصيغة، وصفة الأداء.

ولو أنك سلمت على إنسان، وقال: أهلا ومرحبًا، قل: يا أخي هذا لا يكفي، وأنت ما رددت السلام الواجب في ذمتك حتى الآن، نبِّهه لأن الله عزَّ وجلَّ أمر بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

كذلك أيضًا قال عليه الصلاة والسلام: «**أطعموا الطعام**» لمن يُطْعَمُ الطعامُ؟ لمَنْ يحتاج إليه، إطعامك أهلك من الزوجات والأولاد بنين أو بنات، ومن في بيتك أفضل ما يكون، أفضل من أن تتصدّق على مسكين، لأن إطعامك أهلك قيام بواجب، والقيام بالواجب أفضل من القيام

بالتطوع، لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه[١]». فإطعام الطعام لأهلك أفضل من إطعامه لمسكين عند الباب، لأن الأول واجب وذاك تطوع، فمن أطعم الطعام أهله ولم يقصر عليهم بشيء وقام بالواجب فقد أطعم الطعام، وما فَضُل فتصدّق به فهو خير.

قوله: «وصلوا بالليل والناس نيام» اللهم اجعلنا من هؤلاء. «صلوا بالليل والناس نيام»، ربما يكون أحسن وألذ النوم ما كان من بعد منتصف الليل إلى الفجر، فإذا قام الإنسان في هذا الوقت لله عزَّ وجلَّ يتهجد، يتقرب إليه بكلامه وبدعائه خاشعًا بين يديه، والناس نائمون فهذا من أفضل الأعمال.

«صلوا بالليل والناس نيام» وهذا محل الشاهد من هذا الحديث، أن الرسول ﷺ جعل الصلاة بالليل من أسباب دخول الجنة، والجواب قال: «تدخلوا الجنة بسلام» تسلم عليكم الملائكة ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. يهنئونهم بما صبروا وبهذا الثواب العظيم.

«وتدخلوا الجنة بسلام»: ظاهره أنه بلا عقاب ولا عذاب لأن من عُذِّب لم يَسْلَمْ.

فهذه الأمور الثلاثة في هذا الحديث من أسباب دخول الجنة بسلام،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الرقائق، باب التواضع، رقم(٦٠٢١).

نسأل الله تعالى أن يعينني وإياكم عليها، وأن يجعلنا ممن يدخلون الجنة بسلام، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١١٦٧ - وعَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضانَ شَهْرُ الله المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفريضة صَلاةُ اللَّيْلِ[1]» رواه مسلم.

١١٦٨ - وَعَنْ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ[2]» متفقٌ عليه.

١١٦٩ - وَعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكعَةٍ[3]. متفقٌ عليه.

١١٧٠ - وَعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُفطرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يَصومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يُفْطر مِنْهُ شَيئًا، وَكَانَ لا تشَاءُ أَنْ تَراهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إلا رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائمًا إلا رَأَيْتَهُ[4]. رواهُ البخاري.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، رقم(١٩٨٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب كيف كان صلاة النبي ﷺ، رقم(١٠٦٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة واحدة، رقم(١٢٤١).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ساعات الوتر، رقم(٩٤٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى، رقم(١٢٥١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل، رقم(١٠٧٣).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل صلاة الليل.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**» صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام، وهو واجب بالإجماع، وشهر المحرم أفضل الشهور التي يتطوع بها بالصوم، وعلى هذا فيكون صوم شهر المحرم من الصيام المستحب؛ لأنه أفضل الصيام بعد الفريضة، وأما الشاهد من هذا الحديث «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» هذا هو الشاهد، صلاة الليل أفضل من صلاة النهار، ما عدا الرواتب التابعة للمكتوبات فإنها أفضل من النفل المطلق في الليل، فمثلاً راتبة الظهر أربع ركعات بسلامين قبلها وركعتان بعدها، أفضل من ست في الليل، لأنه راتبة مؤكدة، تابعة للفريضة، وأما النفل المطلق ففي الليل أفضل من النهار، ولهذا قال: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**».

أما حديث ابن عمر الأول والثاني، ففيه دليلٌ على أن صلاة الليل تكون مثنى مثنى، قال الإمام أحمد رحمه الله: فإن قام إلى الثالثة ناسيًا فهو كما لو قام إلى ثالثة في الفجر، يعني: فيجب عليه أن يرجع، فإن لم يفعل بطلت صلاته يعني لو كنت تصلي في الليل على ركعتين ركعتين، فقمت إلى الثالثة ناسيًا، وجب عليك أن ترجع حتى لو بدأت في قراءة الفاتحة، فإن لم تفعل بطلت صلاتك، لأن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الليل مثنى مثنى**» يعني على ثنتين ثنتين، إلا أنه استثنى من ذلك الوتر، إذا أوتر بثلاث

أو خمس أو سبع أو تسع، فإذا أوتر بثلاث فإن شاء سلّم من الركعتين الأوليين وأتى بالثالثة وحدها، وإن شاء جمع الثلاثة جميعًا بسلام واحد. وإن أوتر بخمس سردها كلها بسلام واحد وتشهد واحد، وإن أوتر بسبع فكذلك يسردها، كلها بسلام واحد، وإن أوتر بتسع كذلك يسردها بسلام واحد، إلا أنه في الثامنة يجلس ويتشهد ولا يسلم، ثم يأتي بالتاسعة ويُسلّم. وإن أوتر بإحدى عشرة، سلم من كل ركعتين، كما فعل النبي ﷺ.

وفي حديث ابن عمر الأول والثاني دليلٌ على أن الوتر لا يكون بعد طلوع الفجر، إذا طلع الفجر انتهى وقت الوتر، فإن غلبه النوم ولم يوتر قبل طلوع الفجر صلى من النهار، ولكن يصلي شفعًا، فإذا كان من عادته أن يوتر بثلاث صلى أربعًا، وإن كان من عادته أن يوتر بخمس صلى ستًّا.. وهلم جرّا.

فهذه الأحاديث في فضل صلاة الليل وفي كيفية صلاة الليل، وأنها مثنى مثنى.

أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ففيه دليلٌ على أن رسول الله ﷺ كان أحيانًا يُديم العمل الصالح، حتى لا تراه إلا على هذا العمل، فكان لا تشاء تراه قائمًا إلا رأيته، ولا تراه نائمًا إلا رأيته، وكذلك في الصوم لا تشاء تراه صائمًا إلا رأيته، ولا تراه مفطرًا إلا رأيته. يعني أنه عليه الصلاة والسلام يتبع ما هو أصلح وأنفع، فأحيانًا يُديم الصوم، وأحيانًا يديم القيام، وأحيانًا يديم الفطر، وأحيانًا يديم النوم، لأنه عليه الصلاة والسلام يتبع ما

هو الأفضل والأرضى لله وما هو الأريح لبدنه، لأن الإنسان له حق على نفسه كما قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «إن لنفسك عليك حقًّا[(١)]». والله الموفق.

* * *

١١٧١ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إحْدَى عَشَرَةَ رَكْعَةً ـ تَعْنِي في اللَّيل ـ يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِيْنَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قبلَ صَلاةِ الفَجْرِ، ثمَّ يَضْطَجِعُ على شِقِّه الأيْمَنِ حَتَّى يأتِيهُ المُنَادي للصَّلاةِ[(٢)]». رواه البخاري.

١١٧٢ ـ وعَنْهَا قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ ـ يزيدُ في رَمضَانَ وَلاَ في غَيْرِهِ ـ عَلَى إحْدَى عَشَرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أَرْبَعًا فلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطولهِنَّ! ثمَّ يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطولهِنَّ! ثمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فَقُلْتُ: يا رسولَ الله أتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ!؟ فقال: «يَا عائشَةُ إنَّ عَيْنَيَّ تَنامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلبي[(٣)]» متفقٌ عليه.

١١٧٣ ـ وعنها رضي الله تعالى عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقومُ آخِرَهُ فَيُصلِّي[(٤)]». متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، رقم(٥٦٧٤).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ما جاء في الوتر، رقم(٩٣٩).
(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل، رقم(١٠٧٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢١٩).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من نام أول الليل وأحيا آخره، رقم(١٠٧٨)، =

١١٧٤ ـ وَعَن ابن مسعود رضي الله عنه قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزلْ قائمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ. قيل: مَا هَمَمْتَ؟ قالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ[(١)]. متفقٌ عليه.

١١٧٥ ـ وَعَنْ حُذَيفة رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذات لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فقلتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المائة، ثمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بها، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَها، ثُمَّ افْتَتَح آلَ عِمْرَان، فَقَرَأَها، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إذا مَرَّ بآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ، سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ، تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي العظيم، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثمَّ قالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ، ثُمَّ قامَ طَويلاً قَرِيبًا ممَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ[(٢)]. رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان صلاة النبي ﷺ في الليل، منها:

حديث عائشة الأول أن النبي ﷺ «**كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة**» وقد بيّن ذلك مفصلاً في أحاديث أخرى، أنه يُسلّم من ركعتين، ثم

= ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢٢٣).

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم(١٠٦٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم(١٢٩٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم(١٢٩١).

ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعة، يعني: يصلي إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة.

ثم كان ﷺ يصلي ركعتين قبل الغداة، يعني إذا أذّن الفجر صلى ركعتين، وكان يخفف هاتين الركعتين حتى تقول عائشة أَقَرَأ بأمّ القرآن؟ لشدة تخفيفه لهما، ثم يضطجع على جنبه الأيمن حتى يأتيه المؤذن يُؤذنه بالصلاة ﷺ، ففي هذا دليلٌ على أن قيام الليل إحدى عشرة ركعة يوتر بواحدة، ودليلٌ على أنه ينبغي أن يصلي الإنسان الراتبةَ في بيته أفضل من المسجد، لا سيما الإمام، وفيه أيضًا أن الإمام لا يخرج من بيته إلا للإقامة، يبقى في بيته حتى يأتي وقت الإقامة، فيخرج إلى المسجد ويصلي، هذا هو الأفضل، أفضل من أن يتقدّم الإمام ويُصلّي بالمسجد، أما غير الإمام فينتظر الإمام، والإمام ينتظره غيره، فلذلك كان الأفضل في حقّه أن يتأخّر إلى قرب إقامة الصلاة، إن لم يكن لهذا سبب أو يكون في تقدمه مصلحة، مثل أن يكون تقدّمه يشجع المصلين فيتقدمون، ولو تأخّر لكسلوا، فهذا يُنظر للمصلحة.

وفي حديثها الآخر أن النبي ﷺ كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، لأنها سُئلت كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ قالت: «كان لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا» هذه أربع وأربع وثلاث: إحدى عشرة، هذا هو السنة وهو الأفضل ألا يزيد في صلاة الليل على إحدى عشرة

ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة.

كما صح فيه الحديث وقولها رضي الله عنها: «يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن». قد ظن بعض الناس أنها أربع مجموعة بسلام واحد، وهذا خطأ؛ لأنه قد جاء مُفَصّلاً مبينًا أنها أربع ركعات، يسلم من كل ركعتين، وأربع ركعات يسلم من كل ركعتين، وثلاث ركعات، فيكون قولها: «يصلي أربعًا لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي» يكون فيه دليلٌ على أنه إذا صلّى الأربع بسلامين استراح قليلاً، لقولها: «ثم يصلي» وثُمّ للترتيب في المهلة ثم يصلي الأربع على ركعتين ثم السلام.

وفي هذا أشير إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يتعجّل في فهم النصوص، بل يجمع شواردها حتى يضم بعضها إلى بعض ويتبين له الأمر، حتى أن بعض الإخوان الذين بدءوا يتعلّمون ولا سيما علم الحديث، صاروا يُصلّون بالناس في رمضان أربع ركعات جميعًا، وهذا غلط، غلط على السنة، وفهم خاطىء لأن النبي ﷺ سئل عن صلاة الليل فقال: «مثنى مثنى» وهذا حصل في أنها ركعتان ركعتان، ولا يمكن أن يُصلي أربعًا في الليل إلا في بعض صور الوتر، يصلي خمسًا جميعًا، وسبعًا جميعًا، وتسعًا جميعًا، إلا أنه يتشهد في الثامنة.

أما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة لأن النبي ﷺ بابه مفتوح، بيته بيتٌ لأصحابه وللأمة، يأتي الواحد في الليل يُحبّ أن يصلي مع النبي ﷺ، فلا يقول له لا تُصَلِّ معي، صلِّ في بيتك، لا بل يشرح له صدره، ويدخل البيت ويصلي معه. وكان ابن

مسعود رضي الله عنه من الذين يخدمون الرسول ﷺ، صاحبُ السواك، ينظف سواك الرسول ﷺ، وصاحب الوساد ـ وساده ـ وصاحب النعل، فكان يدخل على الرسول ﷺ ويصلي معه، فدخل فصلى معه ذات ليلة، فلما دخل في الصلاة أطال النبي ﷺ القيام، يقول: «حتى هممتُ بأمر سوء، قيل: بماذا هممت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه»، وهو شاب، والرسول ﷺ أسنُّ منه، ومع ذلك كان يقف ويطيل حتى يعجز الشباب عن قيامه عليه الصلاة والسلام. وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه يصلي ﷺ شكرًا لله عزَّ وجلَّ، كما قال: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا[(١)]».

والمرة الثانية صلى معه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ذات ليلة فبدأ بسورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، يعني إذا أتم مائة آية ركع، ولكنه مضى، فقلت يركع بها، ولكنه أتمها ثم بدأ بسورة النساء، فأتمّها، ثم بدأ بسورة آل عمران فأتمها، يُرتّل عليه الصلاة والسلام، يرتل القرآن وهذه السور الثلاث تُمثّل خمسة أجزاء وربع جزء، وبالترتيل تستوعب ساعتين ونصف تقريبًا، ساعتان ونصف وهو ﷺ واقف لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا آية تسبيح إلا سبّح، ولا آية وعيد إلا تعوّذ فيجمع بين القراءة والذكر والدعاء ﷺ ـ مع هذا الطول العظيم ـ ثم ركع، فكيف كان ركوعه؟! كان ركوعه نحوًا من قيامه، أطال الركوع ثم رفع قائلاً: «سمع الله لمن حمده»،

---

(١) سبق تخريجه.

وكان قيامه نحوا من ركوعه، ثم سجد، فكان سجوده نحوا من قيامه، وهكذا صلاته كانت متناسبة، وإذا أطال في القراءة أطال في الركوع والسجود، يقول في الركوع: «**سبحان ربي العظيم**»، ويقول في السجود: «**سبحان ربي الأعلى**»، ويقول أيضًا إضافة إلى ذلك: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»، ويقول أيضًا: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**[(١)]»

فالصلاة روضة من رياض العبادات، روضة فيها من كل زوج بهيج، قرآن وذكر ودعاء وتسبيح وتكبير وتعوّذ، ولهذا كانت هي أفضل العبادات البدنية، أفضل من الصيام، وأفضل من الزكاة، وأفضل من الحج، وأفضل من كل العبادات، إلا التوحيد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ لأن هذا فهو مفتاح الإسلام.

فالحاصل أن هذه صفة صلاة النبي ﷺ من الليل، فاحرص عليها أخي المسلم، أسأل الله أن يعينني وإياك على اتباعه ظاهرًا وباطنًا، وأن يتوفانا على ملته ويحشرنا في زمرته، ويدخلنا معه جنات النعيم.

* * *

١١٧٦ ـ وَعَن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طولُ القُنُوتِ[(٢)]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٥٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، رقم(١٢٥٨).

المرادُ بِالقُنوتِ: القِيَامُ.

١١٧٧ ـ وَعَنْ عبدِ الله بنِ عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ رسُول الله ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى الله صَلاةُ دَاوُدَ، وأَحَبُّ الصيام إلى الله صِيَامُ دَاوُدَ، كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، ويَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيصومُ يَومًا وَيُفطِرَ يَومًا[1]» متفقٌ عليه.

١١٧٨ ـ وَعَنْ جَابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ في اللَّيْلِ لسَاعَةً، لا يُوافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسأَلُ اللهَ تَعَالى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ إلا أعْطَاهُ إِيَّاه، وَذَلِكَ كلَّ لَيلةٍ[2]». رواه مسلم.

الشـرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل صلاة الليل، منها أن النبي ﷺ سُئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» والمراد بطول القنوت: أي طول الخشوع لله عزَّ وجلَّ والقيام والركوع والسجود.

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ أيهما أفضل: طول القراءة مع تخفيف الركوع والسجود، أم الأفضل تقصير القراءة والركوع والسجود؟ بمعنى هل الأفضل أن تُعدّد الركعات مع كثرة العدد، أو أن تُطيل

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من نام عند السحر، رقم(١٠٦٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم(١٩٦٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة وقصرها، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، رقم(١٢٥٩).

الركعات مع قلة العدد؟ والصواب أن الأفضل في ذلك أن تكون الصلاة متناسبة، وقد سبق معنا أن النبي ﷺ كان يجعل ركوعه نحوًا من قيامه، وسجوده كذلك نحوًا من قيامه ـ أي قريبًا منه ـ

ذكر ـ رحمه الله ـ من ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود**» أما صلاته، ـ يعني النافلة ـ صلاة الليل، فإنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، فيقسم الليل ثلاثة أقسام، النصف الأول للنوم، ثم الثلث للقيام، ثم السدس للنوم، لأن هذا فيه راحة البدن، فإن الإنسان إذا نام نصف الليل أخذ حظًّا كبيرًا من النوم، فإذا قام الثلث ثم ناس السدس فإن التعب الذي حصل له في القيام ينتقض بالنوم الذي في آخر الليل، ولكن مع هذا، إذا قام الإنسان في أي ساعة من الليل فإنه يُرجى له أن ينال الثواب، وهذا الذي ذكره النبي ﷺ هو الأحب إلى الله والأفضل، لكن يكفي أن تقوم الثلث الأخير أو الثلث الأوسط أو النصف الأول، حسب ما تيسّر لك. قالت عائشة رضي الله عنها: «من كل الليل أَوترَ النبي ﷺ من أول الليل ووسطه وآخره». فالأمر في هذا ـ ولله الحمد ـ واسع.

ثم ذكر الحديث الثالث «**إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله تعالى بخير إلا أعطاه إياه**».

وهذه الساعة غير معلومة بعينها، يعني: الله أعلم. لكن الرسول ﷺ أخبرنا بهذا من أجل أن نجتهد، وأن نتحرّى قدر الله عزَّ وجلَّ ونعمته بقبول

الدعاء، وهذه الساعة كساعة يوم الجمعة مبهمة، وإن كانت ساعة يوم الجمعة أرجى ما يكون إذا حضر الإمام ـ يعني الخطيب ـ إلى أن تُقضى الصلاة. والله الموفق.

* * *

١١٨١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: كانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ من اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى من النَّهارِ ثنتي عَشَرَةَ رَكْعَةً[١]. رواه مسلم.

١١٨٢ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهرِ، كُتِبَ لَهَ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ[٢]» رواه مسلم.

١١٨٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا المَاءَ، ورَحِمَ الله امرَأَةً قَامَت مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِن أَبَى نَضَحَتْ في وَجْهِهِ الماءَ[٣]» رواه أبوداود بإسناد صحيحٍ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مَرِض، رقم(١٢٣٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، رقم(١٢٣٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الحث على قيام الليل، رقم(١٢٣٨)، والنسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل، رقم(١٥٩٢)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن =

١١٨٤ ـ وعنه وعن أبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجلُ أهلَهث مِنَ الليْلِ، فصلَّيَا ـ أو صَلَّى ـ ركْعَتَيْن جميعًا، كُتِب في الذاكرين والذاكرات[١]» رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

١١٨٥ ـ وَعَنْ عائِشَة رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ في الصَّلاةِ، فلْيَرْقُدْ حتى يَذهبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإنَّ أَحدكُمْ إذا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يذهَبُ يَسْتغفرُ فَيَسُبَّ نَفسَهُ[٢]» متفقٌ عليه.

١١٨٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «إذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاستعجَمَ القُرآنُ على لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدرِ ما يَقُولُ: فَلْيَضْطَجعْ[٣]» رواه مسلم.

الشرح

هذه بقية الأحاديث التي نقلها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل صلاة الليل، وتدل على أمور:

الأمر الأول: أن الإنسان إذا فاته قيام الليل فإنه يقضيه من النهار، ولكنه لا يوتر، لأن الوتر تختم به صلاة الليل، وقد انتهت كما دل على

= أيقظ أهله من الليل، رقم(١٣٢٦).

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب قيام الليل، رقم(١١١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم ومن لم ير من النعسة والنعستين، رقم(٢٠٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، رقم(١٣٠٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، رقم(١٣١٠).

ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا غلبه وجع أو غيره، - يعني كالنوم - فلم يصلِّ في الليل، صلى في النهار ثنتي عشرة ركعة، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يواظب في أكثر أحيانه على إحدى عشرة ركعة، فكان يقضي ما هو الأكمل والأكثر، يقضي ثنتي عشرة ركعة، وعلى هذا فإذا كان من عادة الإنسان أنه يوتر بثلاث ولم يقم، فإنه يقضي بالنهار أربعًا، ولا يقضي ثلاثًا، وإذا كان من عادته أن يُوتر بخمس يقضي ستًّا وهلم جرّا، ولكن متى يقضي؟ يقضيه فيما بين طلوع الشمس وارتفاعها إلى زوال الشمس، كما يدلّ على ذلك حديث عمر رضي الله عنه فيمن فاته ورده أو حزبه في الليل، أو شيء منه، أنه يقضيه في النهار في الضحى، فيقضي ذلك في الضحى، فإن نسي ولم يتذكّر إلا بعد الظهر قضاه بعد الظهر، لعموم قول النبي ﷺ: «**إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها**(١)».

ومما دلت عليه هذه الأحاديث أن الإنسان إذا غلبه النوم وجاءه النعاس وهو يصلي فلا يصلِّ، وذلك لأنه ربما يذهب يستغفر لنفسه فيسبَّ نفسه لأنه ينعس، وأيضًا ربما يستعجم القرآن على لسانه، فيتكلم بالكلمة من القرآن على غير وجهها فيُحرّف القرآن، فأنت إذا كان من عادتك أن تصلي بالليل وجاءك النوم، فلا تجهد نفسك، نم حتى يزول عنك النعاس

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم(١١٠٤).

ثم استأنف القيام، فإن طلع الفجر ـ فعلى ما سبق ـ فاقض الوتر في الضحى ولكن شفعًا.

ومما تدل عليه هذه الأحاديث أنه ينبغي للإنسان إذا كان له أهل وقام من الليل أن يوقظ أهله، لكن حسب نشاط الأهل، ولهذا كان الرسول ﷺ يصلي من الليل فإذا لم يبق إلا الوتر أيقظ عائشة فأوترتْ، يعني ليس من اللازم أن توقظ أهلك معك، لأنه قد يكون أهلك ليسوا مثلك في النشاط البدني أو في النشاط النفسي، فلا توقظهم معك، فليس بلازم إلا إذا رأيت أنهم يرغبون، ولكن لا تنسَهم من آخر الليل، يقومون ولو للوتر، كما كان رسول الله ﷺ يفعل. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يقوم الليل ويصوم النهار ويعبد ربه حق عبادته.

❊ ❊ ❊

٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

١١٨٧ - عَنْ أَبِي هُرِيرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسُول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[(١)]» متفقٌ عليه.

١١٨٨ - وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يُرَغِّبُ في قيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَأمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمةٍ، فيقولُ: «مَنْ قَامَ رَمضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[(٢)]» رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - في باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح.

سُمّيت «تراويح» لأن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يقومون رمضان ويطيلون القيام والركوع والسجود، فإذا صلوا أربع ركعات - يعني تسليمتين - استراحوا، وإذا صلوا أربعًا استراحوا، ثم يُصلّون ثلاثًا، وهذا يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها السابق، أن رسول الله ﷺ «كان يُصلّي أربعًا فلا تسألْ عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم(٣٦)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٧).

فكان النبي ﷺ يُرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة، يعني ما يُلزِم لكن يُرغِّب، فيقول: «**من قام رمضان إيمانًا واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقام النبي ﷺ بأصحابه ثلاث ليال في رمضان، يُصلّي بهم جماعة، ثم تأخر وقال: «**إني خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها**[1]» فتركه، وبقي الناس يأتون إلى المسجد يُصلّون، الرجلين والثلاثة أوزاعًا كلٌّ يُصلي مع صاحبه، فخرج عمر ذات ليلة فوجدهم يُصلّون أوزاعًا، فرأى رضي الله عنه بثاقب رأيه أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أبيَّ بن كعب رضي الله عنه وآخر معه أن يُصلّيا بالناس إحدى عشرة ركعة، فاجتمع الناس على إمام واحد في التراويح، وبقي المسلمون على هذا إلى يومنا هذا، لكن اختلف العلماء في عدد ركعات التراويح، فمنهم من قال: إحدى عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث وعشرون ركعة، ومنهم من قال: أكثر من ذلك، والأمر في هذا واسع؛ لأن السلف الذين اختلفوا في هذا لم يُنكر بعضهم على بعض، فالأمر في هذا واسع، يعني نحن لا نُنكر على من زاد على إحدى عشرة ركعة، ولا على من زاد على ثلاث وعشرين ركعة، ونقول: صلِّ ما شئتَ ما دامتِ الجماعة ـ جماعة المسجد ـ قد رضوا بذلك، ولم ينكر أحد.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم(٨٧٢)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٧٠).

أما إذا اختلف الناس فالرجوع إلى السنة أولى، والسنة أن لا يزيد على ثلاث عشرة ركعة لأن عائشة سُئلت كيف كان النبي ﷺ يصلي في رمضان؟ فقالت: كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة.

فأما مع عدم الخلاف فإنه يصلي ثلاثًا وعشرين أو أكثر، ما دام الناس لم يقولوا: خفِّفْ، فإذا قالوا: خفّف فلا يزيد على إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة. والله الموفق.

* * *

٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. إلى آخر السورة وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

١١٨٩ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ(١)» متفقٌ عليه.

١١٩٠ - وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ في المَنَامِ في السَّبْعِ الأوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأواخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأوَاخِرِ(٢)» متفقٌ عليه.

١١٩١ - وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمضَانَ، وَيقُول: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَان(٣)» متفقٌ عليه.

١١٩٢ - وَعَنْهَا رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، رقم(١٧٦٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل من تعار من الليل فصلى، رقم(١٠٨٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، رقم(١٩٨٥).

(٣) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم(١٨٨٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، رقم(١٩٩٨).

الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأواخِرِ مِنْ رَمَضَانَ[١]» رواه البخاري.

١١٩٣ ـ وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ العَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيَا اللَّيْلَ كلَّه وأيقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وشَدَّ المِئزرَ[٢]» متفقٌ عليه.

١١٩٤ ـ وَعَنْهَا رضي الله عنها قالتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَجتهِدُ في رَمضانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ، وفي العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْه، مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ[٣]» رواه مسلم.

١١٩٥ ـ وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يا رسول الله أَرَأَيْتَ إن عَلِمْتُ أيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فيها؟ قَالَ: «قولي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي[٤]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل ليلة القدر، وليلة القدر سُمّيت بذلك لوجهين:

---

(١) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم(١٨٧٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، رقم(١٨٨٤)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، رقم(٢٠٠٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، رقم(٢٠٠٩).

(٤) رواه أحمد (٦/ ١٧١)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٤٣٥)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم(٣٨٤٠).

الوجه الأول: أنه يُقدّر فيها ما يكون في السنة من أعمال بني آدم وغيرها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤]. يعني: يفصل ويبين.

والوجه الثاني: أن ذلك الشرف ـ يعني ليلة القدر ـ أي: ليلة ذات شرف؛ لأن قدرها عظيم، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ـ٣].

هذه الليلة خُصّت بفضلها هذه الأمةُ فكانت لها، ويُذكر أن النبي ﷺ عُرضت عليه أعمار أمته فتقاصرها، فأُعطي ليلة القدر وُجعلت هذه الليلة خيرًا من ألف شهر، فإذا كان الإنسان له عشرون سنة، صار له عشرون ألف حسنة في ليلة القدر، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة. والله تعالى خَصّ هذه الأمة وخص نبيها ﷺ بخصائص لم تكن لمن سبقهم، فالحمد لله رب العالمين.

ثم ذكر المؤلف أحاديث وردت في ذلك، وأنها ـ أي ليلة القدر في رمضان ـ وأنها في العشر الأواخر منه، وأنها في أوتاره آكد، وأنها في ليلة سبع وعشرين آكد، لكنها تتنقل في العشر، يعني قد تكون هذه السنة ليلة إحدى وعشرين، والسنة الثانية ليلة ثلاث وعشرين، والثالثة ليلة خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو أربع وعشرين أو ست وعشرين، أو اثنتين وعشرين، تتنقل لأنها ليست ليلة معينة دائمًا، لكن أرجى ما تكون ليلة سبع وعشرين ثم الأوتار، وأرجى العشر الأواخر السبع منها، لأن جماعة من الصحابة أُرُوا ليلة القدر في السبع الأواخر، فقال

النبي ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأتْ في السبع الأواخر، فمن كان متحرِّيها فليتحرَّها في السبع الأواخر**». وهذا يحتمل أنه كل عام أو أنه تلك السنة فقط، وعلى كل حال فهي في العشر الأواخر من رمضان، ولا تكون في الأوسط ولا في الأول منه، بل في العشر الأواخر.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث عن عائشة رضي الله عنها، عدة أحاديث مما يدل على فضل هذه المرأة، وأنها حفظت لأمة محمد ﷺ من سنته ما لم تحفظْه امرأة أخرى من النساء، فهي رضي الله عنها أكثر النساء حديثاً عن رسول الله ﷺ. حفظت من شريعة الله وسنة رسوله ما لم تحفظه امرأة سواها فجزاها الله عن أمة محمدٍ خيرًا.

تقول عائشة للرسول ﷺ: «أرأيتَ إن وافقتُ أو علمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**». «**والعَفُوُّ**»: هو المتجاوز عن سيئات عباده، وهو سبحانه وتعالى عفوٌّ قدير، يعني يعفو مع المقدرة، ليس كبني آدم إذا عجز عن الشيء فإنه يسامح، إنما يعفو مع القدرة جلَّ وعلا، وهذا هو كمال العفو، وهو سبحانه وتعالى يُحبّ العافين عن الناس، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وهو سبحانه يحب الذين يأخذون من الناس العفو، بل أمر بذلك فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال العلماء: معنى العفو يعني خُذْ ما عُفي من الناس، يعني ما سَهُل منه، خذه ولا تشره عليهم ولا تشدّ الحبل، فخذ العفو واترك ما وراء ذلك، وهذا من آداب القرآن أن الإنسان يكون واسع الصدر لبني آدم يأخذ العفو، فالشاهد أنه أفضل ما تدعو به في

ليلة القدر أن تقول: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني**». والله الموفق.



٢١٥ـ باب فضل السواك وخصال الفطرة

١١٩٦ ـ عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ـ أَوْ عَلَى النَّاسِ ـ لأمرْتُهُمْ بِالسِّواكِ مَعَ كلِّ صلاةٍ[١]» متفقٌ عليه.

١١٩٧ ـ وَعَنْ حُذَيفة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بالسِّوَاكِ[٢]. متفقٌ عليه.

«الشَّوْصُ»: الدَّلكُ.

١١٩٨ ـ وَعَنْ عَائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لرَسُولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ الله ما شَاءَ أَنْ يَبعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي[٣]» رواه مسلم.

١١٩٩ ـ وَعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ في السِّوَاكِ[٤]» رواه البخاري.

١٢٠٠ ـ وَعَنْ شُرَيْح بنِ هانِىء قَالَ: قُلْتُ لِعَائشَةَ رضي الله عنها: بِأَيِّ شيءٍ كانَ يَبْدَأُ النَّبيُّ ﷺ إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ. قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ[٥]. رواه مسلم.

١٢٠١ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: دَخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم(٨٣٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧٠).
(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب السواك، رقم(٢٣٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧٥).
(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، رقم(١٢٣٣).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم(١٨٣٩).
(٥) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧١).

وَطَرَفُ السِّوَاكِ على لِسَانِهِ[١]. متفقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

١٢٠٢ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «السواكُ مَطْهَرةٌ للفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ[٢]» رواه النسائي، وابن خُزيمة في صحيحه بأسانيد صحيحة.

الشرح

وذكر البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه هذا الحديث تعليقًا بصيغة الجزم فقال: قالت عائشة رضي الله عنها.

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب فضل السواك، وسنن الفطرة:

السواك هو: التسوّك وهو دلك الأسنان واللثة واللسان بعود الأراك وهذا السواك المعروف هو عود الأراك، ويحصل الفضل بعود الأراك أو بغيره من كل عود يشابهه، والصحيح أنه يحصل أيضًا بالخرقة أو بالإصبع لكنّ العود أفضل، والسواك ذكر النبي ﷺ فيه فائدتين عظيمتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للربِّ**» مطهرة للفم يعني: يُطهّر الفم من الأوساخ والأنتان وغير ذلك مما يضرّ، وقوله: للفم يشمل كل الفم، الأسنان واللثة واللسان، كما في حديث أبي موسى أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه.

الفائدة الثانية: مرضاة للرب يعني أنه من أسباب رضا الله عن العبد أن يتسوك.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧٣).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٦٢)، والنسائي: كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، رقم(٥)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، رقم(٢٨٥)، وابن خزيمة (١/ ٧٠).

وللسواك مواضع يتأكد فيها، وإلا فهو مسنون كل وقت، لكن يتأكد في مواضع معينة منها: إذا قام من النوم، فإنه يُسنّ له أن يستاك لحديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك، يعني يتسوك، وكذلك يؤيده حديث عائشة **أنهم كانوا يُعدّون له سواكه ووضوءه، فإذا قام تسوّك وتوضّأ وصلّى** ما شاء الله، ويُسنّ عند القيام من النوم بالليل أو بالنهار لأن الفم يتغير **فيُسنّ أن يتسوّك، كذلك يُسنّ** إذا دخل الإنسان بيته أوّل ما يدخل يتسوّك، لأن عائشة سُئلت: أي شيء يبدأ به الرسول ﷺ إذا دخل بيته قالت: «**السواك**».

ثالثًا: يتسوك عند الصلاة، إذا أراد أن يصلي فريضة أو نافلة صلاة ذات ركوع وسجود، أو صلاة جنازة فإنه يُسنّ أن يتسوك، لأن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» كذلك أيضًا يُسنّ السواك بتأكّد عند الوضوء، ومحله عند المضمضة أو قبل أو بعد، لكنه عند الوضوء كما جاء ذلك عن النبي ﷺ.

وألحق العلماء رحمهم الله ما إذا تغير فمه بأكل أو شرب لبن أو نحوه مما له دسم، فإنه **يُسنّ أن يتسوّك لأنه يُطهّر الفم**. وعلى كل حال فالسواك سنة ويتأكد في مواضع، ولكنه من حيث السنية مشروع كل وقت حتى للصائم بعد الزوال فإنه كغيره يُسنّ له أن يتسوك، وأما من كره ذلك من أهل العلم فقوله لا دليل عليه، والصحيح أن الصائم يتسوّك أول النهار، وآخر النهار، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٢٠٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الفِطرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطرَةِ: الخِتَان، والاسْتِحْدَادُ، وتَقليمُ الأظفار، ونَتَف الإبط، وَقَصُّ الشَّارِبِ[١]» متفقٌ عليه.

الاستحداد: حلق العانة، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أحاديث خصال الفطرة في باب فضل السواك، وخصال الفطرة.

والفطرة: يعني التي فطر الخلق على استحسانها وأنها من الخير، والمراد بذلك الفطر السليمة لأن الفطر المنحرفة لا عبرة بها لقول النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجّسانه**[٢]».

وذكر منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الفطرة خمس**». وفي لفظ «**خمس من الفطرة**» فعلى اللفظ الأول يكون المعنى أن الفطرة هي هذه الخمس، وعلى الثاني يكون المعنى أن هذه الخمس من الفطرة وهناك أشياء أخرى غيرها من الفطرة، وهذا اللفظ أقرب إلى الواقع لأن الخمس التي ذُكرت في حديث أبي هريرة يوجد من الفطرة غيرها

---

(١) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم(٥٤٣٩)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(٣٧٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم(١٢٩٦)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم(٤٨٠٣).

فيكون الأقرب أن لفظ الحديث: خمس من الفطرة.

أما على اللفظ الأول ـ الحصر ـ فقد يُراد بذلك الفطرة تامة، وأما الأخرى فتكون من الفطرة التي هي من مكملات الفطرة:

أولاً: الختان: الذي يُسمّى عن الناس الطهارة، وهو للرجال والنساء، أما الرجال فختانهم واجب، وأما النساء فختانهنّ سنة، وليس بواجب، وذلك أن الرجل إذا لم يُختن وبقيت الجلدة التي فوق الحشفة فإنه يحتقن بها البول، وتكون سببًا في النجاسة لأنه إذا احتقن بها البول ثم حصل ضغط عليها، خرج البول الذي صار بينها وبين الحشفة فتلوثت الثياب وتنجست، ثم هي أيضًا عند الكبر، وعندما يصل الإنسان إلى حد الزواج يكون هناك مشقة شديدة عند الجماع، فلذلك كان من الفطرة أن تُقصّ هذه الجلدة، ولهذا كان كثير من الكفار الآن يختتنون لا لأجل الطهارة والنظافة لأنهم نجس، لكنهم يختتنون من أجل التلذذ عند الجماع وعدم المشقة.

ومتى يكون الختان؟ يكون الختان من اليوم السابع فما بعده، وكلما كان في الصغر فهو أفضل لأن ختان الصغير لا يكون فيه إلا الألم الجسمي دون الألم القلبي، أما الكبير، لو ختنا مَنْ له عشر سنوات مثلاً، فإنه يكون فيه ألم قلبي وجسمي، ثم إن نمو اللحم ونبات اللحم وسرعة البرء في الصغار أكثر، ولهذا قال العلماء: إن الختان في زمن الصغر أفضل، وهو كذلك.

الثاني: الاستحداد: الاستحداد يعني حلق العانة، والعانة هي الشعر

الخشن الذي ينبت حول القبل، وهو من علامات البلوغ، فمن الفطرة أن يحلق الإنسان هذا الشعر؛ لأنه إذا طال فربما يتلوث بالنجاسة من أسفل أو من القبل ويحصل في ذلك وسخ وقذر، ولأنه مضر وإن كان بعض الناس مثل البهائم يُبقي العانة ويجعلها تزداد وتطول، نسأل الله السلامة.

الثالث: **قص الشارب** وهو الشعر النابت فوق الشفة العليا، وحَدُّه: الشِّفة، كل ما دار على الشفة العليا فهو شارب، فهذا يُحفّ لأن بقاءه يكون فيه تلويث بما يخرج من الأنف من الأذى، ثم عند الشرب أيضًا يباشر الشعر المتلوث الماءَ فيقذره، وربما يحمل ميكروبات مضرة، وعلى كل حال فهو من السنة، أهم شيء أنه من السنة والتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ إذا حففته.

الرابع: **قص الأظافر**: يعني تقليمها، والمراد بذلك أظفار اليدين والرجلين، ولا ينبغي أن تقصّ حتى تصل إلى اللحم لأن هذا يضر الإنسان، وربما يحصل فيه خُرّاج أو ما أشبه ذلك، لكن نَقُصّها قصًّا معتدلاً.

الخامس: **نتف الإبط**: إذا كان فيها شعر فإنها تُنتف ولا تُقصّ ولا تُحلق، بل نتفها أولى لأن النتف يُزيلها بالكلية، ويضعف أصولها حتى لا تنبت فيما بعد، وهذا أمر مطلوب شرعًا.

هذه خمسة أشياء: الختان، الاستحداد، قص الشارب، تقليم الأظفار، نتف الآباط، أما الختان فيُفعل مرة واحدة وينتهي أمره، وهنا أنبّه على مسألة، وهي أن بعض الناس قد يُولد مختونًا، ليس له كلفة. تجدُ

الحشفة بارزة ظاهرة من حين أن يولد، وشاهدنا ذلك بأعيننا، فهذا لا يُختن، ما بقي شيء يختن من أجله.

أما الأربع الباقية: الاستحداد، قص الشارب، تقليم الأظفار، نتف الإبط فإنها لا تترك فوق أربعين يومًا لأن النبي ﷺ وَقَّتَ لأمته أن لا تترك هذه الأشياء فوق أربعين يومًا، فلها مدة محدودة لا تتجاوزها. وأحسن ما يكون في ضبط الأربعين أن تجعل لك وقتًا معينًا، مثلاً تقول: أول جمعة من كل شهر أقوم بعملي هذا، حتى لا تنسى لأنه أحيانًا ينسى الإنسان وربما يمضي أربعون يومًا، أو خمسون يومًا ولا يذكر، فإذا جعلت شيئًا معينًا بأن تقول مثلاً: أول جمعة من كل شهر أزيل هذه الأشياء الأربعة، انضبط الوقت، ولكن هذا ليس بسنة، إنما هو من أجل ضبط الوقت لفعل السنة، وهو أن لا تتركها فوق أربعين يومًا. والله الموفق.

ولا يحلق الشارب بالموسى، حتى إن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ قال: أرى أن يُؤدّب من حلق شاربه، لأنه شوّه الخلقة ولأنه خلاف السنة، فالسنة حفُّه أو تقصيره.

وفي الإبط الأفضل النتف، وإزالته بالمزيل لا بأس بها، إلا أن الأفضل النتف إلا أن بعض الناس يشق عليه النتف جدًّا، فلا بأس من أن يُزال بالأدهان وشبيهها.

* * *

١٢٠٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الفِطرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإِعْفَاء اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، واسْتِنشَاقُ الماءِ، وَقَصُّ

الأظفَارِ، وغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتفُ الإبطِ، وحلَقُ العَانَة، وانتِقَاصُ الماء» قال الرَّاوِي: وَنَسيتُ العَاشِرَةِ إلا أن تكون المضمضمة، قالَ وَكيع ـ وهو أحد رواته: انتقاص الماء، يعني: الاسْتِنْجَاء[١]. رواه مسلم.

«البراجِمُ» بالباءِ الموحدة والجيم، وهي: عُقد الأصابع «وَإعْفَاء اللِّحية» معناه: لا يقصُّ منها شيئًا.

١٢٠٥ ـ وَعَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «أَحفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللّحى[٢]» مُتفق عليه.

الشرح

هذه بقية خصال الفطرة، وقد سبق حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الفطرة خمس ـ الختان، والاستحداد، وقصُّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط» وذكرنا أن الأربعة التي سوى الختان لا تُترك فوق أربعين يومًا، لأن النبي ﷺ وقّت ذلك.

أما حديث عائشة ففيه أن الفطرة عشرة خصال، منها ما سبق في حديث أبي هريرة، ومنها ما ذُكر في حديث عائشة دون حديث أبي هُريرة. فمن ذلك: إعفاء اللحية، فإنه من الفطرة، وفي حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ أمر بإعفاء اللحى.

واللحية: قال أهل اللغة: إنها شعر الوجه واللحيين يعني: العوارض

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(٣٨٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم(٥٤٤٢)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(٣٨٠).

وشعر الخدين، فهذه كلها من اللحية، وأما الشارب فسبق الكلام عليه، وإعفاء اللحية يعني إرخاءها وإطلاقها وتركها على ما هي عليه، هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعلى استحسانها، وعلى أنها من علامة الرجولة بل ومن جمال الرجولة، وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يحلق لحيته، فإن فعل فقد خالف طريق النبي ﷺ وعصى أمره، ووقع في مشابهة المشركين والمجوس، لأن النبي ﷺ قال: «**خالفوا المجوس أو المشركين، وفِّروا اللحى وحفوا الشوارب**(١)».

ولم يكن الناس يعرفون هذا، أي: لم يكن المسلمون يعرفون حلق اللحية، بل كان بعض الغُلاة الظلمة إذا أرادوا أن يُعَزرُوا شخصًا حلقوا لحيته، وهذا حرامٌ عليهم لأنه لا يجوز التعزير بمحرم، لكن قصدي به أنهم كانوا يُعدّون حلق اللحية مثلة وتعزيرًا وعذابًا، أما بعد أن استعمر الكفار ديار المسلمين في مصر والشام والعراق وغيرها وأدخلوا على المسلمين هذه العادة السيئة، وهي حلق اللحية، صار الناس لا يبالون بحلقها، بل كان الذي يُعفي لحيته مستنكرًا في بعض البلاد الإسلامية، وهذه لا شك أنها معصية للرسول ﷺ ومن يعصِ الرسول ﷺ فقد عصى الله ومن يُطع الرسول ﷺ فقد أطاع الله، وإذا ابتُلي الإنسانُ بأحدٍ من أقاربه يحلق لحيته، فالواجب عليه أن ينصحه ويبيّن له الحق، أما هجره فهذا حسب المصلحة، إذا كان هجره يُفيد في ترك المعصية، فليهجرْه، وإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم(٥٤٤٢).

كان لا يفيد أو لا يزيد الأمر إلا شدة فلا يهجره، لأن الهجر دواء يُستعمل حيث ينفع، وإذا لم ينفع، فإن الأصل تحريم هجر المؤمن، لقول النبي ﷺ: «**لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**[١]».

ومما زيد في هذا الحديث: الاستنشاق، الاستنشاق من الفطرة لأنه تنظيف وإزالة أذى لما في الأنف، فهو طهارة، والاستنشاق يكون في الوضوء ويكون في غير الوضوء، كلما احتجت إلى تنظيف الأنف فاستنشق الماء ونظّفْ أنفك، وهذا يختلف باختلاف الناس، ومن الناس من لا يحتاج إلى هذا إلا في الوضوء، ومن الناس من يحتاج إليه كثيرًا.

ومن ذلك أيضًا ـ أي من سنن الفطرة ـ المضمضة فإنها من الفطرة؛ لأن فيها تنظيفَ الفم، والفم يحتاج إلى تنظيف؛ لأنه يمر به الأكل والدهن وما أشبه ذلك، فيحتاج إلى تنظيف، فكانت المضمضة من خصال الفطرة.

ومن ذلك أيضًا الاستنجاء، وقد فسّر وكيع انتقاص الماء بأنه الاستنجاء، لأن الاستنجاء تنظيف وتطهير وإزالة أذى.

ومن ذلك أيضًا غسل البراجم، والبراجم قال العلماء: إنها مسقط الأصابع، فإن مسقط الأصابع من الباطن يحتاج إلى تنظيف أكثر من

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم(٥٦١٣)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم(٤٦٤٣).

ظاهرها، لأن ظاهرها ممسوح، ليس فيه شيء يحتاج إلى تنظيف أكثر.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن إعفاء اللحية ـ مع كونه مخالفة للمشركين ـ من خصال الفطرة، فيندفع بذلك شبهة من شبّه، وقال: إن من الكفار اليوم من يُعفي لحيته أفلا يليق بنا أن نُخالفهم ونحلق اللحى؟ انظر ـ والعياذ بالله ـ وسوسة الشيطان. فنقول: إن إعفاءهم اللحية تبعٌ للفطرة، ونحن مأمورون بالفطرة، وإذا شابهونا هم بالفطرة، فإننا لا نمنعهم ولا يقتضي أن نعدل عن الفطرة من أجل أنهم وافقونا فيها، كما أنهم لو وافقونا في تقليم الأظفار فإننا لا نقول نترك تقليم الأظفار بل نقلمها، وهكذا بقية الفطرة إذا وافقنا فيها الكفار فإننا لا نعدل عنها، والله الموفق.

ولنعلم أن الإكثار من استخدام الماء في الوضوء أو الغسل داخل في قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ولهذا قال الفقهاء ـ رحمهم الله ـ يُكره الإسراف ولو كان على نهر جار فكيف إذا كان على آلات تستخرج الماء من جوف الأرض، فالحاصل أن الإسراف في الوضوء وغير الوضوء من الأمور المذمومة.



٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

الشرح

قال الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها.

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، لقول النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**[(١)]» والله سبحانه وتعالى يذكرُها كثيرًا مع الصلاة في القرآن الكريم، ولهذا اختلفَ العلماء - رحمهم الله - هل تاركها يكفُر كما يكفر تارك الصلاة أم لا؟ على قولين.

والزكاة: هي التعبد لله تعالى في دفع مال مخصوص من أموال مخصوصة. هذا المال المخصوص مُقَدّر: ربع العشر، نصف العشر، العشر. وكذلك يدفع لطائفة مخصوصة كما سيأتي إن شاء الله.

والزكاة لها فوائد عظيمة:

منها: تكميل إسلام العبد، لأنها أحد أركان الإسلام، وهي أفضل من الصدقة، يعني لو أدى الإنسان مائة ريال زكاة أو مائة ريال صدقة تطوع، كانت مائة ريال الزكاة أحب إلى الله عزَّ وجلَّ وأفضل.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب بُني الإسلام على خمس، رقم(٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم(٢٠).

ومنها: أن الإنسان يخرج بها عن دائرة البخلاء إلى دائرة الكرماء، لأنها بذل مال، والبخل إمساك المال، فإذا بذلها الإنسان خرج عن كونه بخيلاً إلى كونه كريمًا.

ومنها: مضاعفة الحسنات لأن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله مثلهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة. يعني: ريال بسبعمائة ريال أو أكثر.

ومنها: أن فيها جبرًا لقلوب الفقراء ودفعًا لحاجتهم وحماية من غضبهم، لأن الفقراء إذا لم يُعطوا من مال الأغنياء فربما يغضبون ويتجرءون ويكرهون الأغنياء ويرون أنهم في وادٍ والأغنياء في واد، والأمة الإسلامية أمة واحدة يجب أن يعتقد كل إنسان أنه لبنة في سور قصر مع إخوانه المسلمين، لقول النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**[1]».

ومنها: أنها سبب في شرح الصدر، لأن الإنسان كلما بذل شيئًا من ماله شرح الله له صدره، وهذا شيء مجرب وواقع، لو يتصدّق الإنسان بأدنى من واجب الزكاة لوجد في صدره انشراحًا وفي قلبه محبة للخير.

ومنها: أنها تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء، وهذه فائدة عظيمة، تدفع ميتة السوء بمعنى أن الإنسان يموت على أحسن حال،

---

(١) رواه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، رقم(٢٢٦٦)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم(٤٦٨٤).

وحسن الخاتمة ـ أحسن الله لي ولكم الخاتمة ـ أعزُّ ما يكون على الإنسان؛ لأنه وقت فراق الدنيا إلى الآخرة، والشيطان أحرص ما يكون على بني آدم عند الموت، لأنها هي الساعة الحاسمة، إما من أهل النار أو من أهل الجنة، وفي حديث عبد الله بن مسعود: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**[1]». فالأعمال بالخواتيم، والصدقة وعلى رأسها الزكاة تدفع ميتة السوء.

ومنها: أن النبي ﷺ أخبر أن كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة، كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة، فالناس تكون الشمس فوق رءوسهم قدر ميل، وهؤلاء المُتصدّقون وعلى رأس صدقاتهم الزكاة، يكونون في ظل صدقاتهم يوم القيامة.

وحكى لي بعض الصلحاء أن رجلاً كان يمنع أهله من الصدقة من البيت يقول: لا تَصّدقوا، وفي يوم من الأيام نام ورأى في المنام كأن الساعة قد قامت، ورأى فوق رأسه ظلاً يظله من الشمس إلا أن فيه ثلاثة خروق يقول: فجاءت تمرات فسدت هذه الخروق، فتعجّب ما هذه

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم(٢٩٦٩)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم(٤٧٨١).

الرؤيا؟! ، كيف أَنَّ الثوب مُخَرّق وتجيء التمرات تسد الخروق، فلمّا قصها على زوجته، أخبرته بأنها تصدّقت بثوب وثلاث تمرات، فكان الكساء الأول هو الثوب، لكنه مخرق وجاءت التمرات الثلاث فسدّت الخروق، ففرح بذلك وأذن لها بعد هذا أن تتصدق بما شاءت، فالحاصل أن هذه الرؤيا مصداق قول الرسول ﷺ: «**كل امريء في ظل صدقته يوم القيامة**[1]».

ومنها: أنها تُلين القلب، حيث إن الإنسان يُعطيها الفقراء المحتاجين فيلين قلبه ويرحمهم، وفي ذلك تعرّض لرحمة الله لأن الله إنما يرحم من عباده الرحماء، ولها فوائد كثيرة قد يطول في المقام ذكرها.

وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على الآيات التي ذكرها المؤلف. والله الموفق.

* * *

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

الشــرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها. ثم ذكر آيات ثلاثًا، الآية الأولى قوله تعالى:

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٤٧).

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ فإقامة الصلاة أن تأتي بها مستقيمة على الوجه الذي ورد عن النبي ﷺ، وإيتاء الزكاة هو إعطاؤها لمستحقّها وقد سبق بيان معنى الزكاة، وبيان فوائدها ما يسّره الله تعالى.

ثم ذكر الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾: يعني بذلك الناس ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أي يتذللوا له بالعبادة بكل ما تعبّدهم به من عقيدة أو قول أو عمل، ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي مخلصين له العمل، وإخلاص العلم لله أن لا يبتغي الإنسانُ شيئًا بعمله سوى الله عزَّ وجلَّ، لا يبتغي دنيا ولا جاهًا ولا رئاسة ولا غير ذلك، بل لا يريد إلا ثواب الله.

وقوله ﴿حُنَفَآءَ﴾: يعني: مائلين عن الشرك، فهو إخلاص بلا إشراك.

وقوله: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾: وهذا هو الشاهد في قوله ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾.

قوله ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، ﴿وذَلِكَ﴾ **أي: عبادة الله تعالى** مخلصين له الدين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ﴿دِيْنُ القَيِّمَةِ﴾، **أي دين الملة القيمة فهو العمل المرضي عند الله عزَّ وجلَّ.**

وقال سبحانه تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ **الخطاب للنبي ﷺ** ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾. **يعني بذلك** الزكاة، ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ **تطهّرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، أما كونها تُطهّر من الذنوب فلقوله**

ﷺ: «**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**[(١)]» وأما كونها تطهّر الأخلاق الرذيلة، فلأنها تُلحق الإنسان بالكرماء والمحسنين بما يبذله من أموال الزكاة لمستحقيها. ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي تُنمّي أخلاقهم، بعد التطهير من الأخلاق الرذيلة تنمي الأخلاق الفاضلة ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، تزكيهم أيضًا دينًا، فهي تزكية دين وتزكية أخلاق. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أي أدْعُ لهم بالصلاة عليهم.

وكان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال لهم: «**اللهم صلِّ عليهم**» امتثالاً لأمر الله. ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ صلاتك عليهم: يعني دعاءك لهم بالصلاة سكن لهم، تُسْكن إليه نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتنشرح صدورهم، ويسهل عليهم بذل المال، والله سميع عليم.

ففي هذه الآيات الثلاث دليلٌ على وجوب الزكاة وأنها من أفضل الأعمال، وسيأتي إن شاء الله الكلام في الأحاديث فيما بعد.

* * *

١٢٠٦ ـ وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسُول الله ﷺ قَالَ: بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إله إلاَّ الله، وَأَنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وإقام الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْم رمضانَ[(٢)]» **متفقٌ عليه.**

١٢٠٧ ـ وعن طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ الله

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٩٩)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم(٢٥٤١)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم(٣٩٦٣).
(٢) سبق تخريجه.

ﷺ مِنْ أهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّاسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ. حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسلامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوات في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» قالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قالَ: «لا، إلاَّ أَنْ تطَوَّعَ» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ، «وصيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ» قالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لا، إلاَّ أَنْ تطَوَّعَ» قالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، الزَّكَاةَ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لا، إلاَّ أَنْ تَطَوَّع» فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقُولُ: واللهِ لا أزيدُ على هَذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ[1]» متفقٌ عليه.

١٢٠٨ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إلى اليَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُول الله، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلكَ، فَأَعْلِمْهُم أنَّ الله تَعَالى، افتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمسَ صَلواتٍ في كُلِّ يَومٍ وليلة، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لذلك فَأعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افتَرضَ عليهم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائهِمْ، وتُرَدُّ على فُقَرائهم[2]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه هي الأحاديث الثلاثة ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة، أما حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم(٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، رقم(١٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٠٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

قول النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس...**» فقد تقدم الكلام عليه مفصلاً ولا حاجة إلى إعادته.

وأما حديث طلحة بن عبيد الله في قصة الرجل النجدي الذي جاء ثائر الرأس يسمعون صوته ولا يفقهون ما يقول وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، فذكر له: خمس صلوات، وصيام رمضان، والزكاة، ولم يذكر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لعلمه ﷺ بأنه قد نطقها وشهد بها لأنه جاء مسلمًا، لكن يريد أن يستفسر عن تفاصيل بعض الأشياء، وفيه قوله ﷺ لهذا الرجل، لما ذكر ﷺ خمس صلوات وصيام رمضان والزكاة، وقال الرجل: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوّع**» فدل هذا على أنه لا يجب في اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات، فالوتر ليس بواجب لكنه سنة مؤكدة، وتحية المسجد ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، وصلاة العيدين ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، وكذلك أيضًا ما اختلف فيه العلماء.

هكذا ذهب بعض أهل العلم وجعل هذا الحديث أصلاً في عدم وجوب ما ذكر؛ ولكن عند التأمل ليس فيه دليلٌ لذلك، يعني أنه لا يدل على عدم وجوب تحية المسجد، وعلى عدم وجوب صلاة العيد، وما أشبهها، لأن هذه صلوات لها أسباب عارضة تجب بوجود أسبابها، إلا أن القول الراجح أن تحية المسجد ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، أما صلاة العيد فواجبة، لأن النبي ﷺ أمر حتى الحُيَّضَ من النساء وذوات الخدور والعواتق أن يخرجن ويصلِّين إلا أن الحُيَّضَ يعتزلن المصلى، وأما الوتر

فنعم في الحديث دليلٌ على أنه ليس بواجب، لأن الوتر يتكرّر يوميًّا، ولو كان واجبًا لبينه الرسول ﷺ لهذا الرجل، فالصواب أن الوتر سنة مؤكدة وليس بواجب، لو تركه الإنسان لا يأثم، لكن من داوم على تركه سقطت عدالته، قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من ترك الوتر فهو رجل سوء لا ينبغي أن تُقبل له شهادة.

وأما صيام رمضان، فلا يجب أن يصوم غيرَه، اللهم إلا في النذر، فإن النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»(١).

وأما الزكاة فلا يجب غيرها أيضًا في المال، إلا ما كان له سبب كالنفقة على الزوجة والأقارب وكضيافة الضيف، وما أشبه ذلك مما له سبب معين يجب بوجود السبب.

ولما أدبر الرجل قال: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص». عاهد الله عهدًا بيمين أن لا يزيد على هذا ولا ينقص، فقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق، أفلح إن صدق**». وهذا دليلٌ على أن الإنسان إذا اقتصر على الواجب في الشرع فإنه مفلح، ولكن لا يعني هذا أنه لا يُسنّ أن يأتي بالتطوع، لأن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة، وكم من إنسان أدى الفريضة وفيها خلل وفيها خروق، وفيها خدوش، تحتاج إلى تكميل وإلى رأب الصدع.

أما حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي ﷺ معاذًا إلى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، رقم(٦٦٩٦).

اليمن، فقد سبق الكلام عليه أيضًا، فلا حاجة إلى إعادته، لكن فيه أن الرسول ﷺ قال: «أعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» وهذا هو الشاهد في هذا الباب. والله الموفق.

* * *

١٢٠٩ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسُولَ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشهدُوا أنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيموا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأموالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله[١]» متفقٌ عليه.

١٢١٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا تُوُفيَ رسُولُ الله ﷺ وَكَان أَبُوبكْر رضي الله عنه، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العرب، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله، فَمَنْ قَالَهَا، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلى الله؟! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: والله لأُقاتلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ والزَّكَاةِ، فإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَال. واللهِ لو مَنَعُوني عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنعِهِ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه فَوَ الله مَا هُوَ إلاَّ أَنْ رَأَيْتُ الله قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بكرٍ للقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحقُّ[٢]» متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، رقم(٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم(٣١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣١٢)، ومسلم: كتاب =

الشــرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها. ذكر منها ما سبق الكلام عليه، وذكر منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**». قوله: «**أُمِرْت**» الآمر له هو الله عزَّ وجلَّ، وفي هذا دليلٌ على أن النبي ﷺ عبد مأمور مُكلَّف يُؤمر ويُنهى كما يؤمر وينهى سائر الناس، لأنه عبد من عباد الله عليه الصلاة والسلام، ليس ربًّا ولا يملك شيئًا من حقوق الربوبية، بل هو عبد يُؤمر ويُنهى، وربما يحصل له أكبر من ذلك، لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. وكقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]. يعاتبه ربه عزَّ وجلَّ، ويقول له سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فمن زعم أن محمدًا ﷺ له شيء من الربوبية وأنه ينفع ويضرّ ويجيب الدعوة ويكشف السوء، فقد أشرك بالله وكفر بمحمد ﷺ.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا**

= الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٩).

إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة» يقاتل من امتنع من واحد من هذه الأربع: من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومن إقام الصلاة، ومن إيتاء الزكاة. يقاتلهم حتى يُذعنوا ويرضخوا لهذه الأربع، فإذا فعلوا ذلك يعني: شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، «**عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ**». يعني: إذا فعلوا ذلك فقك استسلموا ظاهرًا فيعصمون دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله، لأن من الناس مَنْ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، وقلبه منطوٍ على الكفر، ولهذا قال: «**حسابهم على الله**» فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله، لكن لا يذكرون الله إلا قليلاً. ويقولون لرسول الله ﷺ: نشهد إنك لرسول الله، ويقيمون الصلاة ولكن لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ويتصدّقون ولكن لا ينفقون إلا وهم كارهون. ومع ذلك قلوبهم منطوية على الكفر ـ نسأل الله العافية ـ ولهذا قال: «**وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ**».

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تحاور أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخليفة الأول لرسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ، تحاورا في مسألة دينية، مع أن كل واحد منهما يحب الآخر حبًّا عظيمًا، لكن هذه المحبة لا تمنع من المحاورة والمراجعة الدينية؛ لأن الدين فوق كل شيء، لما كان أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ باختيار الصحابة له أن يكون الخليفة مِنْ بعد الرسول

وكذلك بإشارة النبيّ ﷺ إليه حيث خلفه عنه في الحج وهي إمامة كبرى بالنسبة للناس، وفي الصلاة وهي إمامة صغرى، لأن أمير الحج يؤمُّ مِنَ الناس أكثر مما يؤمه إمام المسجد، خلَّفه النبي ﷺ إمامًا للمسجد حين مرض وخلَّفَه في الحج بالناس عام تسع من الهجرة، واتفق الصحابة بعد موت الرسول ﷺ على أن الخليفة من بعده أبو بكر، ارتدّ مَن ارتدّ من العرب والعياذ بالله ـ وقد أشار الله إلى هذا في قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقد حصل هذا، ارتد من ارتد مَن العرب ومنعوا الزكاة وكفروا بالله، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه فحاوره عمر رضي الله عنه، قال: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» . وهذا هو الذي سمعه عمر من النبي ﷺ وإلا فابنه سمع من الرسول أكثر من ذلك، سمع من الرسول ﷺ أنه قال: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» لكن عمر روى ما سمع: «حتى يقولوا لا إله إلا الله» فقال أبو بكر رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عقالاً ـ يعني عقال بعير ـ كانوا يُؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك» . وهذا دليلٌ على حزمه رضي الله عنه مع أنه ألين من عمر، لكن في مواقف الشدة والضيق يكون أبو بكر أحزم من عمر: نضرب لكم أمثلة.

منها هذا المثال: عمر رأى ألا يقاتل الناس لكن بعد مراجعة أبي بكر له، علم أنه الحق، لما رأى أن الله قد شرح صدر أبي بكر لقتالهم وهو

الخليفة من بعد الرسول عرف أنه الحق، إذ أن الله سبحانه وتعالى لم يشرح صدر هذا الخليفة الراشد (أول خليفة في الأمة الإسلامية) إلا لحقٍّ، عرف أنه الحق لما شرح الله صدر أبي بكر له. هذا موقف صار أبو بكر أجلد من عمر وأشد وأثبت.

والموضع الثاني: لما مات الرسول ﷺ أظلمت المدينة واضطرب الناس وصار يومًا عصيبًا واجتمع الناس في المسجد وقام عمر رضي الله عنه وقال: «إن النبي ﷺ لم يمت ولكنه صعد ـ يعني: غُشي عليه ـ وليبعثنه الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم» هكذا قال وكان يقولها بجد وحزم. وكان أبوبكر رضي الله عنه حين مات الرسول ﷺ في حائط له خارج المدينة، فذهبوا فأخبروه، فجاء إلى الرسول ﷺ وكشف عن وجهه وقد غُطّي عليه الصلاة والسلام وقال: «**بأبي أنت وأمي، طبت حيًّا وميتًا، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة الأولى فقد مِتّها**» ثم خرج إلى الناس، وإذا عمر يتكلّم، منكرًا موته ويقول: «**ما مات، غشي عليه وليبعثنه الله**» فقال أبو بكر: «**على رِسلك**» يعني أرفق، فجلس عمر أو بقي قائمًا، فصعد أبو بكر المنبر وخطب الناس خطبة عظيمة بليغة في هذا المقام الضنك. وقال: «**أما بعدُ: أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات**» رضي الله عنه وهو أشد الناس فجيعة به «**ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى

ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. يقول عمر: «**حتى عثرت فما تُقلّني رجلاي**[(١)]» يعني: لا يقدر أن يقف، فجلس، لأنه علم أن هذا هو الحق. فانظر إلى ثبات أبي بكر في هذا المقام العظيم.

أما الموضع الثالث: فهو في صلح الحديبية: صلح الحديبية فيه شروط ظاهرها فيه غضاضة على المسلمين، منها: أن من جاء من قريش مسلمًا رده الرسول إلى قريش، ومن ذهب من المسلمين إلى قريش فلا يلزمهم رده. هذا الشرط ظاهره أنه إجحاف، عجز عمر، فلا يبصر على هذا، فقال: «يا رسول الله، كيف؟ كيف؟ من خرج منهم مسلمًا وجاء مهاجرًا إلينا نردُّه، ومن ذهب منّا إليهم لا يردونه؟ كيف نعطي الدنية في ديننا؟ ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال ﷺ: «**بلى، لكن هذا أمر الله، وأنا عبد الله ورسوله، ولن أعصي الله، وسينصرني الله عزَّ وجلَّ**[(٢)]». فعجز عمر، فذهب إلى أبي بكر يستنجد به لعله يشير على الرسول ﷺ بعدم الموافقة، فكان جواب أبي بكر رضي الله عنه كجواب الرسول ﷺ حرفًا بحرف، مواقف عظيمة في هذا المقام الضنك، قال: «إنه رسول الله وإن الله ناصره، فاستمسك بغرزه» يقول لعمر، يعني: احذر أن تخالفه فإنه على الحق.

في هذه المواقف الثلاثة العظيمة تبيّن ثبات أبي بكر رضي الله عنه وأنه

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً، رقم(٣٦٧٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم(٢٥٢٩)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، رقم(٣٣٣٨).

أثبت الصحابة وأحق الصحابة بالخلافة وأحزمهم، وأعقلهم، وهكذا يتبين حال الإنسان الثابت الذي ينظر إلى الأمور من بعيد ويسبر غورها، والإنسان الذي عنده غيرة لا ينبغي له أن يتعجل، فالتعجل قد يكون فيه غرر.

المهم من هذا الحديث أو الفائدة منه في هذا الباب الذي بوبه الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ أن من امتنع من الزكاة وجب على الإمام قتاله حتى يؤدي الزكاة. والله الموفق.

* * *

١٢١١ ـ وَعَنْ أَبِي أَيّوب رضي الله عنه أنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ أَخْبِرْنِي بَعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّة، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ[١]» متفقٌ عليه.

١٢١٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه أَنَّ أعرابيًّا أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: يا رسولَ الله دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجَنَّة. قال: «تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاة، وتُؤتِي الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمضَانَ» قالَ: والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أَزِيدُ عَلَى هذا. فَلَمَّا وَلَّى، قال النَّبيُّ ﷺ «مَنْ سرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى هذا[٢]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم(١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم(١٥).

١٢١٣ ـ وَعَنْ جَرير بن عبدِ الله رضي الله عنه قال: بَايَعْتُ النَّبيَّ ﷺ عَلَى إقامِ الصَّلاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[1]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها، حديث أبي أيوب وأبي هُريرة وجرير، وكلها تدل على ما سبق من أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من فرائض الإسلام، وفي حديث أبي أيوب زيادة (وتصل الرحم) والرحم: هم القرابة من جهة الأب أو من جهة الأب، وصلتهم بما جرى به العرف والعادة لأن النبي ﷺ لم يبين كيفية الصلة، وكل شيء جاء في الكتاب والسنة ولم يُبيّن فإن مرجعه إلى عادة الناس وعرفهم. وهذا يختلف باختلاف الأحوال واختلاف الأزمان واختلاف البلدان، ففي حالة الحاجة والفقر وشدة المؤنة تكون صلتهم بإعطائهم ما يتيسر من المال وما يسد حاجتهم، وكذلك إذا كان هناك مرض في القرابة فإن صلتهم أن تعودهم وتتكرر عليهم حسب ما بهم من المرض وحسب القرابة. وإذا كانت الأمور ميسرة وليست هناك حاجة كما في عرفنا اليوم، فإنه يكفي أن تصلهم بالهاتف أو بالمكاتبة، أو في المناسبات البعيدة كالأعياد وغير ذلك، والمهم أن صلة الرحم واجبة، لكنها غير محددة في الشرع، فيرجع فيها إلى ما جرى به العرف وتعارفه الناس بينهم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين، رقم(٥٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم(٨٣).

وأما في حديث جرير بن عبد الله ففيه زيادة على ما سبق ـ من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ـ أن (النصح لكل مسلم)، أن الإنسان ينصح لكل مسلم بحيث يعامله كما يعامل نفسه وكما يحب أن يعامله الناس، فلا يكذبه ولا يخذله ولا يخدعه ولا يغشه ولا يخونه ويكون له ناصحًا من كل وجه، وإذا استشاره في شيء وجب عليه أن يشير عليه بما هو الأصلح له في دينه ودنياه. وقد ذُكر أن جرير بن عبد الله رضي الله عنه حينما بايع النبي ﷺ على هذه البيعة: (النصح لكل مسلم)، ذُكر عنه أنه اشترى فرسًا من شخص بثمن ثم إنه لما ركبه ورأى الفرس جيدًا، رجع إلى البائع وقال: «إن فرسك هذا يساوي أكثر» فزاده ثم ذهب به ووجده يساوي أكثر، فرجع إليه وقال: «إن فرسك هذا يُساوي أكثر» فزاده، إلى أن زاده بقدر الثمن الأول مرة أو مرتين»؛ لأنه بايع النبي ﷺ على: «النصح لكل مسلم».

فعلى المرء أن يكون وَصُولاً لرحمه وأن يكون ناصحًا لإخوانه المسلمين. وفي حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» ثلاث مرات، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]. والله الموفق.

* * *

١٢١٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذهَبٍ، وَلاَ فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إلاَّ إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أن الدين النصيحة، رقم(٥٥).

صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوى بِهَا جنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعيدَت لَهُ في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألفَ سنةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ، إمَّا إلى الجَنَّة، وَإمَّا إلى النَّار» قِيلَ: يا رسولُ اللهِ فَالإبِلُ؟ قالَ: «ولا صَاحب إبلٍ لا يُؤدي منها حقَّها، ومِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إلاَّ إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَة بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أوفَرَ ما كَانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً واحدًا، تَطؤُهُ بِأخْفَافِها، وتَعَضُّهُ بِأَفْواهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاها، رُدَّ عليهِ أُخْرَاهَا، في يوم كانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ ألف سنةٍ، حتَّى يُقْضى بَيْنَ العِبَادِ، فَيُرَى سَبيلُه، إمَّا إلى الجَنَّةِ وإمَّا إلى النار».

قيلَ: يَا رسولَ اللهِ فَالْبَقَرُ والغَنَمُ؟ قالَ: «وَلاَ صَاحِبِ بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يُؤدِّي مِنْهَا حَقَّها، إلاَّ إذا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بقاعٍ قرقرٍ، لا يَفْقِد منْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فيها عَقْصَاءُ، ولا جَلْحَاءُ، وَلاَ عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونَها، وتَطؤُهُ بِأظْلافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عليهِ أُولاها، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاها، في يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلفَ سَنَة حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيُرَى سَبِيْلُهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ وَإمَّا إلى النَّارِ».

قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ فالخَيْلُ؟ قَالَ: «الخيلُ ثَلاثَةٌ، هي لِرَجُلٍ وزرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ ستْرٌ، وَهِيَ لِرجُلٍ أجْرٌ، فَأمَّا التي هي لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِواءً على أهْلِ الإسلام، فهي لَهُ وزرٌ، وَأَمَّا التي هي لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبطَهَا في سبيل الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله في ظُهُورِهَا، وَلاَ رِقَابِهَا، فهي لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا التي هي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبطَهَا في سَبِيلِ الله لأهْلِ الإسْلامِ في مَرْجٍ، أَوْ رَوضَةٍ فَمَا أَكلَت مِنْ ذلِكَ المرجِ أو الرَّوضَةِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكلتَ حَسناتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدًا أرواثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلاَ تَقْطَعُ طولَهَا فاسْتَنَّت شَرَفًا أو شَرفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ الله

لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وأرْواثها حَسَناتٍ، ولا مَرَّ بها صَاحِبُها عَلَى نهرٍ، فَشربت منه ولا يُريد أنَّ يسقيها إلا كَتَبَ اللهُ له عَدَدَ ما شَرِبَت حَسَنَاتٍ».

قِيلَ: يا رسولَ الله فالحُمُرُ؟ قالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ في الحُمُرِ شَيْءٌ إلاَّ هذِهِ الآيَةُ الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ **[الزلزلة: ٧، ٨]**(١).

متفقٌ عليه. وهذا لفظُ مُسْلِمٍ. ومعنى القَاعِ: المكان المستوى من الأرض الواسع. والقَرقَر: الأملس.

الشــرح

هذا الحديث الذي أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب الزكاة وبيان فضلها، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم مطولاً، فيه ذكر النبي ﷺ الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والخيل والحمر، وذكر حكم كل منها عليه الصلاة والسلام وهكذا كان ﷺ يبين للناس بيانًا شافيًا كافيًا حتى ترك أمته وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين، فقال ﷺ: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى به جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى**

---

(١) رواه البخاري: كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، رقم(٢١٩٨)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم(١٦٤٧).

الجنة وإما إلى النار» . فالذهب والفضة تجب الزكاة في أعيانهما في كل حال، فالزكاة واجبة في أعيان الذهب والفضة في كل حال سواء أعدها الإنسان للنفقة أو للزواج، أو لشراء بيت يحتاج إلى سكناه، أو لشراء سيارة يحتاج إلى ركوبها، أو ادخرهما ليستكثر بالمال، أو غير ذلك، ففيهما الزكاة على كل حال، حتى ذهب المرأة الذي تلبسه والفضة التي تلبسها تجب عليها الزكاة، تجب عليها الزكاة فيها على كل حال، لكن لابد من بلوغ النصاب وهو في الذهب خمسة وثمانون جرامًا ونصف جرام، والفضة خمسمائة وخمسة وتسعون جرامًا، فإذا كان عند الإنسان من الفضة هذا المقدار، ومن الذهب ذلك المقدار وجب عليه الزكاة على كل حال، فإن لم يفعل فجزاؤه ما ذكره النبي ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار»** لا من ذهب وفضة، بل من نار ـ والعياذ بالله ـ قطع نارية يحمى عليها في نار جهنم، ونار جهنم فُضّلت على نار الدنيا كلها بتسعة وستين جزءًا، نار الدنيا كلها حتى نار الغاز وما هو أشد حرارة، نار جهنم فُضّلت عليه بتسعة وستين جزءًا. نسأل الله أن يجيرنا وإياكم منها ـ يحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه، يعني الجنب الأيمن والأيسر، وجبينه: يعني وجهه، وظهره، كلما بردت أعيدت فلا يبقى حتى تبرد ويسكت عنه، بل كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ليس ساعة ولا ساعتين ولا شهرًا ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين، خمسون ألف سنة وهو يُعذّب هذا العذاب ـ والعياذ بالله ـ، حتى يُقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. نسأل الله العافية والسلامة.

وعلى هذا يكون هذا الحديث كالتفسير لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. ومعنى يكنزونها أي: لا يؤدون زكاتها، كما فسرها بذلك أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لأن ما لا يؤدى زكاته فهو كنز، ولو كان على رؤوس الجبال، وما تُؤدى زكاته فليس بكنز ولو كان في باطن الأرض، فالكنز ما لا تؤدى زكاته.

﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ﴾ [التوبة: ٣٥]. وهذا عذاب وألم جسدي، ويعذبون عذابًا قلبيًا، فيُقال لهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾. فيحصل لهم العذاب الجسدي، والعذاب القلبي بالتوبيخ والتأنيب، فماذا يكون قلبه في تلك الساعة وهو يُقال له: هذا ما كنزت لنفسك؟ سيقطّع قلبه، ألم جسدي، وألم قلبي - والعياذ بالله - هذا جزاء من لا يؤدي الزكاة من الذهب أو الفضة. وما قام مقام الذهب والفضة في النقدية فله حكمه، وعلى هذا فمن عنده أوراق تساوي هذا المبلغ من الذهب والفضة، فعليه أن يزكيها، ومعاملة الناس الآن في جميع الدول أو غالب الدول كلها بالأوراق، ولدينا فئة ريال، فئة خمسة، فئة عشرة، فئة خمسين، فئة مائة، فئة خمسمائة، هذه الأوراق تقوم مقام الذهب والفضة لأنها جُعلت بدلاً عنها في التعامل بين الناس، فإذا ملك الإنسان أوراقًا تساوي هذا القدر من الفضة، فعليه زكاته، يعني تساوي (٥٦) ريالاً عربيًا من الفضة فعليه الزكاة، ومعلوم أن الفضة ترتفع أحيانًا وتنزل أحيانًا، فيقدر قيمتها إذا

وجبت عليه الزكاة، فإذا بلغت النصاب أي (٥٦) ريالاً من الفضة فعليه زكاته، ومقدار الزكاة ربع العشر.

ثم ذكر النبي ﷺ الإبل والبقر والغنم، وجعل من حق الإبل حلبها يوم وردها، إذا وردت على الماء فإنها تُحلب، وجرت العادة أنهم يحلبونها ويتصدّقون بها على الحاضرين، هذا من حقها؛ لأن الإبل روايا كبيرة، فيها ألبان كثيرة، فإذا وردت الماء درّت، وإذا درّت صار فيها فضل كثيرٌ من اللبن، فإذا جاء الفقراء يوزع عليهم، هذا من حقها.

وذكر عليه الصلاة والسلام الخيل، وأنها ثلاثة أنواع: أجر ـ وستر ـ ووزر.

وأما الحمر فإنه قال: لم ينزل عليه فيها شيء. إلا هذه الآية الجامعة الفذة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾. فإن استعملت الحمير في خير فهي خير، وإن استعملها الإنسان في شر فهي شر. والله الموفق.

* * *

٢١٧ـ باب وجوب صوم رمضان
وبيان فضل الصيام وما يتعلق به

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ إلى قولِهِ تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

الشـرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصوم وما يتعلق به.

ذكره ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الكلام على الزكاة لأن هذا هو الترتيب الذي جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في مُساءلة جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها.

صوم رمضان: هو التعبد لله سبحانه وتعالى بترك الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، هذا هو الصيام: أن يتعبّد الإنسان لله بترك هذه الأشياء، لا أن يتركها على العادة أو من أجل الحمية البدنية، ولكنه يتعبّد لله بذلك، يمسك عن الطعام والشراب والنكاح، وكذلك سائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن هلال رمضان إلى هلال شوال.

وصيام رمضان أحد أركان الإسلام، هذه منزلته في دين الإسلام، وهو فرض بإجماع المسلمين، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك.

ثم ذكر المؤلف الآيات التي تدل على هذا فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ فوجه الله الخطاب إلى المؤمنين؛ لأن صيام رمضان من مقتضيات الإيمان؛ ولأن صيام رمضان يكمل به الإيمان؛ ولأن ترك صيام رمضان ينقص به الإيمان.

واختلف العلماء فيما لو تركه تهاونًا وكسلاً، هل يكفر أم لا؟. والصحيح أنه لا يكفر، وأنه لا يكفر الإنسان بترك شيء من أركان الإسلام سوى الشهادتين والصلاة.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، أي فُرض - وقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ أي كما فرض على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. وإنما ذكر الله تعالى أنه فُرض على من قبلنا، ولم يذكر مثل ذلك في الصلاة؛ لأن الصيام فيه مشقة، وتعب، وترك للمألوف، ولا يخفى أنه في أيام الحر وطول النهار يكون شديدًا على النفوس، فذكر الله أنه فرضه على من قبلنا تسلية لنا؛ لأن الإنسان إذا علم أن هذا الشيء له ولغيره هان عليه، وذكره أيضًا من أجل أن يبين أنه جل وعلا أكمل لنا الفضائل، كما أكمل لمن سبقنا ما شاء من الفضائل.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: لأجل أن تتقوا الله؛ لأن الصيام جُنَّة، يقيك من المعاصي، ويقيك من النار؛ لأن من صام رمضان إيمانًا

واحتسابًا غُفرَ له ما تقدم من ذنبه فقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي من أجل التقوى، وهذه هي الحكمة من إيجاب الصوم، ويدل على هذا قوله ﷺ: «من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه[١]»؛ لأن الله لم يرد أن يعذب العباد بترك ما يشتهون ويألفون، ولكنه أراد أن يَدَعُوا قول الزور والعمل به والجهل.

ثم قال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ذكرها على وجه التقليل ليبين أن المسألة ليست شهورًا ولا سنوات ولكنها أيام، وليست طويلة، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وهذا أيضًا تسهيل آخر.

أولاً: الأيام قليلة، أيام معدودة.

ثانيًا: أن من كان يشق عليه الصوم لمرضه، أو سافر فإنه يفطر، وعليه عدة من أيام أخر.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وهم مقيمون ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هذا في أول الأمر، أول ما فرض الله الصوم قال للذين يطيقونه، عليكم فدية طعام مسكين، فإن تصدّقتم فهو خير لكم، وأن تصوموا خيرٌ لكم، فخيّر الله الناس في أول الأمر بين أن يصوم الإنسان، أو يطعم عن كل يوم مسكينًا، ثم تعين الصيام

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم(١٧٧٠).

في الآية التي بعدها.

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي إن كنتم من ذوي العلم، الذين يفهمون، ووجه ذلك أن الصوم أشق على كثير من الناس من إطعام المسكين، فلما كان أشق علم أنه أفضل، لأن الإنسان إذا عمل عبادة شاقة بأمر الله، كان أجرها أعظم، ومن ثمَّ كان الأبعد من المسجد أعظم أجرًا من الأدنى من المسجد؛ لأنه أكثر عملاً، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يطلب المشقة في العبادات التي يسّرها الله، فإن هذا من التنطع في الدين، لكن إذا كلفك الله بعبادة، وشقّت عليك صار هذا أعظم أجرًا، أما أن تطلب المشقة كما يفعل بعض الجهال في أيام الشتاء مثلاً يذهب فيتوضأ بالماء البارد، يقول: لأن إسباغ الوضوء على المكاره مما يرفع الله به الدرجات، ويمحو به الخطايا، نقول: يا أخي ما هذا أراد الرسول ﷺ، إنما أراد الرسول ﷺ أن الإنسان إذا توضأ بماء بارد في أيام الشتاء كان أعظم أجرًا، ولكنه لم يقل: اقصد الماء البارد، فإذا منَّ الله عليك بماء ساخن تستطيع أن تسبغ الوضوء فيه إسباغًا كاملاً فهذا أفضل.

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا ﴾ وقسم العلماء ـ رحمهم الله ـ المرض إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مرض لا يُرجى برؤه، بل هو مستمر، فهذا لا صيام على المريض ولكن عليه أن يُطعم عن كل يوم مسكينًا؛ لأنه من جنس الكبير العاجز عن الصوم الذي لا يرجى زوال عجزه.

القسم الثاني: المريض مرضًا يضره الصوم، ويخشى عليه أن يهلك

به، كمريض لا يستطيع الاستغناء عن الماء، مثل بعض أنواع المرض السكري وما أشبه ذلك فهذا يحرم عليه الصوم، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

والقسم الثالث: مرض يشق معه الصوم، لكن لا ضرر فيه، فهنا الأفضل أن يفطر ولا يصوم، ويقضي بعد ذلك، وأما المرض الذي لا يؤثر فيه الصيام شيئًا كمرض العين اليسير ومرض السن، وما أشبه ذلك، فإنه لا يجوز فيه الفطر؛ لأن الحكمة من الرخصة هي إزالة المشقة، وهذا لا مشقة عليه إطلاقًا، فلا يحل له الصوم، والأصل وجوب الصوم في وقته إلا بدليلٍ بَيِّنٍ واضح يبيح للإنسان أن يفطر ثم يقضي بعد ذلك.

وأما السفر، فإن السفر ينقسم فيه الصوم أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم يضره الصوم ويشق عليه مشقة شديدة بسبب سفره، مثل أن يسافر في أيام الحر، والأيام الطويلة، ويعلم أنه لو صام لتضرر به وشق عليه مشقة غير محتملة، فهذا يكون عاصيًا إذا صام، والدليل لذلك أن النبي ﷺ شُكي إليه أن الناس قد شق عليهم الصيام وهم في سفر، فدعا بماء فشربه، والناس ينظرون إليه حتى لا يكون في صدورهم حرج إذا أفطروا، وكان ذلك بعد العصر، ولكن بعض الصحابة رضي الله عنهم بقوا على صومهم، فجيء إلى النبي ﷺ، وقيل له: إن بعض الناس قد صام، فقال: «**أولئك العُصاة، أولئك العصاة**[١]»، فوصفهم بالعصيان لأنهم لم يقبلوا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، =

رخصة الله مع مشقة ذلك عليهم مشقة شديدة.

والقسم الثاني: من يشق عليه مشقة ولكنها محتملة، فهذا يكره له الصوم، وليس من البر أن يصوم، ودليل ذلك أن النبي ﷺ كان في سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد ظُلّل عليه، قال: «ما هذا؟!» قالوا: صائم، فقال ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر[١]».

والقسم الثالث: من لا يتأثر بالسفر إطلاقًا، يعني: هو صائم ولا يتأثر، لأن النهار قصير والجو بارد، ولا يشق عليه، فهذا اختلف فيه العلماء أيهما أفضل، أن يفطر أو يصوم أو يُخيّر؟ والصحيح أن الأفضل أن يصوم، لأن ذلك أشد اتباعًا لسنة النبي ﷺ، ولأنه أيسرُ على المكلف، فإن الصيام مع الناس أيسر من القضاء ـ كما هو معروف ـ، ولأنه أسرع في المبادرة إلى إبراء الذمة، ولأنه يوافق الزمن الذي يكون الصوم فيه أفضلَ وهو شهر رمضان، فمن أجل هذه الوجوه الأربعة صار الصوم أفضل.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حارٍّ، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وعبد الله بن رواحة»[٢].

= رقم(١٨٧٨).

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لمن ظلل، رقم(١٨١٠)، ومسلم: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في السفر، رقم(٦٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب إذا صام أيامًا من رمضان ثم سافر، رقم(١٩٤٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر،(١١٢٢).

هذا حكم الصوم في السفر، والسفر عام فيمن يسافر للعمرة، أو يسافر لغير ذلك، وفيمن سفره دائم، وسفره عارض، وعلى هذا فإن أهل السفر لسيارات الأجرة للركاب، وأهل سيارات الحمولة يُفطرون ولو كان سفرهم مستمرًا؛ لأن لهم وطنًا، يأوون إليه، فإذا فارقوا هذا الوطن فهم مسافرون، فإن قال قائل: متى يصومون؟! قلنا: يصومون في أيام الشتاء أيسر لهم وأسهل، أو إذا قدموا إلى بلدهم في رمضان يلزمهم الصوم لأنه زال عنهم السفر، والله الموفق.

* * *

١٢١٥ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي به. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطْرِه، وَإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ[١]» متفقٌ عليه.

وهذا لفظ رواية البخاري، وفي رواية له: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ، مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا[٢]».

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلَى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم(١٧٧١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم(١٧٦١).

سَبْعِمَائَةَ ضِعْفٍ. قال الله تعالى: «إلاَّ الصَّومَ فَإنَّهُ لِي وَأنَا أجْزِي بِهِ: يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. ولخُلُوفُ فِيهِ أطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ(١)».

الشرح

هذا الحديث حديث أبي هريرة نقله المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب الصوم بعد أن ذكر الآيات.

وذكر فيه فوائد:

أولاً: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الصوم له، وعمل ابن آدم الآخر ـ أي غير الصوم ـ لابن آدم، يقول الله تعالى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي»**.

والمعنى: أن الصيام يختصه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من بين سائر الأعمال، لأنه ـ أي الصيام ـ أعظم العبادات إخلاصًا؛ فإنه سرٌّ بين الإنسان وبين ربه، لأن الإنسان لا يُعلَم إذا كان صائمًا أو مفطرًا، هو مع الناس يذهب ويأتي، ويخرج ويدخل ولا يُعلم به، نيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصًا، فاختصه الله من بين سائر الأعمال، قال بعض العلماء: ومعناه: إذا كان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وكان على الإنسان مظالم للعباد، فإنه يؤخذ للعباد من حسناته إلا الصيام فإنه لا يؤخذ منه شيء، لأنه لله عزَّ وجلَّ وليس للإنسان، وهذا معنى جيد، أن الصيام يتوفر أجره لصاحبه ولا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٥).

يؤخذ منه لمظالم الخلق شيءٌ.

ثانيًا: ومنها أن عمل ابن آدم يجزى به الحسنة بعشر أمثالها، إلا الصوم، فإنه يُعطى أجره بغير حساب، يعني: أنه يضاعف أضعافًا كثيرة.

قال أهل العلم: وذلك لأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة، ففيه صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله.

أما الصبر على طاعة الله: فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحيانًا، يكرهه لمشقته، لا لأن الله فرضه، لو كره الإنسان الصوم لأن الله فرضه لحبط عمله، لكنه كرهه لمشقته، ومع ذلك يحمل نفسه عليه، فيصبر عن الطعام والشراب والنكاح لله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**».

أما الصبر عن معصية الله، وهذا حاصل للصائم، فإنه يصبر عن نفسه عن معصية الله عزَّ وجلَّ، فيتجنب اللغو والرفث والجهل والزور وغير ذلك من محارم الله.

أما الصبر على أقدار الله: وذلك أن الإنسان يصيبه في حال الصوم ـ ولا سيما في أيام الصيف الطويلة الحارة ـ من الكسل والملل والعطش ما يتألم منه ويتأذى به، ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله.

فلما اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة كان أجره بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ثالثًا: ومن الفوائد التي اشتمل عليها هذا الحديث: أن للصائم فرحتين: الفرحة الأولى عند فطره إذا أفطر، يفرح بفطره من وجهين:

الوجه الأول: أنه أدّى فريضة من فرائض الله، وأنعم الله بها عليه، وكم من إنسان في المقابر يتمنّى أن يصوم يومًا واحدًا فلا يحصل له، وهذا قد منَّ الله عليه بالصوم، فصام، فهذه نعمة، فكم من إنسان شَرع في الصوم ولم يُتِمّه، فإذا أفطر فرح لأنه أدَّى فريضة من فرائض الله.

والوجه الثاني: ويفرح أيضًا فرحًا آخر، وهو أن الله أحل له ما يُوافق طبيعته من المآكل والمشارب والمناكح، بعد أن كان ممنوعًا منها.

فهاتان فرحتان في الفطر:

الأولى: أن الله منَّ عليه بإتمام هذه الفريضة.

الثانية: أن الله منَّ عليه بما أحلّ له من محبوباته من طعام وشراب ونكاح.

رابعًا: ومن فوائد هذا الحديث: الإشارة إلى فوائد الصوم وإلى الحكمة من فرض الصوم، حيث قال ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**» يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقورًا مطمئنًا متأنيًا، فإن سابه أحدٌ أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول: إني صائم، يقول ذلك؛ لئلا يتعالى عليه الذي سابّه، كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عن أن أقابلك بما سببتني به ولكني صائم، يمنعني صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهرًا؟.

كذلك أيضًا إذا قال: «**إني صائم**» يُردع نفسه عن مقابلة هذا الذي سابّه. كأنه يقول لنفسه: «إني صائم، فلا ترُدِّي على هذا الذي سب» وهذا أيضًا معنى جليل عظيم، ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى من الدنيا ما يعجبه

وخاف أن تتعلّق نفسه بذلك، قال: «**لبّيك إن العيش عيش الآخرة**[١]».
فالنفس مجبولة على محبة ما تميل إليه، وشهواتها فإذا رأى ما يعجبه من الدنيا فليقل: «لبيك» يعني إجابة لك يا رب. «**إن العيش عيش الآخرة**» وأما عيش الدنيا فإنه زائل وفان.

فهذه من فوائد الصوم نقلها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفي هذا الحديث نوعان من أنواع الحديث: ألفاظ قدسية من كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ التي رواها النبي ﷺ عن ربه، وألفاظ نبوية من عند النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

١٢١٦ ـ وَعَنْ أَبِيْ هُرَيرَةَ رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيْلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةُ دُعِيَ مَنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الريَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بِأَبِي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأبْوَاب مِنْ ضَرُورة، فهلْ يُدعى أحدٌ من تِلكَ الأبْوَابِ كلِّهَا؟ قال: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنهُمْ[٢]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب دعاء النبي ﷺ، رقم(٣٥١١)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم(٣٣٦٦).
(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم(١٧٦٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم(١٧٠٥).

١٢١٧ ـ وعن سَهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّان، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهم، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُون؟ فَيَقُومُون لا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُم، فَإِذَا دَخلوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢١٨ ـ وَعَنْ أَبِي سَعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَومًا فِي سَبِيلِ اللهِ إلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَومِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِيْنَ خَرِيفًا[(٢)]» متفقٌ عليه.

١٢١٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[(٣)]» متفقٌ عليه.

الشــرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها تدل على فضل الصيام، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم(١٧٦٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٧).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم(٢٦٢٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم(١٩٤٨).
(٣) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، رقم(٣٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٨).

«من أنفق زوجين» زوجين: صنفين، مثل أن ينفق دنانير ودراهم أو دراهم وأمتعة أو خيل وإبل وما أشبه ذلك، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧]. أي أصنافًا ثلاثة، ثم ذكر الرسول ﷺ أبواب الجنة وفي قوله: «**دعي من أبواب الجنة: ياعبد الله هذا خير**» يعني أن الملائكة تدعوه من كل باب فتقول: هذا خيرٌ هذا خيرٌ هذا خيرٌ يعني: فادخل معه، وهذا يدل على فضل الإنفاق في سبيل الله والجهاد في سبيل الله.

وفي هذا الحديث أيضًا أنه من كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان يعني هذا الباب خاص يسمى باب الريان، الريان يعني الذي يروي لأن الصائمين يعطشون ولا سيما في أيام الصيف الطويلة الحارة فيجازون بتسمية هذا الباب يما يختص بهم باب الريان.

وقوله: «**من كان من أهل الصلاة... من أهل الصدقة، من أهل الجهاد... من أهل الصيام**» يعني من كان يكثر من هذا الشيء وهذا لا يعني أن من صام فقط ولم يكن يصلي فإنه لا يدخل الجنة لأنه كافر، لكن المراد بذلك المسلمين الذين يكثرون الصلاة فإنهم يدعون من باب الصلاة، والذين يكثرون من الصيام يدعون من باب الصيام، والذين يكثرون من الصدقة يدعون من باب الصدقة، وعلى كل حال من كان من أهل الجنة دخل الجنة من أي باب كان، وأبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة، أما أبواب النار فقد ذكرها الله في القرآن فقال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. أما أبواب الجنة الثمانية

فصحت بها السنة عن النبي ﷺ.

ولما حدث النبي ﷺ بهذا الحديث، قال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما على من دعي من أحد هذه الأبواب من ضرورة! يعني: الذي يدعى من باب واحد لا يشق عليه، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها! يعني كل باب عليه ملائكة ينادون عليه، يا فلان تعالَ، قال: «نعم»، يعني: يمكن أن يكون الإنسان كثير الصلاة كثير الصدقة، والجهاد، فيدعى من الأبواب كلها قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» فأبو بكر رضي الله عنه يدعى من الأبواب الثمانية كلها؛ لأنه رضي الله عنه سبَّاق إلى الخير، كل خير له فيه نصيب، حتى إنه رضي الله عنه عندما حث النبيُّ ﷺ ذات يوم على الصدقة، ورغَّب فيها، فأتى عمر رضي الله عنه وكان يحب أن يسبق أبا بكر لا حسدًا لأبي بكر، ولكن حبًّا في السبق إلى الخير، فأتى عمر بنصف ماله للصدقة فلما جاء إلى النبي ﷺ إذا أبوبكر قد جاء بجميع ماله، كل ماله، فقال له الرسول: ماذا تركت لأهلك؟ قال: تركت لهم الله ورسوله. قال عمر: والله لا أسابقه بعدها أبدًا؛ لأن أبابكر رضي الله عنه أسبق الصحابة إلى الخير، وأقواهم إيمانًا، وأشدهم تصديقًا بالله ورسوله.

ثم ذكر أحاديث أخرى كلها تدل على الصيام، آخرها قوله في حديث أبي هريرة: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» إذا صام إيمانًا بالله، واحتسابًا بثواب الله فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه.

١٢٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحتْ أبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٢١ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإِنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ[(٢)]» متفقٌ عليه وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا[(٣)]».

الشـرح

نقل الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب وجوب صوم رمضان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النيران، وصفدت الشياطين» هذه ثلاثة أشياء تكون في رمضان:

الأول: تفتح أبواب الجنة، ترغيبًا للعاملين لها بكثرة الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة القرآن وغير ذلك.

والثاني: وتغلق أبواب النيران؛ وذلك لقلة المعاصي فيه من

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم(١٧٩٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم، رقم(١٧٧٦)، ومسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم(١٧٩٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم(١٨٠٨).

المؤمنين.

والثالث: وصفدت الشياطين يعني: المردة منهم، كما جاء ذلك في رواية أخرى.

والمردة: يعني: الذين هم أشد الشياطين عداوة وعدوانًا على بني آدم. والتصفيد معناه: الغَلُّ، يعني: تغل أيديهم حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، وكل هذا الذي أخبر به النبي ﷺ حق، أخبر به نصحًا للأمة، وتحفيزًا لها على الخير، وتحذيرًا لها من الشر.

وأما حديث أبي هريرة الثاني، فقال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»، يعني أنه يجب على المسلمين أن يصوموا إذا رأوا الهلال ـ هلال رمضان ـ فإن لم يروه فلا صيام عليهم، ولهذا قال: «**فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» يعني: لو تغبى الهلال في غيم أو قطر أو ما أشبه ذلك فإنه يجب أن يكمل شعبان ثلاثين يومًا ثم يُصام، هذا لفظ البخاري.

ولفظ رواية مسلم: «**فصوموا ثلاثين يومًا**» وهذا فيما إذا غبي هلال شوال فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أنه متى خفي الهلال ليلة الثلاثين من شعبان، فإنه يجب أن يكمل شعبان ثلاثين يومًا. وإذا خفي ليلة الثلاثين من رمضان فإنه يكمل ثلاثين يومًا. والله الموفق.

* * *

٢١٨- باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

١٢٢٢ - عَنِ ابْنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيلَة مِنْ رَمَضَانَ فَيَدَارِسُهُ القرآنَ، فلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيْحِ المُرْسَلَةِ[١]» متفقٌ عليه.

١٢٢٣ - وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَرَ[٢]» متفقٌ عليه.

الشـرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب الجود في شهر رمضان.

الجود: هو بذل المحبوب من مال أو عمل، والإنسان يجود بماله فيعطي الفقير ويهدي إلى الغني، ويواسي المحتاج. ويجود كذلك بعمله فيعين الإنسان في أموره: في سيارته، في دكانه، في بيته، فالجود هو بذل المال، أو العمل، وربما يدخل في ذلك أيضًا بذل الجاه، بأن يشفع لأحد

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم(٥)، ومسلم: كتاب الفضائل: باب كان النبي ﷺ أجود الناس، رقم(٤٢٦٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، رقم(١٨٨٤)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، رقم(٢٠٠٨).

أو يتوسط له في جلب منفعة أو دفع مضرة، أو ما أشبه ذلك.

وكان النبي ﷺ كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أجود الناس» بماله وبدنه وعلمه ودعوته ونصيحته، وكل ما ينفع الخلق، وكان أجود ما يكون في رمضان لأن رمضان شهر الجود، يجود الله فيه على العباد، والعباد الموفقون يجودون على إخوانهم، والله تعالى جواد يحب الجود، وكان النبي ﷺ ينزل عليه جبريل في رمضان كل ليلة يدارسه القرآن من أجل أن يثبته في قلبه، وأن يحصل الثواب بالمدارسة بينه وبين جبريل، وجبريل عليه الصلاة والسلام ينزل لكن على كيفية لا نعلمها، لأنه مَلَكٌ من الملائكة، والملائكة لا يُرَون إلا إذا شاء الله عزَّ وجلَّ.

كان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، أجود بالخير من الريح المرسلة أي: أنه يسارع إلى الخير عليه الصلاة والسلام، ويجود به، حتى إنه أسرع من الريح المرسلة، يعني: التي أرسلها الله عزَّ وجلَّ فهي سريعة عاصفة، ومع ذلك فالرسول ﷺ أجود بالخير من هذه الريح في رمضان.

ثم ذكر المؤلف حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل أي أحياه بالذكر، والقراءة والصلاة، والعبادة، وأيقظ أهله، وشد مئزره، أيقظهم ليصلوا، وشد المئزر أي: تأهب تأهبًا كاملاً للعمل؛ لأن شد المئزر معناه أن الإنسان يتأهب للعمل، ويتقوى عليه، وقيل: معنى شد المئزر، أنه يتجنب النساء، عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يتفرغ للعبادة، وكلاهما صحيح.

النبي ﷺ يتفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان، ويحيي الليل كله بطاعة الله، فهذا من الجود بالنفس، لكنه جود في حق الله عزَّ وجلَّ، والله هو الذي يمنُّ على من يشاء من عباده، إذا منّ عليك بالعمل فله المنة، يمنُّ عليك بالعمل أولاً، ثم يمنُّ عليك بقبوله ثانيًا، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

* * *

٢١٩ـ باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلا من وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه

١٢٢٤ ـ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَومِ يَومٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٢٥ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وأفْطِرُوا لِرؤْيَتِهِ، فَإِنَّ حَالَتْ دُونَهَ غَيَابَةٌ فَأكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَومًا[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

«الغيابة» بالغين المعجمة وبالياء المثناة من تحت المكررةِ، وهي: السَّحَابَةُ.

١٢٢٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِن شَعْبَانَ فَلا تَصُومُوا[(٣)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٢٧ ـ وَعَنْ أَبِي اليَقْظَانِ عمَّارِ بنِ يَاسرٍ رضي الله عنهما قال: «مَنْ صَامَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب لا يتقدمن رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم(١٧٨١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم(١٨١٢).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء أن الصوم لرؤية الهلال، رقم(٢٦٢٤)، والنسائي: كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على منصور، رقم(٢١٠١).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك، رقم(١٩٩٠)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان، رقم(٦٦٩).

اليومَ الذي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ[١]» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب النهي عن تقدم رمضان بصومٍ بعد منتصف شعبان، ثم ذكر أحاديث ـ رحمه الله تعالى ـ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن يتقدم الرجل رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا من له عادة، مثل أن يكون من عادته أن يصوم يوم الإثنين، فصادف يوم الإثنين قبل رمضان بيوم أو يومين، فلا بأس، أو يكون من عادته أن يصوم أيام البيض، ولم يتمكن أن يصوم اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ولم يتيسر إلا أن يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين، فلا بأس، وهذا يدل على أن المقصود بالنهي خوفًا من أن يحتاط الإنسان لدخول رمضان، فيقول: أصوم قبله بيوم أو يومين احتياطًا، فإن هذا الاحتياط لا وجه له، ولهذا قال ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** ـ أي لرؤية الهلال ـ **فإن حال بينكم وبينه غيابة** ـ يعني غيم أو قطر أو ما أشبه ذلك ـ **فأكملوا العدة ثلاثين يومًا**» يعني عدة شعبان.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب كراهية صوم يوم الشك، رقم(١٩٨٧)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك، رقم(٦٢٢)، والنسائي: كتاب الصوم، باب صيام يوم الشك، رقم(٢١٥٩)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام يوم الشك، رقم(١٦٣٥).

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في هذا النهي، هل هو نهي تحريم أو نهي كراهة؟! والصحيح أنه نهي تحريم، لا سيما اليوم الذي يشك فيه فإن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: «من صام اليوم الذي يُشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ».

وعلى هذا نقول: لا يجوز للإنسان أن يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين إلا من له عادة، ولا يجوز أن يصوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا كان في الليلة غيم أو قطر يمنع من رؤية الهلال مطلقًا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته».

وأما النهي عن الصوم بعد منتصف شعبان فإنه وإن قال الترمذي: حسن صحيح. فإنه ضعيف، قال الإمام أحمد: إنه شاذ، إنه يخالف حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصوموا قبل رمضان بيوم أو يومين». فإن مفهومه أنه يجوز أن يصوم قبل رمضان بثلاثة أيام، وأربعة أيام، وعشرة أيام.

وحتى لو صح الحديث فالنهي فيه ليس للتحريم وإنما هو للكراهة، كما أخذ بذلك بعض أهل العلم ـ رحمهم الله ـ إلا من له عادة بصوم، فإنه يصوم ولو بعد نصف شعبان، وعلى هذا فيكون الصيام ثلاثة أقسام:

الأول: بعد النصف إلى الثامن والعشرين، هذا مكروه إلا من اعتاد الصوم، لكن هذا القول مبني على صحة الحديث، والإمام أحمد لم يصححه، وعلى هذا فلا كراهة.

والثاني: قبل رمضان بيوم أو يومين، فهذا محرم إلا من له عادة.

والثالث: يوم الشك: فهذا محرم مطلقًا، لا تصم يوم الشك، لأن النبي ﷺ نهى عنه.

ولكن كما قلت يظهر أن النهي لمن أراد أن يجعله من رمضان، وأما من أراد التطوع به فإنه يحرم تحريم الذرائع، يعني: بمعنى أنه يخشى أن الناس إذا رأوا هذا الرجل قد صام ظنوا أنه صام احتياطًا، وهذا لا يجوز أن يحتاط «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته» والله الموفق.

* * *

٢٢٠- باب ما يُقال عند رؤية الهلال

١٢٢٨ - عَنْ طَلحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الهِلالَ قالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ والإيمانِ، والسَّلامَةِ والإسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ[1]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، رقم(٣٣٧٣).

٢٢١ ـ باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر

١٢٢٩ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٣٠ ـ وعَنْ زَيد بن ثابِت رضي الله عنه قالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاةِ. قِيلَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قال: قَدْرُ خَمْسِيْنَ آيَةً[(٢)]. متفقٌ عليه.

١٢٣١ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: كانَ لِرسُولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلالٌ، وابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ بِلالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ» قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلاَّ أَنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرَقَى هَذَا[(٣)]. متفقٌ عليه.

١٢٣٢ ـ وَعَنْ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحْرِ[(٤)]» رواه مسلم.

الشـرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل السحور يُقال: السَّحور والسُّحور، فالسَّحور: الأكل الذي يتسحر به الإنسان، والسُّحور (بالضم): الفعل يعني: تسحُّر الإنسان.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب، رقم(١٧٨٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم(١٨٣٥).
(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت الفجر، رقم(٥٤٢)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم(١٨٣٧).
(٣) رواه البخاري: كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، رقم(١٨٣٦).
(٤) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم(١٨٣٦).

والسحور حث عليه النبي ﷺ بقوله وأيده بفعله، فقال النبي ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» فأمر، وبيَّن. أمر بأن نتسحر، وبيَّن أنَّ في السحور بركة، فمن بركة السحور امتثال أمر النبي ﷺ وامتثال أمر النبي ﷺ كله خير، كله أجر وثواب، ومن بركته أنه معونة على العبادة، فإنه يعين الإنسان على الصيام، فإذا تسحر كفاه هذا السحور إلى غروب الشمس، مع أنه في أيام الإفطار يأكل في أول النهار، وفي وسط النهار، وفي آخر النهار، ويشرب كثيرًا، فينزل الله البركة في السحور، يكفيه من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن بركته، أنه يحصل به التفريق بين صيام المسلمين وصيام غير المسلمين، ولهذا بيَّن النبي ﷺ أن فصل ما بيننا وبين صيام أهل الكتاب أكلة السحر، يعني السحور؛ لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر. أما المسلمون ولله الحمد فيأكلون في السحر، في آخر الليل.

والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع، ولهذا نهى النبي ﷺ عن التشبه بهم، قال: «**خالفوا المجوس، وفروا اللحى، وحفوا الشوارب**[١]» يعني: أرخوا اللحى، لا تَقصُّوها ولا تحلقوها، وقال ﷺ: «**من تشبه بقومٍ فهو منهم**[٢]». وينبغي أن يؤخر السحور إلى قبيل طلوع الفجر، ولا يتقدم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا**

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠)، وأبوداود: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم(٣٥١٢).

الإفطار وأخروا السحور[١]»، وقال ﷺ: «**إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**[٢]».

وأما قوله في الرواية التي ساقها المؤلف: «ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويصعد هذا» فهذه مدرجة في الحديث، شاذة، ليست صحيحة؛ لأن أمر النبي ﷺ بالأكل والشرب حتى يؤذن ابن أم مكتوم دليلٌ على أن بينهما فرقًا كبيرًا يتسع للأكل والشرب والسحور، فهي جملة ضعيفة شاذة، لا عمدة عليها. وقد بيَّن زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة، ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية، خمسون آية: من عشر دقائق إلى ربع الساعة، إذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة أو دون ذلك. وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر، ثم إنه ينبغي للإنسان عند تسحره أن يستحضر أنه يتسحر امتثالاً لأمر الله ورسوله، ويتسحر مخالفة لأهل الكتاب، وكرهًا لما كانوا عليه، ويتسحر رجاء البركة في هذا السحور، ويتسحر استعانة به على طاعة الله، حتى يكون هذا السحور الذي يأكله خيرًا وبركة وطاعة. والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٤٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لا يمنعنكم، رقم(١٧٨٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم(١٨٢٩).

٢٢٢ـ باب فضل تعجيل الفطر
وما يفطر عليه وما يقوله بعد الإفطار

١٢٣٣ ـ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَال: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٣٤ ـ وَعَنْ أَبِي عَطِيَّةَ قَالَ: دَخَلتُ أَنَا ومسْرُوقٌ عَلَى عائشَةَ رضي الله عنها فقالَ لهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كِلاهُمَا لا يَألُو عنِ الخَيْرِ: أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ، والآخَرُ يُؤَخِّرُ المغْربَ والإِفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ والإِفْطَارَ؟ قالَ عَبْد اللهِ ـ يعني ابن مسعودٍ ـ فَقَالَتْ: هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ[(٢)]» رواه مسلم.

قوله: «لا يَألُو» أَيْ لا يُقَصِّرُ في الخير.

١٢٣٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرِيرَةَ رضي الله عنه قَال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: أَحَبُّ عِبَادِي إِليَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا[(٣)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٢٣٦ ـ وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَقبَلَ اللَّيلُ مِنْ هاهُنا وأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هاهُنَا، وغَرَبَتِ الشَّمسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ[(٤)]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه٨٢٩)البخاري: كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطارو رقم(١٨٢١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، رقم(١٨٣٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، وتأكيد استحبابه، رقم(١٨٤٠).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٣٧)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في تعجيل الإفطار، رقم(٦٣٦).

(٤) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم، رقم(١٨١٨)، ومسلم: =

١٢٣٧ ـ وَعَنْ أَبِي إبراهيم عبدِ الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ صائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: «يَا فُلانُ انْزِلْ فاجْدَحْ لَنَا» فقَال: يَا رسُولَ الله لَوْ أَمْسَيْت؟ قالَ: «انزِلْ فَاجدَح لَنَا» قالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قال: «انزِل فَاجْدحْ لَنَا» قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ فَشَرِبَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَد أَفْطَرَ الصَّائِمُ» وأَشَارَ بِيدِهِ قِبَلَ المشرقِ[1]. متفقٌ عليه.

قوله: «اجْدَحْ» بجيم ثُمَّ دالٍ ثُمَّ حاءٍ مهملتين، أي: اخْلِطِ السويقَ بالمَاءِ.

١٢٣٨ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِيِّ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا أَفْطَرَ أَحدُكُمْ، فَلْيُفْطِر عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ فإنَّهُ طَهُورٌ[2]».

رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٣٩ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قبلَ أنْ يُصَلِّي عَلى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فتُمَيْراتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَواتٍ مِنْ مَاءٍ[3]. رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

= كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، رقم(١٨٤١).

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم، رقم(١٨١٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، رقم(١٨٤٢).

(٢) رواه أحمد (١٧/٤)، وأبوداود: كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، رقم(٢٠٠٨)، والترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة، رقم(٥٩٤)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء على ما يستحب الفطر، رقم(١٦٨٩).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، رقم(٢٠٠٩)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار، رقم(٦٣٢).

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر به وما يُقال عند الفطور.

هذه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعجيل الفطر، لكن بشرط أن يتحقق غروب الشمس، لقول النبي ﷺ في حديث عمر بن الخطاب الذي ساقه المؤلف: «**إذا أقبل الليل من هاهنا ـ يعني من المشرق ـ وأدبر النهار من هاهنا ـ يعني من المغرب ـ وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**». فإذا بادر الإنسان بالفطر من حين أن يغرب قرص الشمس، ولو كان البياض ظاهرًا، والشعاع في الأفق، ما دام قرص الشمس قد غاب، فأفطر، وبادر، وهذه هي السنة القولية والفعلية من الرسول ﷺ.

أما الفعلية: فدليلها حديث عائشة رضي الله عنها حين سألها عطية ومسروق عن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ أحدهما يؤخر الفطر، ويؤخر صلاة المغرب، والثاني يعجل الفطر ويعجل صلاة المغرب، أيهما أصوب؟ فقالت عائشة: «من هذا؟!» أي الذي يعجل، قالوا: ابن مسعود رضي الله عنه، فقالت: «**هكذا كان النبي ﷺ يفعل**». يعني: يعجل الفطر، ويعجل صلاة المغرب، هذه سنة فعلية، تدل على أن الأفضل تقديم الإفطار.

أما القولية: فحديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس**

بخير ما عجلوا الفطر» فما دام الناس يبادرون إلى السنة ويتسابقون إلى الخير، فهم بخير، لا يزالون بخير، أما إذا تباطأوا ولم يفطروا مبادرين فإن ذلك هو الشر، ولهذا كان الرافضة المخالفون لسنة الرسول ﷺ يؤخرون الفطور، لا يفطرون إلا إذا اشتبكت النجوم، فيحرمون من الأجر والثواب، ويحرمون من تعجيل إعطاء النفوس حظوظها من الأكل والشرب، يعذبون في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الإنسان إذا تأخر وهو مثلاً عطشان أو جائع يتألم أكثر، فهم يؤلمون أنفسهم بتأخير الفطور، ويخالفون السنة، ويفوتهم الأجر.

ثم إن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر أن الأفضل أن يفطر على رطب، فإن لم يجد فتمر، فإن لم يجد فماء، لأن النبي ﷺ كان يفطر على رطيبات قليلة، لا يكثر؛ لأنه لا ينبغي الإكثار عند الفطور، فإن المعدة خالية، فإذا أكثرت فهذا يضرك، أعطها شيئًا فشيئًا، قلل عند الفطور، ولهذا ليس من الطب أن الإنسان إذا أفطر، يتعشى مباشرة كما يفعل بعض الناس، بل الطب يقتضي أن تعطي المعدة الشيء القليل، لأنها خالية، فكان عليه الصلاة والسلام يفطر على رطيبات، فإن لم تكن فعلى تميرات، فإن لم تكن حسا حسوات أو حسيات من ماء، هكذا ينبغي أن تفطر على الرطب، ثم التمر، ثم الماء.

والرطب الآن ـ والحمد لله ـ موجود حتى في غير أيام الصيف، فالناس يدخرون الرطب الآن في الثلاجات، ويبقى مدة، فإذا وجدت رطبًا أو تمرًا فالأفضل أن تفطر على الرطب، فإن لم يكن عندك شيء، فالتمر،

فإن لم يكن عندك تمر فالماء.

فإن قال قائل: ليس عندي رطب ولا تمر، ولكن عندي خبز وماء، أيهما أفطر عليه؟ نقول أفطر على الماء، لأن النبي ﷺ أرشد إلى ذلك، وقال: «**إنه طهور**» يطهر المعدة والكبد، فلذلك أمرنا عليه الصلاة والسلام أن نفطر على الماء، وإنما قدم الرطب والتمر؛ لأنه أنفع للبدن من الماء، لأنه حلوى وغذاء، وقوت، وقد قال أهل الطب: «إن الحلاوة التي في التمر هي أسرع شيء يتقبله الجسم من أنواع الحلوى، وإنها تسري إلى العروق فورًا». وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ، فهذا الذي ينبغي أن تفطر عليه؛ رطب، فإن لم تجد فتمر، فإن لم تجد فماء، فإن لم تجد ماء، فما تيسر من مأكول أو مشروب، فإن لم تجد كما لو كنت في البر وليس عندك شيء، فتكفي النية في القلب يعني نية الفطر وإنهاء الصوم، وإذا عثرت على مطعوم أو مشروب بعد ذلك، فافعل وهذا هو المطلوب.

وفي قول الرسول ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم**».

قال بعض أهل العلم: «فقد أفطر» يعني: وإن لم ينو الفطر، يعني فقد انتهى صيامه، وأفطر حكمًا، وقال بعضهم: «فقد أفطر» أي: فقد حل له الفطر.

ولكن لا شك أنك إذا نويت الفطر ـ إذا لم يكن عندك ما تأكله وتشربه ـ فهو أحسن وأفضل، حتى تكون مبادرًا إلى الإفطار بالنية، لعدم القدرة

على الأكل والشرب. أما تعجيل صلاة المغرب هنا، فليس معناه تعجيل الأفعال يعني في نفس الصلاة، إنما تعجيلها هنا يعني بتقديمها فلا يتأخر في الإقامة، والله الموفق.



٢٢٣ـ باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

١٢٤٠ ـ عَنْ أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه قَال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوم أحدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُل: إِنِّي صائمٌ[١]» متفقٌ عليه.

١٢٤١ ـ وعنهُ رضي الله عنه قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَولَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ[٢]» رواه البخاري.

الشـرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه.

والمراد بذلك: أنه يجب على الصائم أن يتجنب كل قول محرم، وكل فعل محرم؛ لأن الله تعالى إنما فرض الصيام من أجل التقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. أي: من أجل أن تتقوا الله عزَّ وجلَّ وتجتنبوا محارمه، ولا يريد الله من عباده أن يضيق عليهم بترك الأكل والشرب والجماع، ولكن يريد أن يمتثلوا أمره، ويجتنبوا نواهيه، حتى

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم(١٧٦١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم(١٧٧٠).

يكون الصيام مدرسة يتعودون فيها على ترك المحرمات وعلى القيام بالواجبات، وإذا كان شهر كامل يمر بالإنسان وهو محافظ على دينه، تارك للمحرم، قائم بالواجب، فإن ذلك سوف يغير من مجرى حياته.

ولهذا بيَّن الله الحكمة من ذلك بأنها التقوى، وقال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق**» يعني: لا يفعل فعلاً محرمًا، ولا يقول قولاً محرمًا، «**فإن سابه أحد**» يعني: صار يعيبه ويشتمه «**أو قاتله، فليقل إني صائم**» حتى يدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبين لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزًا لا ذليلاً، لكنه ذل لعبودية الله تعالى، وطاعة لله، وكذلك قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور**» يعني: القول المحرم «**والعمل به**» أي بالمحرم، و «**الجهل**» كما في لفظ آخر، يعني: العدوان على الناس «**فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» فليس لله حاجة في أن يدع الإنسان طعامه وشرابه؛ لأن الله تعالى إنما أوجب الصيام لأهم شيء وهو ترك المحرمات والقيام بالواجبات والله الموفق.

* * *

٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

١٢٤٢ - عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَأَكَلَ، أَو شَرِبَ، فَلْيُتمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ الله وسَقَاهُ(١)». متفقٌ عليه.

١٢٤٣ - وعن لَقيطِ بن صَبِرَةَ رضي الله عنه قالَ: قلتُ: يَا رسولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الوُضوءِ؟ قالَ: «أَسْبِغِ الوضُوءَ، وخلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ، وَبَالِغْ في الاستنْشَاقِ، إلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائمًا(٢)» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٤٤ - وعنْ عَائشَةَ رضي الله عنها، قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِن أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ(٣). متفقٌ عليه.

١٢٤٥ - وَعَنْ عائشَةَ وأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما قالتَا: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصْبِحِ جُنبًا مِنْ غيرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ(٤). متفقٌ عليه.

الشـــرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب في مسائل من الصوم يعني: مسائل متنوعة متفرقة، فمنها: إذا أكل الإنسان أو شرب وهو صائم ناسيًا،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا، رقم(١٧٩٧)، ومسلم: كتاب الصيام، باب أكل الناسي وشربه، رقم(١٩٥٢).

(٢) رواه أحمد (٤/٣٣)، وأبوداود: كتاب الطهارة، باب في الاستنثار، رقم(١٢٣)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم، رقم(٧١٨)، والنسائي: كتاب الطهارة، باب المبالغة في الاستنشاق، رقم(٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب المبالغة في الاستنشاق والاستنثار، رقم(٤٠١).

(٣) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب اغتسال الصائم، رقم(١٧٩٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم(١٨٦٥).

(٤) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنبًا، رقم(١٧٩١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم(١٨٦٤).

فهل يفسد صومه؟! والجواب هو في قول النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**» فإذا أكلت أو شربت ولو شبعت ورويت، وأنت ناسٍ في الصيام، فإن صومك كامل، ليس فيه نقص، ولهذا قال: «**فليتم صومه**» وفي قوله: «**فإنما أطعمه الله وسقاه**» دليلٌ على أن فعل الناسي لا ينسب إليه، وإنما ينسب إلى الله، وكذلك النائم لا ينسب فعله إلى نفسه، وإنما ينسب إلى الله، كما قال الله تعالى: في أصحاب الكهف ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]. والذي يتقلب هو النائم، ولكن لما لم يكن له قصد نسب الله الفعل إليه، كذلك الناسي لم يتعمد فساد الصوم، نسي وأكل وشرب على العادة، نقول: صومك صحيح، وكذلك لو كان جاهلاً، مثل أن يحتجم وهو لا يدري أن الحجامة تفطر فصومه صحيح، ومثل أن يأكل يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين أنه طالع، فصومه صحيح، ومثل أن يأكل يظن أن الشمس قد غربت لأنها غيم مثلاً فظن أن الشمس غابت، فأكل ثم تبين أن الشمس لم تغرب، فصيامه صحيح.

وقد وقعت هذه المسألة في عهد النبي ﷺ حينما كان الناس صائمين في يوم غيم، فأفطروا ظنًّا منهم أن الشمس قد غابت، ثم طلعت الشمس، ولم يأمرهم النبي ﷺ بقضاء الصوم؛ لأنهم لا يدرون، ولم يتعمدوا، ولكن متى ذكر الإنسان وجب عليه الترك والإمساك، حتى لو كانت اللقمة في فمه وجب عليه لفظها، وكذلك لو كان الماء في فمه، وجب عليه أن يريقه، وكذلك لو كان جاهلاً ثم أخبر بأنه يجب عليه أن يمسك، مثلاً لو رأى

إنسانًا يأكل ويشرب، يقول ما هذا وأنت صائم؟ قال: الشمس غربت. قال: الشمس لم تغرب. فيجب عليه أن يتوقف لأنه زال عنه العذر.

فإذا قال قائل: لو رأيت صائمًا يأكل، وأعرف أنه ناسٍ، فهل علي أن أذكره؟! قلنا: نعم يجب أن تذكره؛ لأن أخاك إذا عذر بالنسيان وأنت علمت به، وجب عليك أن تذكره، ولهذا قال النبي ﷺ في الصلاة: «إذا نسيت فذكروني[1]» فأمر أن يذكر إذا نسي، كذلك أيضًا إذا رأيت صائمًا يأكل ويشرب ناسيًا فذكره، كما لو رأيت إنسانًا يصلي منحرفًا عن القبلة، وجب عليك أن تخبره.

فالمهم أنه إذا وقع أخوك في شيء لا يحل له، فعليك أن تذكره، لأن النسيان كثير والخطأ كثير.

ثم ذكر المؤلف حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه، حيث قال له النبي ﷺ: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائمًا».

«أسبغ الوضوء» يعني: توضأ وضوءًا سابغًا كاملاً، والإسباغ: بمعنى الإكمال قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]. أي أكملها، والثاني «وخلل بين الأصابع» ولا سيما أصابع الرجلين، خلل بينهما بالماء؛ لأن أصابع الرجلين متلاصقة، وربما لا يدخل الماء من بينها، «وبالغ في

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم(٣٨٦)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم(٨٨٩).

الاستنشاق» يعني: استنشاق الماء عند الوضوء، «إلا أن تكون صائمًا» فلا تبالغ في الاستنشاق لأنك إذا بالغت في الاستنشاق دخل الماء إلى جوفك من طريق الأنف، فدل ذلك على أن وصول الأكل أو الشرب عن طريق الأنف كوصوله عن طريق الفم، يعني أنه يفطِّر الصائم، وأما الإبر فإنها لا تفطر الصائم، الإبر التي تكون في الوريد أو تكون في اليد، أو تكون في الظهر، أو في أي مكان لا تفطر الصائم، إلا الإبر المغذية التي يستغني بها عن الأكل والشرب، فهذه تفطر الصائم، ولا يحل له إذا كان صومه فرضًا أن يستعملها إلا عند الضرورة فإذا اضطر إلى ذلك أفطر، واستعمل الإبر، وقضى يومًا مكانه.

ثم ذكر المؤلف حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصبح جنبًا فيصوم ثم يغتسل. وهذا أيضًا جائز. يعني: يجوز للجنب أن ينوي الصوم، وإن لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك، وفي حديث عائشة وأم سلمة دليلٌ على أن أفعال النبي ﷺ حجة يحتج بها، ولا يُقال هذا من خصائصه، لأن الأصل عدم الخصوصية، فإذا فعل النبي ﷺ فعلاً، فهو حق، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان عادة فهو عادة، وليس بمحرم، والله الموفق.

* * *

٢٢٥- باب بيان فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

١٢٤٦ - عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاةُ اللَّيْلِ[١]» رواه مسلم.

١٢٤٧ - وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالتْ: لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ يَصُوم مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فإنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كَلَّه، وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعبَانَ إلا قَلِيلاً[٢]. متفقٌ عليه.

١٢٤٨ - وَعَنْ مجيبَةَ البَاهِلِيَّةِ عَنْ أَبِيهَا أَوْ عَمِّهَا، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ ثمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بعدَ سَنَةٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُه وَهَيئَتُهُ، فَقَالَ: يَا رسُولَ اللهِ أَمَا تَعْرِفُني؟ قَالَ: «وَمَنْ أَنتَ؟» قالَ: أَنَا البَاهليُّ الذي جِئتُكَ عامَ الأَوَّل. قَال: «فَمَا غَيَّرَك، وَقَد كُنتَ حَسَنَ الهَيئَةِ؟» قالَ: مَا أكلتُ طَعَامًا منذُ فَارَقْتكَ إلاَّ بِلَيْلٍ. فقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «عَذَّبتَ نَفسَك!» ثُمَّ قَالَ: «صُمْ شَهرَ الصَّبرِ، وَيَومًا مِنْ كُلِّ شَهرٍ» قالَ: زِدني فَإِنَّ بِي قوةً، قَال: «صُمْ يَومَينِ» قَال: زِدْنِي، قَال: «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» قَالَ: زِدنِي، قالَ: «صُمْ مِنْ الحُرُمِ واترُكْ، صُمْ مِنْ الحُرمِ واتْرُكْ، صُمْ مِنَ الحَرُمِ واتْرُكْ» وقالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلاثِ فَضَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا[٣]. رواه أبو داود.

و«شهر الصَّبْر»: رَمَضَانُ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، رقم(١٩٨٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم شعبان، رقم(١٨٣٤)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير، رقم(١٩٥٧).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم، رقم(٢٠٧٣).

الشـــرح

في هذا الباب ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بيان ما يسن صومه من الأيام والشهور، فمن ذلك: صوم شعبان، فقد كان النبي ﷺ يصومه كله أو كله إلا قليلاً كما روت عنه ذلك عائشة رضي الله عنها، ولهذا ينبغي للإنسان أن يكثر من الصيام في شهر شعبان أكثر من غيره لأن النبي ﷺ كان يصومه.

قال أهل العلم: والحكمة من ذلك أنه يكون بين يدي رمضان كالرواتب بين يدي الفريضة.

ومن ذلك أيضًا شهر الله المحرم، وشهر الله المحرم هو ما بين ذي الحجة وصفر، قال فيه النبي ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**» ويتأكد أن يصوم منه العاشر، أو العاشر والتاسع، أو التاسع والعاشر والحادي عشر.

ومن ذلك أيضًا أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، كما في حديث الباهلي «وقد كان النبي ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، لا يبالي أصامها من أول الشهر أو وسطه أو آخره» لكن أيام البيض أفضل، وهي يوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

ومن ذلك أيضًا أن يصوم يوم عرفة؛ لأن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: «**إنه يكفر السنة الماضية والباقية**[1]» يعني يكفر سنتين.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

وفي حديث الباهلي الذي صام سنة كاملة حتى تغيرت هيئته، وضعفت حاله، وجاء إلى النبي ﷺ فقال له: هل تعرفني؟ قال: «من أنت؟» قال: أنا الباهلي الذي أتيتك عام أول، فأخبره بما كان يصنع، وأنه لم يترك الصوم منذ فارقه، فقال له النبي ﷺ: «**عذبت نفسك**». وفي هذا دليلٌ على أنه ليس من الشرع أن يكلف الإنسان نفسه ما لا يطيق، وأن يعذب نفسه، لأن الله يقول: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٢٢٦ـ باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

١٢٤٩ ـ عَنِ ابْنِ عَباسٍ رضي الله عنهما قَال: قَال رسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ أيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أحبُّ إلى الله مِنْ هَذِهِ الأيَّامِ» يعني: أيام العشر، قَالوا: يَا رسُولَ اللهِ ولا الجِهَادُ في سبيلِ اللهِ؟ قَال: «وَلاَ الجِهَادُ فِي سبيلِ الله، إلاَّ رَجلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ[1]» رواه البخاري.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم(٩١٦).

٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعا

١٢٥٠ - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله تعالى عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ قَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ والبَاقِيَةَ[(١)]» رواه مسلِمٌ.

١٢٥١ - وَعَنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رسُولَ الله ﷺ، صَامَ يَومَ عاشُورَاءَ، وأَمَرَ بِصِيَامِهِ[(٢)]. متفقٌ عليه.

١٢٥٢ - وَعَن أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فقَال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيةَ[(٣)]» رواهُ مسلمٌ.

١٢٥٣ - وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابلٍ لأصُومَنَّ التَّاسِعَ[(٤)]» رواه مسلمٌ.

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم(١٨٦٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، رقم(١٩١١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

(٤) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، رقم(١٩١٧).

٢٢٩ـ باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

١٢٥٤ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهرِ[1]» رواه مسلمٌ.

الشرح

هذه الأبواب الثلاثة التي عقدها الحافظ النووي - رحمه الله - في بيان أيامٍ يسن صيامها، فمنها: ـ أي: مما يسن صيامه ـ أيام العشر، عشر ذي الحجة الأُوَّل؛ فإن النبي ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» يعني أيام العشر، وقوله: «**العمل الصالح**» يشمل الصلاة، والصدقة، والصيام، والذكر، والتكبير، وقراءة القرآن، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الخلق، وحسن الجوار، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

ما من أيام في السنة يكون العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**».

ففي هذا دليلٌ على فضيلة العمل الصالح في أيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة، من صيام وغيره، وفيه دليلٌ أيضًا على أن الجهاد من أفضل الأعمال، ولهذا قال الصحابة: ولا الجهاد في سبيل الله؟!. وفيه دليلٌ على فضيلة هذه الحال النادرة، أن يخرج الإنسان مجاهدًا في سبيل

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال، رقم(١٩٨٤).

الله بنفسه وماله، ومالُه يعني: سلاحه ومركوبه، ثم يقتل، ويؤخذ سلاحه ومركوبه، ويأخذه العدو، فهذا فقد نفسه وماله في سبيل الله، فهو من أفضل المجاهدين، فهذا أفضل من العمل الصالح في أيام العشر، وإذا وقع هذا العمل في أيام العشر تضاعف فضله.

ومن الأيام التي يسن صيامها: يوم عرفة، واليوم العاشر من شهر المحرم لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئل عن صوم يوم عرفة، قال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**» الماضية يعني: التي انتهت؛ لأن يوم عرفة في آخر شهر من العام، والباقية. فهو يكفر سنتين.

وسُئل عن صوم يوم عاشوراء، قال: «**يكفر السنة الماضية**» فهو أقل أجرًا من صوم يوم عرفة، ومع ذلك ينبغي أن يصوم مع عاشوراء تاسوعاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**» يعني: مع العاشر.

ولأنه أمر أن يُصام يومًا قبله أو يومًا بعده، مخالفة لليهود؛ لأن يوم عاشوراء - يعني يوم العاشر من محرم هو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فكان اليهود يصومونه شكرًا لله عزَّ وجلَّ على هذه النعمة العظيمة؛ أن الله أنجى جنده، وهزم جند الشيطان، أنجى موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فهو نعمة عظيمة، ولهذا لما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا يوم نجّا الله موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه فنصومه شكرًا لله، فقال: «**نحن أولى بموسى منكم**». لماذا؟ لأن النبي ﷺ والذين

معه أولى الناس بالأنبياء السابقين﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فرسول الله ﷺ أحق بموسى من اليهود، لأن اليهود كفروا به، وكفروا بعيسى، وكفروا بمحمد، فصامه وأمر الناس بصيامه، إلا أنه أمر أن يخالفوا اليهود الذين لا يصومون إلا يوم العاشر، كأن نصوم التاسع، أو الحادي عشر، مع العاشر، أو الثلاثة. ولهذا ذكر بعض أهل العلم رحمهم الله كابن القيم وغيره أن صيام عاشوراء ثلاثة أقسام:

١ ـ أن نصوم عاشوراء والتاسع، وهذا أفضل الأنواع.

٢ ـ أن نصوم عاشوراء والحادي عشر، وهذا دون الأول.

٣ ـ أن نصوم عاشوراء وحده فكرهه بعض العلماء؛ لأن النبي ﷺ أمر بمخالفة اليهود، ورخص فيه بعض العلماء.

وكذلك من الأيام التي يسن صيامها، ستة أيام من شوال، كما في حديث أبي أيوب، أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال فكأنما صام الدهر» فسّر العلماء ذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها، فيكون رمضان شهرًا بعشرة أشهر، ويكون الستة بستين يومًا، وهم شهران، فعلى هذا يسن للإنسان إذا أتمَّ صيام رمضان أن يصوم ستة أيام من شوال.

وليعلم أنها لا تصام قبل القضاء، يعني: لو كان على الإنسان يوم واحد من رمضان، وصام الست، فإنه لا يحصل على أجر ذلك، لأن الرسول ﷺ قال: «من صام رمضان» ومن عليه يوم واحد من رمضان لم

يكن صامه، بل صام أيامًا منه، من كان عليه يوم فقد صام تسعة وعشرين، ومن كان عليه يومان فقد صام ثمانية وعشرين، ما صام الشهر، والرسول ﷺ يقول: «**من صام رمضان**» فإذا صمت رمضان وصمت ستة أيام بعده من شوال فكأنما صمت الدهر كله.

وسواء صمتها من ثاني يوم العيد وأتبعت بعضها بعضًا، أو صمتها بعد يومين أو ثلاثة، أو صمتها متتابعة، أو صمتها متفرقة، الأمر في هذا واسع، لكن لو أنك تساهلت حتى خرج شوال وصمت، فإنها لا تكون بهذا الأجر، اللهم إلا من كان معذورًا، مثل أن يكون مريضًا، أو امرأة نفساء أو مسافرًا، ولم يصم في شوال وقضاها في ذي القعدة، فلا بأس.

❊ ❊ ❊

٢٢٩- باب استحباب صوم الإثنين والخميس

١٢٥٥ - عن أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَن صَومِ يَومِ الإثنينِ فَقَالَ: «ذَلِكَ يَوْمٌ ولدتُ فيه، ويَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنزِلَ عَليَّ فِيهِ[(١)]» رواه مسلمٌ.

١٢٥٦ - وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «تُعْرَضُ الأعْمَالُ يَومَ الإثنَينِ والخميسِ، فَأحبُّ أنْ يُعْرَضَ عَملي وَأَنَا صَائمٌ[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، ورواه مسلمٌ بغير ذكر الصوم.

١٢٥٧ - وَعَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَتَحَرّى صَومَ الإثْنَينِ والخَمِيسِ[(٣)]. رواه الترمذي: وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، رقم(٦٧٨).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٦)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، رقم(٦٧٦).

٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضلُ صومُها في الأيام البِيض، وهيَ: الثالث عَشَرَ، والرابعَ عشرَ، والخامِسَ عَشرَ. وقِيلَ: الثاني عَشرَ، والثالِثَ عَشرَ، والرَّابعَ عَشرَ، والصحيحُ المشهورُ هوَ الأوَّلُ.

١٢٥٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال: أَوْصَاني خَلِيلِي ﷺ بثلاثٍ: صِيَامُ ثلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ، ورَكَعْتَي الضُّحَى، وأن أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ[١]. متفقٌ عليه.

١٢٥٩ - وَعَنْ أَبِي الدَّرداءِ رضي الله عنه قال: أَوْصاني حَبِيبي ﷺ بِثلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ ما عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاةِ الضُّحَى، وبِأن لا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ[٢]. رواه مسلم.

١٢٦٠ - وعَنْ عبدِ الله بن عَمْرو بن العَاص رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «صومُ ثلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ صومُ الدهْرِ كُلِّه[٣]» متفقٌ عليه.

١٢٦١ - وعَنْ مُعَاذَةَ العَدَوِيَّةِ أَنَّهَا سَأَلت عائشةَ رضي الله عنهما: أَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كلِّ شهرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: مِنْ أيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالي مِن أي الشَّهْرِ يَصُومُ[٤]. رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صيام أيام البيض، رقم(١٨٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم(١١٨٢).
(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم(١١٨٣).
(٣) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام، رقم(١٨٤٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم(١٩٦٧).
(٤) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٤).

١٢٦٢ ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثلاثًا، فَصُمْ ثلاث عَشْرَةَ، وأَرْبَعَ عَشرَةَ، وخَمْسَ عَشرَةَ[١]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٢٣٦ ـ وَعَنْ قَتَادَةَ بنِ مِلحَانَ رضي الله عنه قَالَ: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَأمُرُنَا بِصِيَامِ أيَّامِ البيضِ: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وخَمْسَ عَشَرَةَ[٢]. رواهُ أبو داود.

١٢٦٤ ـ وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: كانَ رسُولُ الله ﷺ لا يُفْطِرُ أَيَّامَ البِيضِ في حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ[٣]. رواه النسائي بإسنادٍ حسنٍ.

الشـرح

هذان البابان عقدهما المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان فضل صوم يوم الإثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر.

أما يوم الإثنين: فإن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: **«ذاك يوم ولدت فيه، وبعثت أو أنزل عليَّ فيه»** وكذلك مات فيه عليه الصلاة والسلام، فيوم الإثنين ولد فيه النبي ﷺ لكن في أي شهر؟ لم يتبين، هل هو في شهر ربيع الأول، أو في غيره؟ وهل هو في اليوم الثاني عشر منه أو في غيره؟ إنما

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(٦٩٢).
(٢) رواه أحمد (٥/٢٨)، وأبوداود: كتاب الصوم، باب في صوم الثلاث من كل شهر، رقم(٢٠٩٣).
(٣) رواه النسائي: كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ، رقم(٢٣٠٥).

المؤكد أنه ولد في يوم الإثنين، وكذلك أيضًا أنزل على الرسول ﷺ فيه، يعني: أول ما نزل عليه القرآن في يوم الإثنين.

والراوي شك، هل قال: (أنزل) أو (بعثت)؟، وبينهما فرق؛ لأنه أنزل عليه القرآن قبل أن يبعث، أنزلت عليه سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١]. وبهذا صار نبيًّا وأنزل عليه، وأما البعث وهو الإرسال، فإنما كان بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]. وهذا بعد الأول. وعلى كلٍّ صار هذا اليوم فيه مناسبات شريفة عظيمة، ولادة الرسول ﷺ وإنزال الوحي عليه، أو إرساله إلى الناس.

وأما صيام ثلاثة أيام من كل شهر ففيه أحاديث: منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأبي الدرداء، وأبي ذر رضي الله عنهم، هؤلاء الثلاثة أوصاهم النبي ﷺ بوصية واحدة، لكن كل واحد في وقت.

أوصاهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**» يعني: ثلاثة أيام - والحسنة بعشر أمثالها - تكون ثلاثين يومًا، فتكون صوم الدهر كله.

أوصاهم بثلاثة أيام من كل شهر، ولم يعين، لم يقل: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وأوصاهم أيضًا بركعتي الضحى.

وركعتا الضحى وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح أي من نحو ثلث ساعة بعد طلوع الشمس إلى قبيل الزوال أي إلى ما قبل الزوال بنحو عشر

دقائق، كل هذا وقت لركعتي الضحى.

وتسن كل يوم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن كل عضو من أعضاء بني آدم يصبح كل يوم عليه صدقة**[١]» مقابلة للأعضاء. والأعضاء ثلاثمائة وستون عضوًا في كل إنسان، إذًا عليك كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة. لكن الصدقات ليست لازمة بالمال، فكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، حتى إعانة الرجل في دابته صدقة، وحتى جماع الرجل لأهله صدقة.

ولكن قال النبي ﷺ: «**ويجزي من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى**[٢]» إذا أنت ركعت ركعتين من الضحى أديت الواجب عليك من الصدقات، وبقي الباقي تطوعًا.

أما الثالث: «**وأن أوتر قبل أن أنام**» وهذا لمن يخشى أن لا يقوم من آخر الليل فيحتاط لنفسه، أما الذي يطمع أن يقوم من آخر الليل، فليجعل وتره في آخر الليل. هكذا جاءت السنة عن النبي ﷺ.

قال العلماء: وإنما أوصى هؤلاء بأن يوتروا قبل أن يناموا؛ لأن مقتضى حالهم يقتضي ذلك، فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه في أول الليل يتحفظ أحاديث رسول الله ﷺ وينام في آخر الليل.

ثم إن الأيام الثلاثة يجوز أن تصومها في العشر الأول، أو في العشر

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٦٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم(١١٨١).

الأوسط، أو في العشر الأخير، أو كل عشرة أيام يوم، أو كل أسبوع يوم، كل هذا جائز، والأمر واسع، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ لا يبالي من أي الشهر صامها، من أوله أو من وسطه أو من آخره. لكن اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، أحسن وأفضل، لأنها أيام البيض.

أما صوم يوم الخميس فهو أيضًا سنة، لكنه دون صوم يوم الإثنين، صوم يوم الإثنين أفضل، وكلاهما فاضل.

وإنما كان صيامهما فاضلاً؛ لأنه يروى عن النبي ﷺ أن الأعمال تعرض فيهما على الله، قال: «فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم».

وأفضل الصيام صيام داود، أن يصوم الإنسان يومًا ويفطر يومًا، هذا لمن قدر ولم يكن عليه مشقة، ولم يضيع بسببه الأعمال المشروعة الأخرى، ولم يمنعه عن تعلم العلم؛ لأن هناك عبادات أخرى، إذا كان كثرة الصيام يعجزك عنها فلا تكثر الصيام... والله الموفق.

* * *

٢٣١- باب فضل من فطر صائمًا وفضل الصائم يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

١٢٦٥ - عَنْ زَيدِ بنِ خَالدٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ فَطَّرَ صَائمًا، كانَ لهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائمِ شيءٌ[1]». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٦٦ - وعَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الأنصاريَّةِ رضي الله تعالى عنها، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إلَيْهِ طَعَامًا، فقَالَ: «كُلي» فقَالَتْ: إنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ إذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرَغُوا» وَرُبَّمَا قال: «حَتَّى يَشْبَعُوا[2]». رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٢٦٧ - وعَن أنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءَ إلى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فأَكَلَ، ثُمَّ قالَ النبيُّ ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائمون، وأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الملائِكَةُ[3]» رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

الشـرح

باب فضل من فطر صائمًا هو آخر ما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه رياض الصالحين فيما يتعلق بالصيام، وذلك أن من نعمة الله

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١١٤)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائمًا، رقم(٧٣٥).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصائم إذا أُكل عنده، رقم(٧١٦).
(٣) رواه أحمد (٣/ ١٣٨)، وأبوداود: كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام، رقم(٣٣٥٦)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائمًا، رقم(١٧٣٧).

سبحانه وتعالى على عباده أن شرع لهم التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك تفطير الصائم، لأن الصائم مأمور بأن يفطر، وأن يعجل الفطر، فإذا أُعينَ على هذا فهو من نعمة الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال النبي ﷺ: «**من فطر صائمًا، فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء**».

واختلف العلماء في معنى قوله (من فطر صائمًا)، فقيل إن المراد من فطره على أدنى ما يفطر به الصائم ولو بتمرة. وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله وربما يستغني به عن السحور، ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان إذا فطّر صائمًا ولو بتمرة واحدة فإن له مثل أجره، ولهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على تفطير الصوام بقدر المستطاع لاسيما مع حاجة الصائمين وفقرهم أو حاجتهم لكونهم ليس في بيوتهم من يقوم بتجهيز الفطور لهم وما أشبه ذلك.

ثم ذكر رحمه الله تعالى كتاب الاعتكاف.

❊ ❊ ❊

كتاب الاعتكاف

٢٣٢ـ باب فضل الاعتكاف في رمضان

١٢٦٨ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِنْ رَمَضَانَ(١). متفقٌ عليه.

١٢٦٩ ـ وعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حتَّى توفَّاهُ الله تعالى، ثمَّ اعْتَكَفَ أزْواجُهُ مِنْ بَعْدِهِ(٢). متفقٌ عليه.

١٢٧٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كانَ العَامُ الذي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يومًا(٣). رواه البخاري.

الشرح

والاعتكاف: لزوم المسجد لطاعة الله عزَّ وجلَّ، وهو مشروع في العشر الأواخر من رمضان؛ لأن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأخير، ثم اعتكف العشر الأوسط، يتحرى ليلة القدر، ثم قيل له: «إنها في العشر الأواخر»، فصار يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وبهذا عرفنا أنه لا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، رقم(١٨٨٥)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، رقم(٢٠٠٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، رقم(١٨٨٦)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، رقم(٢٠٠٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان، رقم(١٩٠٣).

يشرع الاعتكاف في غير رمضان، وأن ما ذكره بعض العلماء من أنه ينبغي للإنسان إذا قصد المسجد أن ينوي الاعتكاف مدة مكثه فيه، قول لا دليل عليه، فإن النبي ﷺ لم يشرعه لأمته، لا بقوله، ولا بفعله: يعني: لم يقل للناس إذا دخلتم المسجد فانووا الاعتكاف فيه في أي وقت ولم يكن يفعل ذلك هو بنفسه، وإنما كان يعتكف في العشر الأواخر تحريًا لليلة القدر، ولهذا ينبغي للمعتكف ألا يشتغل إلا بالطاعة، من صلاة وقراءة قرآن وذكر، حتى تعليم العلم، قال العلماء: لا ينبغي للمعتكف أن يشتغل بتعليم العلم، بل يقبل على العبادات الخاصة؛ لأن هذا الزمن مخصوص للعبادات الخاصة.

ولا يجوز للمعتكف أن يخرج من المسجد إلا لما لابد منه، كأن يكون ليس عنده من يأتي له بالطعام والشراب، فيخرج ليأكل ويشرب، أو يحتاج إلى الخروج لقضاء الحاجة، أو يحتاج إلى الخروج من أجل غسل الجنابة، وما أشبه ذلك. أو يحتاج للخروج لكونه في مسجد غير جامع فيذهب إلى الجمعة، المهم أن المعتكف لا يخرج من المسجد، إلا لشيء لابد له منه، شرعًا، أو طبعًا.

ثم إنه ينبغي للمعتكف إذا جاءه أحد يريد أن يشغله بالكلام اللغو الذي لا فائدة منه أن يقول له: يا أخي أنا معتكف، إما أن تعينني على الطاعة، وإلا فابعد عني، والله تعالى لا يستحي من الحق، وأما الجلوس اليسير عند المعتكف والتحدث اليسير إليه فهذا لا بأس به، لأن النبي ﷺ كان يستقبل نساءه، وهو معتكف فيتحدث إليهن، ويتحدثن إليه. والله الموفق.

كتاب الحج

٢٣٣ ـ باب وجوب الحج وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

١٢٧١ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وَأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإقَامِ الصلاةِ وإيتاء الزكاة، وحَجِّ البَيْتِ، وَصَومِ رَمَضَانَ[1]» متفقٌ عليه.

١٢٧٢ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَال: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فقَالَ: «يَا أيُّها الناسَ إنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا» فقالَ رَجَلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رسُولَ الله؟ فسَكَتْ، حتَّى قَالَهَا ثلاثًا. فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلما اسْتَطَعْتُمْ» ثُمَّ قال: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافِهم عَلَى أنبيَائهم، فَإذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإذَا نَهيتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَدَعُوهُ[2]» رواه مسلم.

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب وجوب الحج وفضله.

الحج: هو قصد مكة للتعبد لله سبحانه وتعالى بأداء المناسك، وهو أحد

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم(٢٣٨٠).

أركان الإسلام بإجماع المسلمين، ودليل فرضه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهذه الآية نزلت في العام التاسع من الهجرة، وهو العام الذي يسمى عام الوفود، وبها فرض الحج. أما قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ففيها فرض الإتمام لا فرض الابتداء، ففرض الابتداء كان في السنة التاسعة في آية سورة آل عمران، وأما فرض الاستمرار والإتمام، فكان في آية البقرة، في سنة ست من الهجرة.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ على الناس يعني: على جميعهم، لكن الكافر لا نأمره بالحج حتى يسلم، وأما المسلم فنأمره بأن يحج بهذا الشرط الذي اشترطه الله عزَّ وجلَّ ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ يعني: من استطاع أن يصل إلى مكة، فمن لم يستطع لفقره، فلا حج عليه، ومن لم يستطع لعجزه نظرنا: فإن كان عجزه لا يرجى زواله، وعنده مال، وجب أن يقيم من يحج عنه. وإن كان يرجى زواله كمرض طارىء، طرأ عليه في أيام الحج، فإنه ينتظر حتى يعافيه الله، ثم يحج بنفسه.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: بني الإسلام على خمس، وقد سبق الكلام عليه، فلا حاجة إلى الإعادة، والشاهد من هذا قوله: وحج البيت الحرام، والحج لا يجب إلا مرة، إلا إذا نذر الإنسان أن يحج فليحج، لكن بدون نذر لا يجب إلا مرة؛ لأن النبي ﷺ حين سُئِل أفي كل عام؟ قال: «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**»

الحج مرة، فما زاد فهو تطوع، وهذا من نعمة الله عزَّ وجلَّ، أنه لم يفرضه إلا مرة واحدة في العمر، وذلك لأن غالب الناس يشق عليهم الوصول إلى مكة وهذا من الحكمة، تجد الصلوات الخمس مفروضة كل يوم، الجمعة مفروضة في الأسبوع مرة؛ لأن الجمعة يجب أن تكون في مسجد واحد فقط في البلد كله، وهذا قد يكون فيه مشقة لو قلنا للناس اجتمعوا في مسجد واحد كل يوم خمس مرات، فيه مشقة، ولهذا لم تفرض الجمعة إلا في الأسبوع مرة.

الزكاة لم تجب إلا في السنة مرة، الصيام لم يجب إلا في السنة مرة، الحج لا يجب إلا في العمر مرة، وهذا من حكمة الله تعالى ورحمته، حيث جعل هذه الفرائض مناسبة لأحوال العباد.

وقال النبي ﷺ: «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**»، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**ذروني ما تركتكم**» يعني: لا تسألوا عن أشياء أنا ساكت عنها، ما دمت ساكتًا عن الشيء فاسكتوا عنه؛ لأن أعظم الناس جرمًا من سأل عن مسألة حلال فحرمت من أجل مسألته، أو عن مسألة غير واجبة، فوجبت من أجل مسألته.

لكن بعد موت النبي ﷺ لا بأس أن يسأل الناسُ العلماء عن أمور دينهم؛ لأن الشرع انتهى، لا يوجد تحليل ولا تحريم، ولا إيجاب، ولا إسقاط اسأل ولا تقل: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

ثم بيَّن الرسول ﷺ أن ما أهلك الذين من قبلنا كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم، يعني أنهم يسألون ويسألون فهلكوا، وانظر إلى

أصحاب البقرة حين قال لهم موسى عليه الصلاة والسلام: اذبحوا بقرة، وخذوا جزءًا منها، واضربوا به القتيل، وكان القتيل من بين قبيلتين أو طائفتين، قُتِلَ فادعت إحدى الطائفتين على الأخرى أنها قتلته، فأنكروا. وهو ميت، ولا يوجد شهود.

فجاءوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام، فأمرهم بأمر الله، أن يذبحوا بقرة، لو ذبحوا أي بقر تلك الساعة لحصل لهم المقصود، لكن جعلوا يسألون: ما هي؟ ما لونها؟ ما هي؟ حتى شددوا، فشدد الله عليهم، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

فالحاصل: أن كثرة المسائل والاختلاف على الأنبياء من أسباب الهلاك، وهذا كله كما قلت: في عهد النبوة، عهد التشريع. أما الآن فسأل عن كل ما تحتاج إلى السؤال عنه، ولا حرج عليك.

أما ألغاز المسائل، والأشياء التي يقصد بها التشدد والتعنت فهذه منهي عن السؤال عنها، لقول النبي ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون». والله أعلم.

* * *

١٢٧٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إيمانٌ باللهِ وَرَسُولِهِ» قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: «حَجٌّ مَبرورٌ[(١)]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، رقم(٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم(١١٨).

«المَبْرُورُ» هُوَ الذِي لا يَرتَكِبُ صَاحِبُهُ فِيهِ مَعْصِيَةً.

١٢٧٤ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفسُقْ، رَجَعَ كَيَومٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[1]» متفقٌ عليه.

١٢٧٥ـ وعَنْهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «العُمْرَةُ إلى العُمَرَةِ كفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، والحجُّ المَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّة[2]» متفقٌ عليه.

١٢٧٦ ـ وعَنْ عائشة رضي الله عنها قالتْ: قلت: يَا رسُولَ الله، نرى الجِهَادَ أفضَل العَمَلِ، أَفَلا نُجَاهِدُ؟ فقال: «لَكِنْ أَفْضَلُ الجهادِ حَجٌّ مبْرُورٌ[3]» رواه البخاريُّ.

١٢٧٧ ـ وعَنْهَا أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أكْثَرَ مِنْ أنْ يَعْتِقَ اللهُ فيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يومِ عَرَفَةَ[4]» رواه مسلم.

١٢٧٨ ـ وعَن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «عُمرَةٌ في رَمَضَانَ تَعدِلُ حَجَّةً ـ أو حَجَّةً مِعِيَ[5]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب الحج وفضله. وهي تدل على أمور: أن الحج المبرور في المرتبة الثالثة بالنسبة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم(١٤٢٤)، ومسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم(٢٤٠٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم(١٦٥٠)، ومسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم(٢٤٠٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم(١٤٢٣).

(٤) رواه مسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم(٢٤٠٢).

(٥) رواه البخاري: كتاب الحج، باب حج النساء، رقم(١٧٣٠)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل العمرة في رمضان، رقم(٢٢٠٢).

لأفضل الأعمال، فقد سُئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله**»، ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، ثم قال الثالث: «**حج مبرور**» فالحج المبرور هو الذي اجتمعت فيه أمور:

الأمر الأول: أن يكون خالصًا لله بأن لا يحمل الإنسان على الحج إلا ابتغاء رضوان الله والتقرب إليه سبحانه وتعالى، لا يريد رياءً ولا سمعة، ولا أن يقول الناس: فلان حج، وإنما يريد وجه الله.

والأمر الثاني: أن يكون الحج على صفة حج النبي ﷺ، يعني أن يتبع الإنسان فيه الرسول ﷺ ما استطاع.

والأمر الثالث: أن يكون من مال مباح، ليس حرامًا، بأن لا يكون ربا، ولا من غش، ولا ميسر، ولا غير ذلك من أنواع المكاسب المحرمة، بل يكون من مال حلال، ولهذا قال بعضهم:

يـــا مَـــنْ حججـــتَ بِمـــالٍ أصلُـــه سحـــتُ
فمـــا حَجَجْـــتَ ولكـــن حجـــت العيرُ

يعني: الإبل حجت، أما أنت فما حججت، لماذا؟! لأن مالك حرام.

والأمر الرابع: أن يجتنب فيه الرفث والفسوق والجدال، لقول الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فيجتنب الرفث وهو الجماع ودواعيه، ويجتنب الفسوق، سواء كان في القول المحرم: الغيبة، النميمة، والكذب، أو الفعل: كالنظر إلى النساء، وما أشبه ذلك، لابد أن يكون قد تجنب فيه الرفث والفسوق.

والجدال: المجادلة والمنازعة بين الناس في الحج، هذه تنقص الحج

كثيرًا. اللهم إلا جدالاً يُراد به إثبات الحق، وإبطال الباطل، فهذا واجب، فلو جاء إنسان مبتدع يجادل، والإنسان محرم، فإنه لا يتركه بل يجادله ويبين الحق؛ لأن الله أمر بذلك ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]. لكن الجدال من غير داع يتشاحنون أيهم يتقدم، أو عند رمي الجمرات، أو عند المطاف، أو ما أشبه ذلك، هذا كله مما ينقص الحج، فلابد من ترك الجدال، فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

ومن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه، أي رجع من الذنوب نقيًّا لا ذنوب عليه كيوم ولدته أمه.

وفي حديث عائشة الذي سألت فيه النبي ﷺ نرى الجهاد أفضل الأعمال؟ قال: «**لكن أفضل الأعمال حج مبرور**» هذا بالنسبة للنساء.

فالنساء جهادهن هو الحج، أما الرجال فالجهاد في سبيل الله أفضل من الحج، إلا الفريضة فهي أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ لأن الفريضة ركنٌ من أركان الإسلام.

وفي هذه الأحاديث عمومًا دليلٌ على أن الأعمال تتفاضل بحسب العامل، ففي حديث أبي هُريرة قال رسول الله ﷺ حين سُئل: أي العمل أفضل؟ «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[١] وفي حديث ابن مسعود أنه سأل النبي

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، رقم(٢٦).

ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

فكلٌّ يخاطب بما يليق بحاله، وكما قال رسول الله ﷺ للرجل الذي قال: أوصني، قال: «لا تغضب» قال: أوصني، قال: «لا تغضب» قال: أوصني، قال: «لا تغضب». ما قال: أوصيك بتقوى الله، وبالعمل الصالح؛ لأن هذا الرجل يليق بحاله أن يوصى بترك الغضب؛ لأنه غضوب. فالرسول ﷺ يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، ويعلم هذا بتتبع الأدلة العامة في الشريعة، وبيان مراتب الأعمال والله الموفق.

* * *

١٢٧٩ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ امرأة قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ فَرِيضَةَ اللهِ على عِبَادِهِ فِي الحجِّ، أدْرَكتْ أبي شَيخًا كَبِيرًا، لا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قالَ: «نَعَمْ[1]» متفقٌ عليه.

١٢٨٠ ـ وعن لَقِيطِ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ أتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إنَّ أَبي شيخٌ كبيرٌ لا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، ولا العُمرَةَ، ولا الظَّعَنَ؟ قالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ[2]». رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم(١٤١٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانه وهرم ونحوهما، رقم(٢٣٧٥).

(٢) رواه أحمد (١١/٤)، وأبوداود: كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره، رقم(١٥٤٥)، والترمذي: كتاب الحج، باب منه، رقم(٨٥٢)، والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب وجوب العمرة، رقم(٢٥٧٤)، وابن ماجه: كتاب المناسك، باب الحج عن الحي إذا لم يستطع، رقم(٢٨٩٧).

١٢٨١ ـ وعَنِ السَّائِبِ بن يَزِيدَ رضي الله عنه قَالَ: حُجَّ بي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، وأَنَا ابنُ سبَعِ سنِين[1]. رواه البخاري.

١٢٨٢ ـ وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوحَاء، فَقَالَ: «مَنِ القَومُ؟» قَالُوا: المسلمُون. قَالُوا: مَنْ أنْتَ؟ قال: «رَسُولُ اللهِ» فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حجٌّ؟ قَال: «نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ[2]» رواه مسلمٌ.

١٢٨٣ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ، وَكَانَتْ زامِلتَهُ[3]، رواه البخاري.

١٢٨٤ ـ وعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ عُكاظُ وَمَجَنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أسْوَاقًا في الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأثَّمُوا أنْ يَتَّجِروا في المَواسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. في مواسم الحج[4]. رواه البخاري.

الشـرح

هذه الأحاديث ساقها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب وجوب الحج وفضله.

الحديث الأول والثاني: فيمن عجز عن الحج، هل يحج عنه أحد أم لا؟ ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: إن

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب حج الصبيان، رقم(١٧٢٥).
(٢) رواه مسلم: كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به، رقم(٢٣٧٧).
(٣) رواه البخاري: كتاب الحج، باب الحج على الرجل، رقم(١٤٢٠).
(٤) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم، رقم(٤١٥٧).

أبي أدركته فريضة الله على عباده في الحج، شيخًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «**نعم**».

فدل ذلك على أن الإنسان إذا عجز عن الحج عجزًا لا يرجى زواله، كالكبر والمرض الذي لا يرجى شفاؤه، وما أشبه ذلك، فإنه يحج عنه.

وفي هذا دليلٌ على أن المرأة يجوز أن تحج عن الرجل، وكذلك الرجل يجوز أن يحج عن المرأة، والرجل عن المرأة، والمرأة عن المرأة، كل ذلك جائز، ولذلك أذن النبي ﷺ للرجل الذي أخبره أن أباه شيخ كبيرٌ لا يستطيع الركوب، ولا الحج، ولا العمرة، فقال: «**حج عن أبيك واعتمر**».

وفي هذه الأحاديث أيضًا دليل على جواز حج الصبيان، فها هو السائب بن يزيد رضي الله عنه يقول: حج بي مع النبي ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين.

حُجَّ به: فدل ذلك على جواز الحج مع الأطفال، وكذلك حديث ابن عباس: أن امرأة رفعت إلى النبي ﷺ صبيًا فقالت: ألهذا حج، قال: «**نعم، ولك أجر**».

ففي هذين الحديثين دليلٌ على جواز حج الصبيان، والصبي يفعل ما يفعله الكبير، وإذا عجز عن شيء فإنه يُفعل عنه إن كان مما تدخله النيابة، أو يحمل إذا كان مما لا تدخله النيابة، فمثلاً إذا كان لا يستطيع أن يطوف أو يسعى يُحْمَل، إذا كان لا يستطيع أن يرمي يُرمى عنه؛ لأن حمله في الجمرات فيه مشقة ولا فائدة من حمله، لأنه ليس رميًا بيده، فلهذا نقول: في الطواف والسعي يحمل، وفي الرمي يرمى عنه، ثم إن الطائف والساعي، هل يسعى

لنفسه وهو حامل طفله، ينوي به السعي عن نفسه وعن طفله؟

نقول: لا، فيه تفصيل: إن كان الطفل يعقل النية، وقال له وليه: انو الطواف انو السعي، فلا بأس أن يطوف به وهو حامله، ينوي عن نفسه والصبي عن نفسه، وإن كان لا يعقل النية، فإنه لا يطوف به، وينوي نيتين. نية لنفسه، ونية لمحموله، بل يطوف أولاً عن نفسه، ثم يحمل صبيه فيطوف به، أو يجعله مع إنسان آخر يطوف به، وذلك لأنه لا يمكن أن يكون عمل واحد بنيتين، فهذا هو التفريق في مسألة الطواف به.

ثم إن الإنسان إذا حج، فإنه يجب عليه وهو نائب لغيره، أن يفعل كل ما في وسعه من إتمام الحج من أركانه، وواجباته ومكملاته؛ لأنه نائب عن غيره، فلا ينبغي له أن يهمل فيما يقوم به عن الغير، بخلاف من حج لنفسه، فمن حج لنفسه وترك المستحب فلا بأس. لكن عليك في الحج عن الغير أن تجتهد فيه بقدر ما تستطيع، وحجة الصبي لا تكفيه عن حجة الإسلام لأنه لم يخاطب بها، فهي لا تجب عليه إلا بعد البلوغ. والله الموفق.

* * *

كتاب الجهاد

٢٣٤ـ باب فضل الجهاد

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد.

الجهاد مصدر جاهد يجاهد، ومعناه بذل الجهد في مكافحة العدو.

والجهاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جهاد النفس.

والثاني: جهاد المنافقين.

والثالث: جهاد الكفار المحاربين.

فأما الأول فعليه ينبني الجهاد الثاني والجهاد الثالث.

ومعنى جهاد النفس: حمل النفس على القيام بالواجبات، وترك المحرمات؛ لأن النفس تحتاج إلى معاناة وإلى مجاهدة، إذ أن لكل إنسان نفسين نفسًا أمارة بالسوء، ونفسًا مطمئنة تأمر بالخير، فهاتان النفسان دائمًا في صراع، النفس الأمارة بالسوء تريد منه أن يفعل السوء فهي أمارة، وأمارة صيغة مبالغة، أو هي بمعنى الكثرة، أو أن من شأنها وطبيعتها الأمر بالسوء، يعني النسبة، كما تقول: نجار، وصناع، وما أشبه ذلك.

فالنفسان دائمًا في صراع، فيجاهد الإنسان بنفسه المطمئنة نفسه الأمارة بالسوء، وجرب نفسك، عندما تهم بفعل الخير، تجد هناك جاذبًا آخر يجذبك

إلى الشر ويثبطك عن الخير، ويقول إن فعلت كذا، صار كذا وكذا من الأمور المثبطة عن الخير فأنت دائمًا في جهاد، وأعظم ما يجاهد عليه الإنسان نفسه، الإخلاص لله عزَّ وجلَّ في العبادات، وفي المعاملات، وفي طلب العلم، وفي كل الأحوال.

قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص؛ لأن الإنسان قد يميل قلبه إلى مراءاة الناس أو يميل قلبه إلى أن يريد عرضًا من الدنيا بعمل الآخرة أو ما أشبه ذلك.

فالإخلاص شديد عظيم يحتاج إلى معاناة عظيمة شديدة. والكلمة الواحدة مع الإخلاص تنجي صاحبها من النار وتدخله الجنة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه[(١)]»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[(٢)]».

كلمة واحدة مع الإخلاص توصل صاحبها إلى هذه الدرجة العظيمة، النجاة من النار، ودخول الجنة. ولهذا عرف السلف رحمهم الله قدر الإخلاص، وجاهدوا أنفسهم عليه، وحرصوا على أن تكون أعمالهم كلها خالصة لله عزَّ وجلَّ، وبالإخلاص لله لابد أن يتبع الإنسان رسول الله ﷺ؛ لأن المخلص في طلب الوصول إلى الله لابد أن يسلك الطريق الموصل إليه،

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم(٩٧).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٣٣)، وأبوداود: كتاب الجنائز، باب في التلقين، رقم(٣١١٦).

ولا طريق يوصل إلى الله إلا طريق محمد ﷺ، فهي مستلزمة للمتابعة، ولهذا يُقال: إخلاص لله تعالى في القصد، وإخلاص للرسول ﷺ في المتابعة.

فالحاصل: أن جهاد النفس ينبني عليه جهاد المنافقين، وجهاد الكفار المحاربين، بل كل الأعمال تنبني على جهاد النفس، وهنا نذكركم بحديث يُروى عن النبي ﷺ أنه قال حين رجع من تبوك: «**رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر**[1]» يعني: جهاد النفس، وهذا الحديث لا أصل له، ولا يصح عن النبي ﷺ، لكنه متداول بين الناس إلا أنه من الأحاديث التي لا أصل لها؛ لأنه أحيانًا يشتهر على ألسن الناس أحاديث ليس لها إسناد، وليس لها صحة كقول بعضهم: «**حب الوطن من الإيمان**» هذا غير صحيح، بل حب الديار الإسلامية من الإيمان، أما الوطن فقد يرتحل الإنسان ويهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ولا يكون حبها من الإيمان، بل دار الكفر مبغوضة هي وأهلها، أما الديار الإسلامية فحبها من الإيمان، سواء كانت وطنك أم لا.

هذا النوع الأول من الجهاد، وهو: جهاد النفس، الذي ينبني عليه جهاد المنافقين، وجهاد المحاربين.

الثاني: جهاد المنافقين: وجهاد المنافقين من أصعب ما يكون أيضًا، لأن المنافق عدو خفي، بل هو العدو حقيقة، وانظر إلى قول الله تبارك وتعالى:

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٥٢٣)، كشف الخفاء (١/ ٥١١) رقم(١٣٦٢)، والفتح السماوي (٢/ ٥١٣)، رقم(٣٩٣)، تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٣٩٥)، رقم(٨٢٥).

﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]. كلمة (هم العدو) هذه جملة خبرية، طرفا إسنادها معرفة فتفيد الحصر، كأنه قال: لا عدو لك إلا المنافق، المنافق والعياذ بالله هو بيننا، يصلي ويتصدق ويصوم ويدعي أنه منا، لكنه جاسوس علينا ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. ربما يأتي إلى أحد طلبة العلم، ويصاحبه ويظهر له المحبة والمودة، فإذا قال له أصحابه إذا ذهب إليهم، لماذا أنت ملازمه؟! يقول: أسخر به، وهذا كما أنه موجود في عهد الرسول ﷺ موجود في عهدنا الآن، فهذا جهاد المنافق بماذا يكون؟!

المنافق لا يمكن أن تسل عليه السيف، لماذا؟ لأنه يزعم أنه مؤمن، ولهذا لما استؤذن النبي ﷺ في قتل المنافقين أبى أن يقتلهم، وقال: «**لا يتحدث الناس أن محمَّدًا يقتل أصحابه**(١)» فهم أصحاب مسلمون في الظاهر، مسلمون، فلا يمكن أن نسل عليهم السيف، لكن بماذا أجاهده؟!

جهاده بالعلم والمناظرة، وتحذيره من أن يبقى على النفاق، ولا تيأس ولا تقل: هذا منافق، فلقد تاب أناس من المنافقين في عهد الرسول ﷺ. كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾ من هم؟ المنافقون ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، رقم(٤٥٢٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، رقم(٤٦٨٢).

[التوبة: ٦٥، ٦٦]. ومتى يكون العفو؟ بالإيمان، بالتوبة من النفاق، فالله سبحانه وتعالى قد يمنُّ على المنافق ويتوب، فلا تيأس، جاهده بالعلم والبيان والنصح، والإرشاد، وحذره من العقوبة، هذا جهاد المنافق.

أما جهاد الكافر المحارب: فهو الذي أراده المؤلف في هذا الباب، وساق فيه الآيات المتعددة، والأحاديث الكثيرة، ويأتي إن شاء الله تعالى بيانه والله أعلم.

* * *

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

الشـــرح

سبق الكلام على أن الجهاد ثلاثة أنواع، وتكلمنا بما يسر الله تعالى على ذلك، ثم ساق المؤلف - رحمه الله - الآيات الواردة في هذا، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

كافة: يعني عامة، كل الكفار يجب أن نقاتلهم وأن نجاهدهم إلى أن يقولوا: «**لا إله إلا الله**»، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان، ويحجوا البيت، أو يسلموا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن سلموا الجزية عن يد وهم صاغرون، كففنا عن قتالهم، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ

صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

فيجب على المسلمين أن يقاتلوا الكفار، كل كافر من أي بلد كان، من الروس أو الأمريكان أو الفرنسيين أو الفلبينيين وغيرهم، يجب عليهم أن يقاتلوا كل كافر حتى يسلم أو يعطي الجزية عن يد.

ولكن إذا قال قائل: كيف يكون ذلك اليوم في هذا العصر؟ قلنا إن الواجبات لها شروط، منها: الاستطاعة، لقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

ومعلوم أن المسلمين اليوم مع الأسف الشديد يقاتل بعضهم بعضًا، وليس عندهم تفكير في أن يقاتلوا لإعلاء كلمة الله، هذا ظني فيهم، والواقع شاهد بذلك بأن المسلمين لا يريدون هذا على الإطلاق، ولا سيما الولاة منهم، ويدلك على هذا ما يفعل اليوم بإخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك من ذبح الرجال، كأنما تذبح الخراف، وانتهاك الأعراض، وابتزاز الأموال، وإذلال الإسلام وهذا أعظم، يعني لا يهمني أن يقتل ألف شخص من المسلمين بقدر ما يُقال إن المسلمين أُذِلوا لإسلامهم.

فالقتال اليوم في البوسنة والهرسك والشيشان وغيرها كلها لإذلال المسلمين، والأمة الإسلامية مع الأسف الآن متفرقة، مشتتة، لم يقم أحد منها يثأر لدين الله عزَّ وجلَّ، فكيف يمكن أن يقاتلوا الكفار؟! في الوقت الحاضر لا يمكن وذلك من أجل الذل الذي ضربه الله على قلوب وُلاة الأمور في البلاد الإسلامية، وعدم الالتفات للجهاد في سبيل الله.

بل ربما يمد بعضهم يد الذل لعدوه الذي كان بالأمس يقاتله، نمد إليه اليوم يد الذل والاستسلام، فكيف نطلب من المسلمين أن يقاتلوا الكفار؟ نعم الله جل وعلا يقول قاتلوهم ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة: ٣٦]. ويقول: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. ولكن مع الأسف - إنا لله وإنا إليه راجعون - كل هذا ضاع، والإنسان ينعصر قلبه دمًا، وتتجرح كبده إذا ما رأى ما يفعل بالمسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والذين هم في أشد الشوق إلى معرفة الدين الإسلامي، والعمل به كما نسمع من إخواننا الذين يأتون من البلاد التي كانت مستعمرة من الشيوعيين. يحدثوننا بفرحهم الشديد إذا وجدوا من يعلمهم دين الإسلام، ويقبلون على ذلك رجالاً ونساءً، ومع هذا نتركهم يذبحون، فقبل أشهر مائتا ألف مسلم قُتّلوا وألقيت جثثهم في الماء، مائتا ألف، أي قرية كاملة أو أكثر من قرية، بل مدينة. والمسلمون - نسأل الله لنا ولهم الهداية - لم يرفعوا لذلك رأسًا، وإن شئت قلت: ولم يروا بذلك بأسًا إلا أن يشاء الله.

فنحن الآن - مع الأسف - في ذل ليس بعده ذل، وسبب ذلك هو أن الله عزَّ وجلَّ ابتلى كثيرًا من المسلمين بالإعراض التام عن دينهم، لا يريدون إلا عرض الدنيا، والترف، ولهذا تجدهم يتحدثون عن رغباتهم ولا يبالون بالدين إلا من يشاء الله.

أما كلام الرب عزَّ وجلَّ فاسمعوا إليه ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ

﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]. كما يقاتلونكم: فيه التحريض، يعني الإنسان بفطرته - دعنا من إسلامه -، قاتلوهم كما يقاتلونكم كافة يعني: اثأروا لأنفسكم على الأقل، بقطع النظر عن هذا الدين أو الإسلام، ولكن مع الأسف الأمر بالعكس.

بل إننا ربما الآن مع الأسف المواطنون منا يشجعون أعداء الإسلام على قتال المسلمين، انظر إلى العمالة التي ملئت بها الدنيا في بلادنا، يمكن أن يكون ثمانون بالمائة منهم كفارًا، والباقون مسلمون، مع توافر المسلمين في البلاد الإسلامية الفقيرة التي يغزوها النصارى من كل وجه، فتجد المواطن لا يهمه إلا أن يُنهى عملُه، ويقول له الشيطان إن الكافر أحسنُ في العمل من المسلم، فالمسلم يقول: أذهب أصلي، أصوم رمضان، أحج، أعتمر، أما الكافر فدائمًا يشتغل.. فيزين له الشيطان سوء عمله، ليترك إخوانه المسلمين ويأتي بهؤلاء الكفرة من أجل حطام الدنيا. فمن أين لنا التقدم؟ ومن أين لنا أن نقاتل في سبيل الله، والأمر هكذا؟!

والإنسان يقرأ هذه الآيات ويقول سبحان الله، هذه أنزلت على غيرنا أو أنزلت علينا؟ يعني: كأنها لا تحرك المشاعر، وكأنها ليست بكلام رب العالمين، ولا يهتم المسلمون بهذا، كل يوم يقرؤونها ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنًا. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

كُتب: من الذي كتبه؟ الله جل وعلا، وكتب بمعنى فرض ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] كلها مفروضة علينا.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ : تكرهونه، لكنه خير، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، لو كرهتموه فهو خير، ما هو الخير؟! ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]. هذا خيرٌ عظيم، وكما سيأتي إن شاء الله في الآية الثالثة ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]، أنت أيها المسلم إذا قاتلت وجرحت أو استشهدت، أتظن أن عدوك سالم؟ ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ ﴾ [النساء: ١٠٤]، ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ ﴾ [النساء: ١٠٤]، هذا الجرح الذي جرحته، كما جرح عدوك وكلا كما يألم، ولكن ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾ [النساء: ١٠٤].

لأن هؤلاء الكفار ليس لهم إلا النار، أما أنت فترجو من الله منازل الشهداء، وترجون من الله ما لا يرجون، ولما قام أبو سفيان قبل أن يسلم في يوم أحد يقول: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. يعني يفتخر ويقول أنتم في بدر غلبتمونا، والآن غلبناكم، فماذا قال المسلمون؟ قالوا: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فرق عظيم، فالقتال نكرهه ويكرهه العدو، لكن هناك فرق عظيم بين ما إذا قتل الواحد منا أو منهم، أو جرح

الواحد منا أو منهم، فنسأل الله تعالى أن يقيم علم الجهاد، جهاد الأنفس وجهاد الأعداء، وأن يهدي ولاة أمور المسلمين لإقامة دين الله ظاهرًا وباطنًا وأن يعيذهم من الشرور، وأن يعيذهم من البطانة السيئة التي تضرهم ولا تنفعهم، إنه على كل شيء قدير.

* * *

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة: ٤١]. وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

الشــرح

ساق المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ آيات من الجهاد منها ما سبق، ومنها ما يلحق إن شاء الله، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقد سبق أنه واجب على المسلمين أن يقاتلوا أعداء الله، وأعداءهم من اليهود والنصارى والمشركين والشيوعيين وغيرهم، كل من ليس بمسلم

فالواجب على المسلمين أن يقاتلوه حتى تكون كلمة الله هي العليا، وذلك إما بإسلام هؤلاء، وإما بأن يبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، نحن لا نُكرههم على الإسلام، لا نقول لابد أن تسلموا، ولكن نقول: لابد أن يكون الإسلام هو الظاهر، فإما أن تسلموا وحيّاكم الله، وإما أن تبقوا على دينكم ولكن أعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبوا لا الإسلام، ولا الجزية، وجب علينا قتالهم، ولكن يجب قبل قتالهم أن نعد ما استطعنا من قوة: لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والقوة نوعان: قوة معنوية وقوة مادية حسية.

القوة المعنوية: هي الإيمان، الإيمان بالله والعمل الصالح، قبل أن نبدأ بجهاد غيرنا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١]. فالإيمان قبل الجهاد.

ثم بعد ذلك الإعداد بالقوة المادية، ولكن مع الأسف أن المسلمين لما كان بأسهم بينهم من أزمنة طويلة نسوا أن يعدوا هذا وهذا، لا إيمان قوي، ولا مادة، لقد سبقنا الكفار بالقوة المادية في الأسلحة وغيرها، وتأخرنا عنهم في هذه القوة كما أننا تأخرنا تأخرًا كبيرًا عن إيماننا الذي يجب علينا وصار بأسنا بيننا. نسأل الله السلامة والعافية.

فالقتال واجب ولكنه كغيره من الواجبات لابد من القدرة، والأمة الإسلامية اليوم عاجزة لا شك، عاجزة ليس عندها قوة معنوية، ولا قوة مادية، إذًا يسقط الوجوب لعدم القدرة عليه فاتقوا الله ما استطعتم.

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ أي القتال كره لكم، ولكن الله تعالى قال: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أول الآية خاص، بماذا؟ بالقتال، وآخر الآية عام﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا ﴾، ولم يقل وعسى أن تكرهوا القتال ولكن قال: ﴿شَيْـًٔا﴾، أي شيء يكون، ربما يكره الإنسان شيئًا يقع ويكون الخير فيه وربما يحب شيئًا أن يقع ويكون الشر فيه، وكم من شيء وقع وكرهتَه وتمنيت أنه لم يحصل، ثم في النهاية تجد أن الخير فيه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾.

وهذه الآية يشبهها قوله تبارك وتعالى في سورة النساء﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]. قال: فعسى أن تكرهوا شيئًا، ولم يقل: وعسى أن تكرهوهن، ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

فهذا عامٌ في كل شيء قد يُجْري الله عزَّ وجلَّ بقضائه وقدره وحكمته شيئًا تكرهه ثم في النهاية يكون الخير فيه، والعكس ربما يجري الله عزَّ وجلَّ شيئًا تظنه خيرًا ولكنه شر، عاقبته شر؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله تعالى حسن العاقبة دائمًا.

ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، نعم؛ الله يعلم ونحن لا نعلم؛ لأن علم الله تعالى واسع، بكل شيء عليم، علم الله علم واسع للمستقبل، يعلم الغيب ونحن لا نعلم، يعلم كل شيء ونحن لا نعلم،

يعلم ما توسوس به النفوس قبل أن يبدو وقبل أن يظهر ونحن لا نعلم، وهنا نسأل عن شيء سهل، شيء غير بعيد، هل يعرف البشر عن أرواحهم شيئًا؟ الروح التي بها الحياة، هل يعرفون عنها شيئًا؟! الجواب: لا ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. الروح التي بين جنبيك لا تعرفها ولا تدري عنها، وجملة ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذه الجملة، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كأن فيها التوبيخ، كأنه يقول: وما بقي عليكم من العلم إلا أن تعلموا هذه الروح، فما أكثر العلوم التي فاتتكم؟! والحاصل أن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. انفروا إلى أي شيء؟ إلى الجهاد ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يعني انفروا حال ما يكون النفر خفيفًا عليكم أو ثقيلاً عليكم ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: إن كنتم من ذوي العلم، فاعلموا أن ذلك خير لكم.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١]. انظروا لهذه الصفقة، صفقة بيع، تامة الشروط والأركان، والوثائق:

من المشتري؟ هو الله سبحانه وتعالى.

والبائع؟ المؤمنون.

والعوض من المؤمنين؟ الأنفس والأموال.

والعوض من الله؟ الجنة.

والوثيقة؟ وعد من الله جل وعلا، فليست أوراق تمزق وتُرمى، بل في التوراة، والإنجيل، والقرآن، أوثق الوثائق هذه، وثيقة مكتوبة في التوراة والإنجيل والقرآن، ليس هناك شيء أوثق منها، وذكر التوراة والإنجيل والقرآن لأنها أوثق الكتب المنزلة على الرسل، القرآن أشرفها ثم التوراة ثم الإنجيل، هذه صفقة لا يمكن أن يكون لها نظير أبدًا، كل الشروط تامة، وصفقة كبيرة عظيمة، النفس والمال هما العوض من الإنسان، **والمعوض** هو المليك وهو الله عزَّ وجلَّ، وهو الجنة، التي قال عنها الرسول ﷺ: «**لموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها**[(١)]» موضع السوط: يعني حوالي (متر أو نحوه) خير من الدنيا وما فيها. أي دنيا؟ هل هي دنياك أنت؟ لا. فقد تكون دنياك مملوءة بالتنغيص والتنفير، والعمر قصير، ولكن خير من الدنيا، منذ خلقت إلى يوم القيامة، بما فيها من كل سرور ونعيم، موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

أيهما أغلى، الأنفس والأموال، أم الجنة؟! الجنة بلا شك، إذًا البائع رابح؛ لأنه باع النفس والمال الذي لابد من فنائه بنعيم لا يزول، ومن الذي عاهد على هذاالبيع؟ الله عز وجل، ومن أوفى بعهده من الله؟ «مَنْ» هنا استفهام بمعنى النفي، يعني لا أحد أصدق وأوفى بعهده من الله، وصدق الله عزَّ وجلَّ

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠١١)، ومسلم: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، رقم(١٥٧٢).

لا أحد أو في بعهده من الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

ثم قال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ يعني لتستبشر نفوسكم بذلك، وليبشر بعضكم بعضًا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] يستبشرون بهذا البيع، بيع عظيم، الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم، هذه الجملة فيها ضمير الفصل، وذلك هو الفوز العظيم، وضمير الفصل كما يقول العلماء يُستفاد منه ثلاثة فوائد:

١ ـ الاختصاص.

٢ ـ التوكيد.

٣ ـ التمييز بين الخبر والصفة.

هذه ثلاث فوائد، يعني معنى ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز مثله، وصدق الله ورسوله، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء، ممن باعوا أنفسهم لله عزَّ وجلَّ، والله الموفق.

* * *

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

الشـرح

يعني: لا يستوي القاعدون والمجاهدون، ونفي الاستواء ظاهر؛ لأن المجاهد قد بذل نفسه وماله لله عزَّ وجلَّ، والقاعد خائف إلا من استثنى الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ غير الذين يتضررون إذا ذهبوا إلى الجهاد وهم ثلاثة أصناف ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]، وكذلك الذين لا يجدون ما ينفقون أو كانوا ضعفاء في أبدانهم لقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

والثالث: من قعدوا للتفقه في الدين، لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهؤلاء ثلاثة أصناف: الأول: أولوا الضرر، والضعفاء.

الثاني: الذين لا يجدون مالاً.

الثالث: من قعدوا ليتفقهوا في الدين، فهؤلاء معذورون إما لوجود مصلحة في بقائهم أعلى من مصلحة الجهاد، وهم كالذين قعدوا للتفقه في الدين، وإما لعذر لا يستطيعون معه أن يذهبوا إلى الجهاد.

وقول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾، المجاهدون أفضل، وفي هذه الآية نفي الاستواء بين المؤمنين، وأن المؤمنين ليسوا سواء، فمثل ذلك قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]. ونفي الاستواء في القرآن العزيز كثير ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢]. والآيات كثيرة، وأحب أن أنبه هنا على كلمة يطلقها بعض الناس قد يريدون بها خيرًا، وقد يطلقها بعض الناس يريدون بها شرًّا، وهي قولهم: إن الدين الإسلامي دين المساواة، فهذا كذب على الدين الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي ليس دين المساواة، الدين الإسلامي دين العدل، وهو إعطاء كل شخص ما يستحق، فإذا استوى شخصان في الأحقية فحينئذٍ يتساويان فيما يترتب على هذه الأحقية، أما مع الاختلاف فلا، ولا يمكن أن يطلق على أن الدين الإسلامي دين مساواة أبدًا، بل إنه دين العدل، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، هذه الكلمة: «الدين الإسلامي دين المساواة» قد يطلقها بعض الناس ويريد بها شرًّا، فمثلا يقول: لا فرق بين الذكر والأنثى، الدين دين مساواة، الأنثى أعطوها من الحقوق مثل ما تعطون الرجل، ولُّوها الولايات، اجعلوها تقود السيارات، اجعلوها تفعل ما يفعل الرجال، . . . لماذا؟ لأن الدين الإسلامي دين المساواة، الاشتراكيون يقولون: الدين دين مساواة، لا يمكن أن يكون هذا غني جدًّا، وهذا فقير جدًّا، لابد أن نأخذ من مال الغني ونعطي الفقير؛ لأن الدين دين المساواة، فيريدون بهذه الكلمة شرًّا، ولما كانت هذه الكلمة قد يُراد بها خير، وقد يُراد

بها شر، لم يوصف الدين الإسلامي بها، وإنما يوصف بأنه دين عدل، الذي أمر الله به ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ ولم يقل المساواة، ولا يمكن أن يتساوى اثنان أحدهما أعمى، والثاني بصير، أحدهما عالم والثاني جاهل، أحدهما عابد، والثاني فاسق، أحدهما نافع للخلق والثاني شرير، لا يمكن أن يستووا.

العدل الصحيح: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لهذا أحببت التنبيه عليها؛ لأن كثيرًا من الكتاب العصريين أو غير الكتاب يطلق هذه الكلمة ولكنه لا يتفطن لمعناها، ولا يتفطن أن الدين الإسلامي لا يمكن أن يأتي بالمساواة من كل وجه، مع الاختلاف أبدًا، لو أنه حكم بالمساواة مع وجود الفارق، لكان دينًا غير مستقيم، إذ لا يمكن أن يسوي بين اثنين بينهما فوارق أبدًا، لكن إذا استووا من كل وجه، صار العدل أن يُعطى كل واحد منهما ما يُعطى الآخر، ويساووا، يعني هذا هو العدل.

وعلى كل حال فهذه الكلمة ينبغي لطالب العلم أن يتفطن لها، وأن يتفطن لغيرها أيضًا من الكلمات التي يطلقها بعض الناس وهو لا يعلم معناها، ولا يعلم مغزاها، ومن ذلك أيضًا قول بعضهم: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه. هذه كلمة عظيمة لا تجوز، لا أسألك رد القضاء؟! وقد قال النبي ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»، إذا دعوت الله تعالى بكشف ضر فهذا قد كتب في الأزل في اللوح المحفوظ، أن الله تعالى يرفع هذا الضر عنك بدعائك، فكله مكتوب، وأنت إذا قلت لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، كأنك تقول: لا يهمني، ترفع

أو لا ترفع، لكن الأولى أن يطلب الإنسان رفع كل ما نزل به، فلا تقل: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، ولكن قل: اللهم إني أسألك العفو والعافية، اللهم اشفني من مرضي، اللهم أغنني من فقري، اللهم اقضِ عني الدين، اللهم علمني ما جهلت، وما أشبه ذلك، وقال النبي ﷺ: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت**(١)» وهي أهون من اللهم لا أسألك رد القضاء «**لا يقل أحدكم اللهم اغفرلي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وليعزم المسألة، فإن الله تعالى لا مكره له**» وفي لفظ «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**(٢)».

وأرجو منكم حين جرى التنبيه على هاتين الكلمتين «الدين الإسلامي دين المساواة. واللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه» إذا سمعتم أحدًا يقول ذلك أن تناصحوه، وتتعاونوا على البر والتقوى، وقد يستغرب بعضهم هذا، كيف لا يكون هذا الدين دين مساواة؟ نقول: لا تستعجل، تأمل، الأعمى والبصير أهما سواء؟ العالم والجاهل أهما سواء؟ الذكر والأنثى. ؟ وأكثر ما في القرآن العزيز هو نفي الاستواء، لم يأتِ ذكر الاستواء إلا في مواضع قليلة مثل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم(٦٩٢٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء، رقم(٤٨٣٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء، رقم(٤٨٣٨).

[الروم: ٢٨]. فالمراد نفي المساواة. ﴿هَل لَّكُم﴾ هذا الاستفهام بمعنى النفي هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء، والجواب: لا، إذًا فظاهره أنه إثبات المساواة، والأمر ليس كذلك، بل نفيها، وعلى كل حال فإني أنصح، وأريد منكم إذا سمعتم أحدًا يقول هذا فقل له: لا، ليس دين المساواة، بل هو الدين العدل فهو إعطاء كل واحد ما يستحق.

والقول الآخر «لا أسألك رد القضاء...» كلام لغو، وقضاء الله أن يرفع عنك المرض، أو يرفع عنك الجهل، أو يرفع عنك الفقر، فلا تقل هكذا، بل قل: اللهم عافني، اللهم ارفع عني البلاء والوباء وما أشبه ذلك.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الفقه في ديننا، وألا يجعلنا إمَّعة نقول ما يقول الناس، ولا ندري ما نقول. والله الموفق.

* * *

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

الشـــرح

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

صدّر الله تعالى هذه الآيات بهذا النداء الشريف الموجه للمؤمنين، من أجل إثارة هممهم وتنشيطهم على قبول ما يسمعون من كلام الله عزَّ وجلَّ.

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ القائل هو ربنا عزَّ وجلَّ، وهذا الاستفهام للتشويق، يشوقنا جلَّ وعلا بهذه التجارة التي يدلنا عليها، ويُستفاد من قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أنه ليس لنا طريق إلى هذه التجارة إلا الطريق الذي شرعه الله عزَّ وجلَّ، هو الدال على ذلك ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وهذه التجارة ليست تجارة الدنيا؛ لأن تجارة الدنيا قد تنجي من العذاب الأليم وقد تكون سببًا للعذاب الأليم، فالرجل الذي عنده مال لا يزكي، يكون ماله عذابًا عليه والعياذ بالله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

تجارة الدنيا قد تنجي من العذاب وقد توقع في العذاب، لكن هذه التجارة التي عرضها الله عزَّ وجلَّ علينا ـ ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا وإياكم ممن يقبلونها ـ يقول: ﴿ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي عذاب مؤلم؛ لأنه لا

عذاب أشد ألمًا من عذاب النار، أعاذني الله وإياكم منها.

ما هذه التجارة؟ قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]. هذه التجارة: الإيمان بالله ورسوله، وهذا يتضمن جميع شرائع الإسلام كلها، ونص على الجهاد لأن السورة سورة الجهاد من أولها إلى آخرها كلها جهاد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. ثم ذكر ما يتعلق بذلك، وهنا يقول: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: تبذلوا جهدكم في سبيل الله، ببذل المال وبذل النفس. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ولا تصل، لا تقل ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لأنك لو وصلت لأفهمت معنى باطلاً في الآية ولكان المعنى: (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، وإن كنتم لا تعلمون فليس خيرًا لكم) وهذا ليس مراد الله عزَّ وجلَّ، بل إن المعنى: ذلكم خيرٌ لكم. ثم قال: إن كنتم من ذوي العلم، كأنه يقول: فاعلموا ذلك إن كنتم أهلاً للعلم.

هذا هو العمل، فما هو الثواب؟ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢].

جنات: هي ما أعده الله عزَّ وجلَّ لعباده الصالحين، وبالأخص المجاهدين في سبيل الله «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله عزَّ وجلَّ للمجاهدين في سبيل الله»(١) ولهذا جمع جنات، تجري من تحتها الأنهار،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم(٢٧٩٠).

أي: من تحت قصورها، وأشجارها، وهي أنهار ليست كأنهار الدنيا وهي أربعة أنهار: أنهار من ماء غير آسنٍ، يعني: لا يمكن أن يتغير بخلاف ماء الدنيا فإنه إذا بقي يتغير، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهار من عسلٍ مصفى، أنهار تجري، أنهار العسل فيها لم يخرج من النحل، واللبن لم يخرج من ضرع بهيمة، والماء لم يخرج من نبع الأرض، وكذلك الخمر لم يخرج من زبيب أو تمر أو شعير أو غير ذلك، أنهار خلقها الله عزَّ وجلَّ في الجنة. تجري كما يجري النهر، وهذه الأنهار ورد في الحديث أنها أنهار لا تحتاج إلى شق، ولا إلى سد، ولا يحتاج أن يحفر لها حتى يجري ولا أن يوضع لها أخدودًا تمنعها من التسرب يمينًا وشمالاً.

قال ابن القيم في النونية:

أنهارها من غير أخدودٍ جَرَت
سبحان ممسكها من الفيضان

ثم إن هذا النهر يأتي طوع اختيارك أنت، تطلب أن الماء يذهب يمينًا يذهب، يسارًا يذهب، أمامًا يذهب، يتوقف يتوقف، كما تشاء.

وقوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

مساكن طيبة: طيبة في بنائها، طيبة في غرفها، طيبة في منظرها، طيبة في مسكنها، طيبة من كل ناحية، والساكن فيها: حورٌ مقصورات في الخيام، خيام من لؤلؤ، مرتفعة من أحسن ما تراه بصرًا، قال النبي ﷺ: **«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما**

فيهما[١]».

اللبنات: لبن البناء ليس من الطوب والتراب، بل هو من الذهب أو من الفضة، ولهذا وصفها الله بالطيب.

ثم إن من طيبها أن ساكنها لا يبغي عنها حولاً، مساكن الدنيا مهما حسنت سترى ما هو أحسن من بيتك، فتقول: ليت هذا لي.

لكن الجنة لا يبغي حولاً عن مسكنه، ولا انتقالاً، كل إنسان يرى أنه هو أنعم أهل الجنة، لكي لا ينكسر قلبه لو رأى من هو أفضل منه، عكس ذلك أهل النار. أهل النار ـ والعياذ بالله ـ يرى أحدهم أنه أشد أهل النار عذابًا، وإن كان هو أهونهم.

فهذه المساكن الطيبة في جنات عدن، قال العلماء: العدن بمعنى الإقامة، ومنه المعدن في الأرض لطول إقامته ومكانه. أي: في جنات إقامة لا يمكن أن تزول أبد الآبدين. . نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾. **الفوز**: أن ينال الإنسان ما يريد، وينجو مما يخاف.

العظيم: الذي لا أعظم منه، ربح ليس فوقه ربح، عوض ليس فوقه عوض، لهؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم منهم ولا يحرمنا هذا الفضل بسوء أعمالنا، وأن يعاملنا بعفوه، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله ومن دونهما جنتان، رقم(٤٥٠٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم(٢٦٥).

١٢٨٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ من الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا(١)» متفقٌ عليه.

١٢٨٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقَال: أيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قال: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سبيلِ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهِ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ(٢)» متفقٌ عليه.

١٢٩٠ ـ وَعَنْ سَهلِ بنِ سَعدٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا، وَمَوضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُها العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعالى أوِ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنيَا ومَا عَلَيْهَا(٣)» متفقٌ عليه.

الشــرح

وبقي قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣].

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ﴾ يعني ولكم أخرى تحبونها، ثم بينها بقوله ﴿ نَصْرٌ مِّنَ

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٢٥٨٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٣٤٩٢).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله، رقم(٢٥٧٨)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم(٣٥٠١).
(٣) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم(٢٦٧٨)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٣٤٩٣).

ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ينصركم الله به على أعدائكم، ولا شك أن الإنسان إذا انتصر على عدوه فإن ذلك له محبة عظيمة؛ لأن الله تعالى يجعل عذاب عدوه على يده، كما قال تعالى: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]. فوائد عظيمة، إذا عذب الله تعالى عدوك على يديك، ولهذا قال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، وقد حصل هذا للمؤمنين في صدر هذه الأمة، فتح الله عليهم فتوحات عظيمة، وغنموا غنائم كثيرة؛ لأنهم قاموا بما يجب عليهم من الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني بشر بهذه الأمور كلها من كان مؤمنًا بها، قائمًا بما يجب عليه من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله.

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - أحاديث في فضل الجهاد والرباط في سبيل الله، وأن الغدوة والروحة في سبيل الله، أو غدوة وروحة في الرباط خيرٌ من الدنيا وما فيها، وهذا فضل عظيم، خيرٌ من الدنيا كلها من أولها إلى آخرها، وما فيها.

وليس خيرًا من دنياك التي أنت تعيشها فقط، بل من الدنيا وما فيها، ومنذ متى؟ من زمن لا يعلمه إلا الله، وكذلك لا يدرى متى تنتهي، كل هذا خيرٌ من الدنيا وما فيها.

قال ﷺ: «وموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها» ويُقال في ذلك ما قيل في الأول: إن الدنيا كلها من أولها إلى آخرها موضع

السوط في الجنة خيرٌ منها. والغدوة والروحة في سبيل الله خيرٌ منها، والرباط في سبيل الله خيرٌ منها.

وفي هذه الأحاديث أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الرجال خيرٌ؟ فبين أنه الرجل الذي يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، ثم أي؟ قال: ورجلٌ مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره، يعني أنه قائم بعبادة الله، كاف عن الناس، ولا يريد أن ينال الناس منه شرٌّ، وهذا أحد الأدلة الدالة على أن العزلة خيرٌ من الخلطة مع الناس، ولكن الصحيح في هذه المسألة أن في ذلك تفصيلاً: من كان يخشى على دينه بالاختلاط بالناس فالأفضل له العزلة، ومن لا يخشى فالأفضل أن يخالط الناس؛ لقول النبي ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**[1]».

فمثلاً: إذا فسد الناس ورأيت أن اختلاطك معهم لا يزيدك إلا شرًّا وبعدًا من الله فعليك بالوحدة، اعتزل، قال النبي ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنمًا يتبع بها شعث الجبال، ومراتع القطر**[2]».

فالمسألة تختلف: العزلة في زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي خيرٌ من الخلطة، أما إذا لم يكن الأمر كذلك فاختلط مع الناس، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على أذاهم وعاشرهم، ربما ينفع الله بك رجلاً

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٣)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم(٤٠٢٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم(٣٠٥٥).

واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم، إذا هداه الله على يديك. والله الموفق.

* * *

١٢٩١ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فِيهِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الذي كانَ يَعْمَلُ، وأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ(١)» رواه مسلم.

١٢٩٢ ـ وَعَنْ فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلا المُرَابِطَ فِي سَبِيلِ الله، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ(٢)» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٩٣ ـ وَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فيما سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ(٣)» رواه الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٩٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلا جِهَادٌ فِي سَبِيلي، وَإِيمَانٌ بي وتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فهو ضامنٌ عَلَيَّ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو أُرجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الذي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عزَّ وجلَّ، رقم(٣٥٣٧).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٠)، وأبوداود: كتاب الجهاد، باب في فضل الجهاد، رقم(٢١٣٩)، والترمذي: كتاب الفضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا، رقم(١٥٤٦).

(٣) رواه أحمد (١/ ٦٥)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، رقم(١٥٩٠)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، رقم(٣١١٨).

أَو غَنيمةٍ. والذي نَفْسُ محَمَّدٍ بِيدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سَبيلِ اللهِ إلا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ. والذي نَفْسُ محَمَّدٍ بِيدِهِ لَولاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأحْمِلَهُم وَلاَ يَجِدُون سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ محَمَّدٍ بِيَدِهِ. لَودِدْتُ أني أَغزُو فِي سَبيل اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغزو، فَأُقْتلَ، ثُمَّ أَغزوَ، فَأُقْتَلَ[1]» رواهُ مسلمٌ وروى البخاري بعضَهُ.

«الكَلْمُ»: الجرْحُ.

الشــرح

هذه الأحاديث ساقها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب بيان فضل المرابطة في سبيل الله، يعني أن يرابط الإنسان على الحدود، أو اتجاه العدو في سبيل الله عزَّ وجلَّ لإعلاء كلمة الله وحفظ دين الله، وحفظ المسلمين، فإن هذا من أفضل الأعمال.

وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «رباط في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها». وفي هذه الأحاديث دليلٌ على أن المرابط يجري عليه عمله إلى يوم القيامة، وأنه يأمن فتنة القبر، يعني: أن الناس إذا ماتوا ودفنوا أتاهم ملكان يسألان الرجل عن ربه، ودينه، ونبيه، إلا من مات مرابطًا في سبيل الله فإنه لا يأتيه الملكان يسألانه.

(١) رواه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم(٥١٠٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم(٣٤٨٤).

وقد بيّن النبي ﷺ الحكمة من ذلك فقال: «كفى ببارقه السيوف على رأسه فتنة[(١)]»، فالشهيد والمرابط كلاهما لا يأتيه الملكان في قبره فيسألانه، بل يأمن من ذلك، وهذا فضلٌ عظيمٌ وأجرٌ عظيمٌ.

وأما حديث أبي هريرة الأخير ففيه دليلٌ على فضيلة القتيل في سبيل الله، ولهذا أقسم النبي ﷺ أنه لولا أن يشق على المسلمين ما تخلف عن سرية قط، ولكنه يتخلف عليه الصلاة والسلام أحيانًا، لمصالح المسلمين وقضاء حوائجهم، وعدم المشقة عليهم، وأقسم ﷺ أنه يتمنى ويود أن لو قُتل في سبيل الله ثم أحيي فقتل، ثم أحيي فقُتل، فهذا يدل على فضل القتل في سبيل الله، ولا شك في هذا، والقرآن واضح في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

وهذه الحياة البرزخية ليست كحياتنا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. حياة لا نعلم طبيعتها، يعني لو فتحت على قبره لوجدت الإنسان ميتًا، لكنه عند الله حيٌّ يرزق يأكل من الجنة بكرة وعشية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، وأن يعيننا وإياكم على الجهاد في سبيله،

---

(١) رواه النسائي: كتاب الجنائز، باب الشهيد، رقم(٢٠٢٦).

جهاد أنفسنا، وجهاد أعدائنا، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٢٩٥ ـ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إلا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَكَلْمُهُ يَدْمَي: اللوْنُ لونُ دَمٍ، والريحُ ريحُ مِسْكٍ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٩٦ ـ وَعَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجلٍ مُسلِمٍ فُواقَ نَاقةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَو نُكِبَ نَكبَةً فإنَّها تجيء يَومَ القِيَامَةِ كَأَغزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُها الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالمِسكِ[(٢)]».

رواهُ أبوداودَ، والترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٩٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، بِشعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِن مَاءٍ عَذبَة، فَأَعجَبتهُ، فَقَالَ: لَو اعتَزَلتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعبِ، وَلَنْ أَفعَلَ حَتَّى أَستَأذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «لا تَفْعَلْ، فإنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفضلُ مِنْ صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ويُدْخِلَكُمْ الجَنَّةَ؟ اغزُوا فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجنَّة[(٣)]» رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم(٥١٠٧).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة، رقم(٢١٧٩)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله، رقم(١٥٨١).

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، رقم(١٥٧٤).

«والفُوَاقُ»: مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ.

١٢٩٨ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ، ما يَعْدِلُ الجِهَادَ في سبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ» فَأَعَادُوا عَلِيهِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا، كُلُّ ذلكَ يقُول: «لا تَسْتَطِيعُونَهُ!» ثمَّ قالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ لا يَفْتُرُ مِنْ صَلاةٍ ولا صِيَامٍ، حَتَّى يَرجِع المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله[١]» متفقٌ عليه. وهذا لفظ مسلمٍ.

وفي روايةِ البخاريِّ[٢]، أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدُه» ثمَّ قال: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أن تَدخُلَ مَسجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفتُرَ، وتَصُوم ولا تُفْطِر»؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَستَطيعُ ذَلِكَ؟!

١٢٩٩ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاش النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطيرُ عَلَى مَتنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هيعةً، أوْ فَزعَةً عَلَيْهِ، يَبْتَغِي القَتْلَ والمَوتَ مَظَانَّهُ، أو رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رأس شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَو بَطنِ وادٍ مِنْ هَذِهِ الأوديةِ يُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينِ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلا فِي خَيْرٍ[٣]» رواه مسلم.

١٣٠٠ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ مائَةَ دَرَجَةٍ أَعدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ[٤]»

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله، رقم(٢٥٧٩)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٤٩٠).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم(٢٥٧٧).
(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم(٣٥٠٣).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، =

رواه البخاريُّ.

١٣٠١ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً. وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» فَعَجِبَ لَهَا أبو سَعِيدٍ، فَقَالَ أعِدها عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مائَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ» قالَ: ومَا هِيَ يَا رسُولَ الله؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله[١]» رواه مسلمٌ.

الشرح

هذه أحاديث متعددة، كلها في فضل الجهاد في سبيل الله، فمنها أي من فضل الجهاد في سبيل الله، أن الإنسان إذا قتل شهيدًا، فإنه يأتي يوم القيامة، وجرحه يدمي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، يشهده الأولون والآخرون من هذه الأمة وغيرها، بل ويشهده الملائكة في ذلك اليوم المشهود، وهذا يوجب له الرفعة في الدنيا والآخرة.

ومنها: أن من قاتل «فُواقَ ناقة» وهو ما بين الحلبتين ـ فإنه تجب له الجنة، فإذا شهد الصف ولو بهذا المقدار يقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فإنها توجب له الجنة.

ومنها: أن الخارج للجهاد في سبيل الله، له مثل أجر الصائم القائم من حين أن يخرج إلى أن يرجع، والصائم القائم من حين أن يخرج المجاهد إلى أن

= رقم(٢٥٨١).

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة، رقم(٣٤٩٦).

يرجع هو الذي يساويه في الأجر عند الله عزَّ وجلَّ، ولكن ذلك لا يستطاع كما قاله النبي ﷺ وقاله الصحابة له، ومنها أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة في الجنة، كل درجة بينها وبين الأخرى مثل ما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

فهذه الأحاديث وأمثالها، وهي كثيرة جدًّا، تدل على فضل الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله يكون بالمال ويكون بالنفس، ولكنه بالنفس أفضل وأعظم أجرًا؛ لأن كل هذه الأحاديث التي سمعناها، كلها فيمن جاهد بنفسه، ومن جاهد بماله فهو على خير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه من جهَّزَ غازيًا في سبيل الله فقد غزا: أي كتب له أجر الغازي، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله، ابتغاء وجه الله، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٣٠٢ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي مُوسى الأشْعَرِي رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي رضي الله عنه وَهُوَ بِحَضْرةِ العَدُوِّ، يَقُول: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ» فقامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيئَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أَأَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هذا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ» ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ[1]» رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢١).

١٣٠٣ - وَعَنْ أَبِي عَبْسٍ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ جَبْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ[(١)]» رواهُ البخاريُّ.

١٣٠٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبْنُ فِي الضَّرعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيْلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٠٥ - وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ[(٣)]» رواه الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٠٦ - وَعَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيْلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا[(٤)]» متفقٌ عليه.

١٣٠٧ - وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَو طَروقَةُ فَحْلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ[(٥)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، رقم(٢٦٠٠).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠٥)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، رقم(١٥٥٧).

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ماجاء في فضل الحرس في سبيل الله، رقم(١٥٦٣).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه خير، رقم(٢٦٣١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١١).

(٥) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله، رقم(١٥٥٢).

١٣٠٨ ـ وَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ فَتًى مَن أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجَهَّزُ بِهِ، قَال: ائتِ فُلانًا، فإنَّه قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: أعْطِني الذي تَجَهَّزتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعطِيه الذي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلاَ تَحبِسي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ، لا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَك لَكَ فِيهِ[١]. رواه مسلمٌ.

١٣٠٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ إِلَى بَنِي لحيانَ فقال: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما، والأَجْرُ بَيْنَهُمَا[٢]» رواهُ مسلمٌ.

وفي روايةٍ لَهُ: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ ثُمَّ قَال للقَاعِدِ: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ في أَهْلِهِ ومَالِهِ بِخَيْرٍ كانَ لَهُ مِثْلُ نصْفِ أَجرِ الخارجِ[٣]».

١٣١٠ ـ وَعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِي ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَديدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ فَقَالَ: «أسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِل» فَأَسْلَمَ، ثمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَمِلَ قَليلاً وأُجِرَ كَثِيرًا[٤]». متفقٌ عليه، وهذا لفظُ البخاري.

١٣١١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ إلا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١٠).
(٢) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١٣).
(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١٤).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال، رقم(٢٥٩٧).

إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عشَر مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ[١]».

وفي روايةٍ: «لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ[٢]» متفقٌ عليه.

١٣١٢ ـ وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَغْفِرُ اللهُ لِلشهيدِ كُلَّ ذَنْبٍ إلا الدَّيْنَ[٣]» رواه مسلم.

وفي روايةٍ له: «القَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيءٍ إلا الدَّيْنَ[٤]».

١٣١٣ ـ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهم فَذَكَرَ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، والإيمانَ باللهِ أَفْضَلُ الأعمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنتَ صَابِرٌ، مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ، مُحْتَسِبٌ، مُقبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ إلا الدَّيْنَ، فإنَّ جِبْرِيلَ عليهِ السَّلامُ قالَ لِي ذلِكَ[٥]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، رقم(٢٦٠٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٤٨٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، رقم(٢٥٨٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٤٨٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم(٣٤٩٨).

(٤) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قُتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم(٣٤٩٩).

(٥) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قُتل في سبيل الله كثرت خطاياه إلا الدين، رقم(٣٤٩٧).

الشرح

هذه الأحاديث المتعددة، ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب الجهاد وفيها مسائل:

منها: أن النبي ﷺ كان حسن التدبير في أصحابه، فهذا الرجل الذي جاء إليه، وقال: إني أريد الغزو وليس عندي شيء، يعني يغزو به، فأحاله على رجل كان قد تجهز ليغزو ولكنه مرض، ثم إن الرجل ذهب إلى صاحبه فأعطاه جهازه وقال لامرأته: لا تتركي منه شيئًا، فإنك لا تتركي شيئًا فيبارك لنا فيه، فجهزه.

وفيها: أي في هذه الأحاديث دليلٌ على أن من جهَّزَ الغازي وأعطاه ما يكفي لغزوه فإنه كالذي يغزو، وأن من خلف الغازي في أهله بخير فله مثل أجره، ويدل على هذا أيضًا قضية بني لحيان، حيث أن النبي ﷺ أمرهم أن يخرج منهم واحد ويبقى واحد يخلف الغازي في أهله ويكون له نصف أجره؛ لأن النصف الثاني للغازي.

وفي هذه الأحاديث أيضًا من فضائل الجهاد أن أبواب الجنة تحت السيوف بمعنى أن من قاتل فإنه يكون قتاله سببًا لدخول الجنة من أبوابها، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن في الجنة بابًا يُقال له باب الجهاد يدخله من يجاهد في سبيل الله.

وفي هذه الأحاديث: أن الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلا الدَّين، يعني إلا دَين الآدمي، فإن الشهادة لا تكفره؛ وذلك لأن دَين الآدمي لابد من إيفائه إما في الدنيا وإما في الآخرة وفي هذا الحديث التحذير من التساهل

في الدَّيْن وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل في الدين ولا يستدين إلا عند الضرورة، وليس عند الحاجة، إنما عند الضرورة القصوى؛ لأن النبي ﷺ لم يأذن للرجل الذي قال زوجني، فقال: «**أصدق المرأة**» قال: ليس عندي إلا إزاري، قال: «**إزارك لا ينفعها إن أعطيتها إياه بقيت بلا إزار، وإن أبقيته عليك بقيت بلا مهر، التمس لو خاتمًا من حديد**[1]» فالتمس فلم يجد، فقال: «**زوجتكها بما معك من القرآن**» ولم يقل استقرض من الناس، مع أنه زواج، حاجة ملحة، لكن لم يأذن له الرسول ﷺ بل لم يرشده إلى الاستدانة؛ لأن الدَّين خطير جدًّا، وقد روي عن النبي ﷺ بسند فيه نظر: «**أن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**[2]» فالأمر مهم فلا تستهن بالدين، الدين هَمٌّ في الليل وذلٌّ في النهار، فالإنسان مهما أمكنه يجب أن يتحرز من الدين، وأن لا يسرف في الإنفاق؛ لأن كثيرًا من الناس تجده فقيرًا ثم يريد أن ينفق على نفسه وأهله كما ينفق الأغنياء، فيستلف من هذا، ويستلف من هذا، أو يستدين، أو يرابي، وهذا غلط عظيمٌ، يعني لو لم يكن لك إلا وجبة واحدة في الليل والنهار، فلا تستلف، اصبر، وقل: اللهم اغنني. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر القلب، رقم(٤٦٤٢)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، رقم(٢٥٥٤).

(٢) رواه أحمد (٢/٥٠٨)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال نفس المؤمن معلقة بدينه، رقم(٩٩٨)، وابن ماجه: كتاب الأحكام، باب التشديد في الدين، رقم(٢٤٠٤).

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. أما تهاون بعض الناس ـ نسأل الله العافية ـ ويستدين من أجل أن يفرش كل البيت فراشًا حتى الدرج فهذا غلط أو يستدين من أجل أن يأخذ سيارة فخمة، مع أنه يكفيه سيارة مثلاً بعشرين ألفًا، يقول: لا بمائة ألف، وهو فقير.

هذا من سوء التصرف ومن ضعف الدين ومن قلة المبالاة؛ لأن الدَّين لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله، فكيف تستدين؟ إلا عند الضرورة وأقول: عند الضرورة ليس عند الحاجة يعني حتى لو كنت محتاجًا وتحب كماليات، لا تستدِنْ، لا تشتر شيئًا ليس معك ثمنه، اصبر حتى يرزقك الله ثم اشتر على قدر الحال ولهذا من الأمثال العامية الصحيحة (أمدد رجلك على قدر لحافك) إن أمددتها أكثر تعرضت للبرد والشمس وغير ذلك.

ففيه التحذير من الدَّين وأنه لا ينبغي للإنسان أن يستدين.

والدَّين دين سواء كان إجارة أو ثمن مبيع، وبعض الناس من السفهاء قد يأتيه ضيف وحاله معسرة وقد يكون عليه دين، فيهم بإكرام ضيفه فيذبح له ويتكلف للضيف، بل إن بعضهم قد يطلق زوجته من أجل أن يذبح لضيفه، يقول الضيف، لا تكلف نفسك ولا تذبح، فيقول: لا. . ويحلف بالطلاق أنه يذبح، وأرى أن هؤلاء يحتاجون إلى توعية وهذه مسئولية إخوتنا الدعاة، جزاهم الله خيرًا.

وهنا مسألة: بعض الناس يكون عليه دين ثم يتصدق ويقول: أحب هذه الصدقة وهذا حرام كيف تتصدق وأنت مدين؟ أَدِّ الواجب أولاً، ثم التطوع ثانيًا، لأن الذي يتصدق ويستدين كالذي يبني قصرًا ويهدم مصرًا،

أنت الآن مطالب مطالبة واجبة أن توفي دينك، كيف تتصدق، أوفِ ثم تصدق.

وفي هذه الأحاديث أيضًا: أن الجهاد بدون إسلام لا ينفع صاحبه؛ لأن الرجل الذي استأذن من النبي ﷺ وقال: يا رسول الله **أجاهد** ثم أسلم، أم أسلم ثم أجاهد؟ قال: «**أسلم ثم جاهد**» فأسلم ثم جاهد، وهكذا جميع الأعمال الصالحة يشترط فيها الإسلام، لا يقبل الله من أحد صدقة ولا حجًّا ولا صيامًا ولا أي شيء وهو غير مسلم فإذا رأينا - مثلاً - رجلاً لا يصلي ولكنه كثير الصيام، كثير الصدقات، بشوشًا للناس، أخلاقه طيبة لكنه لا يصلي، فاعلم أن كل عمل يعمله لا ينفعه يوم القيامة حتى الصيام يصوم رمضان ولا يصلي، ليس له صيام، يحج ولا يصلي ليس له حج، بل يحرم عليه أن يذهب إلى مكة وهو لا يصلي؛ لأن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، فالإسلام شرط لكل عبادة، ولا تقبل أي عبادة إلا بالإسلام ولا تصح أي عبادة إلا بالإسلام، والله الموفق.

* * *

١٣١٤ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رجُلٌ: أينَ أنَا يَا رَسُولَ اللهِ إنْ قُتِلْتُ؟ قالَ: «فِي الجَنَّةِ» فَألقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يدِهِ، ثُمَّ قَاتَل حَتَّى قُتِلَ[1]. رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥١٨).

١٣١٥ - وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنهما قالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المشْرِكِينَ إِلَى بَدرٍ، وَجَاءَ المُشرِكُونَ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيءٍ حَتَّى أكُونَ أَنَا دُونَهُ» فَدَنَا المُشرِكُونَ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَواتُ والأرضُ» قالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمواتُ والأرضُ؟ قال: «نَعَم» قالَ: بخٍ بخٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ إلا رجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ منهُنَّ، ثم قَالَ لئن أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إنَّها لَحَياةٌ طَويلةٌ! فَرَمَى بِمَا مَعَهُ منَ التَّمْرِ، ثم قَاتَلَهُم حَتَّى قُتِلَ[1]. رواهُ مسلمٌ.

«القَرَن» بفتح القاف والراء: هو جُعبَةُ النُّشَّابِ.

١٣١٦ - وعَنْهُ رضي الله عنه قال: جَاءَ نَاسٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرآنَ والسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبعِينَ رَجلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ، فيهم خَالِي حَرَامٌ، يَقرءونَ القُرآنَ، وَيَتَدَارَسُونَه بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وكانُوا بِالنَّهارِ يَجيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، ويَحْتَطِبُونَ فَيَبِيْعُونَه، ويَشترُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأهْلِ الصُّفَّةِ، ولِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُم النَّبِيُّ ﷺ، فَعَرَضُوا لَهم فَقتلُوهمْ قَبلَ أَنْ يبلغُوا المَكانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ من خلفهِ، فطعنهُ بِرمحٍ حتَّى أنْفذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِخْوانَكم قَد قُتِلوا وإِنَّهُمْ قالُوا: اللَّهُمَّ

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢٠).

بَلِّغ عَنَّا نَبِيَّنا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ وَرَضِيتَ عَنَّا» متفقٌ عليه[١]، وهذا لفظ مسلم.

١٣١٧ ـ وَعَنْهُ قالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قتالِ بَدرٍ، فقَال: يَا رَسُولَ اللهِ غِبتُ عَن أوَّلِ قتالٍ قَاتَلتَ المُشركينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَني قتال المُشركين ليَرَيَنَّ الله ما أصنعُ. فَلما كان يَومُ أُحُدٍ انكشَفَ المسلمون، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إني أعتذرُ إليْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤلاءِ ـ يَعْنِي أصحابَهُ ـ وأبرأُ إليكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤلاءِ ـ يعني المُشركين ـ ثمَّ تَقَدَّمَ فاستقْبَلَهُ سَعدُ بنُ مُعَاذٍ فقال: يَا سعدُ بن مُعَاذِ الجَنَّةُ وربِّ النَّضِرِ، إنِّي أجدُ ريحَهَا مِنْ دُونِ أحُدٍ، قال سعدٌ: فمَا استطَعتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضعًا وثَمَانِينَ ضربَةً بالسَّيفِ، أو طَعنَةً بِرُمْحٍ أوْ رَميَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَد قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشركونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إلا أُخْتُهُ بِبَنانِهِ قَال أَنَسٌ: كُنَّا نَرى ـ أو نَظُنُّ ـ أن هذه الآية نَزلتْ فيهِ وفي أشبابهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[٢] متفقٌ عليهِ وقد سبق في باب المُجَاهَدَةِ.

١٣١٨ ـ وعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «رَأيتُ الليلةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَاني، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاني دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وأَفْضَل، لَمْ أَرَ قَطُّ أحسنَ منهَا، قَالا: أمَّا هذه الدار فدارُ الشهداءِ[٣]» رواه البخاري وهو بعضٌ من

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢٢).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا، رقم(٢٥٩٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢٣).
(٣) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم(١٢٩٧).

حديث طويل فيه أنواع العلم سيأتي في باب تحريم الكذب إن شاء الله تعالى.

١٣١٩ - وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنتَ البَرَاء وهي أُمُّ حَارِثَة بن سُرَاقَةَ، أتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسولَ اللهِ ألا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ - وكان قُتِلَ يوم بَدْرٍ - فإنْ كانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وإن كانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدتُ عليه في البُكاءِ، فقال: «يَا أُمَّ حَارِثَة إنَّها جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإنَّ ابْنَكَ أصَابَ الفِرْدوسَ الأعْلى[1]» رواه البخاريُّ.

١٣٢٠ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قالَ: جِيءَ بأبي إلى النَّبيِّ ﷺ قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عنْ وَجْهِهِ فَنَهَاني قَومٌ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا زالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِها[2]» متفقٌ عليه.

١٣٢١ - وَعَنْ سَهلِ بن حُنَيْفٍ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تعالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وإنْ ماتَ على فِراشِهِ[3]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث في فضل الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وأن لهم الجَنَّة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله، رقم(٢٥٩٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم(١٢١١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن طرم، رقم(٤٥١٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٥٣٢).

وذكر المؤلف - رحمه الله - أحاديث كثيرة في هذا الباب تدل على صدق الصحابة رضي الله عنهم، وصدق إيمانهم. يخبرهم النبي ﷺ بما للشهداء فيدعون ما بأيديهم من الطعام ويتركونه ويتقدمون إلى الجهاد في سبيل الله ثم يُقتلون فيلقون الله عزَّ وجلَّ راضين عنه وهو راضٍ عنهم جلَّ وعلا، وهذا لا شك أنه من فضائل الصحابة رضي الله عنهم التي لا يلحقهم بعدهم أحد فيها.

هذا عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه لَمَّا قال النبي ﷺ يوم بدر: «**من قاتلهم محتسباً مقبلاً غير مدبر وجبت له الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض**» قال: يا رسول الله، جنة عرضها كعرض السماء والأرض؟ قال: «**نعم**» فأخرج تمرات من قرنه الذي يوضع فيه الطعام عادةً ويأخذه المجاهد، ثم جعل يأكل، ثم استطال الحياة رضي الله عنه، وقال: والله لإن بقيت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، ثم تقدم فقاتل وقُتل رضي الله عنه وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة.

وكذلك أنس بن النضر رضي الله عنه لقي سعد بن معاذ في غزوة أحد، وأخبره بأنه يجد ريح الجنة دون أحد، قال ابن القيم: فهذه من الكرامات التي يكرم الله بها من يشاء من عباده أن يجد ريح الجنة وهو في الأرض والجنة في السماء، لكن من أجل أن الله يثبت يقينه حتى يتيقنها وكأنها أمر محسوس عنده فقاتل حتى قُتل؛ لأنه رضي الله عنه تأخر عن غزوة بدر، وسبب ذلك أن كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم لم يخرجوا في بدر لأنهم إنما خرجوا من أجل عير أبي سفيان التي جاء بها من الشام يريد بها مكة، ولم يخرجوا لقتال،

ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم من غير ميعاد، فتخلف رضي الله عنه لأنهم لم يؤمروا بالخروج إلى الغزو، وإنما قال الرسول ﷺ: من شاء أن يخرج معنا فليخرج، فخرج من خرج وتخلّف من تخلّف، لكنه قال رضي الله عنه: حين تخلف عن هذه الغزوة ـ غزوة بدر ـ لأن أشهدني الله مشهدًا ـ يعني غزوًا في سبيل الله ـ ليرين الله مني ما أصنع، ثم تقدم وجاهد وجالد وقاتل حتى قُتل، ووجدوا به بضعًا وثمانين أو بضعًا وتسعين ضربة في جسد واحد، مما يدل على أنه قد غامر وخاض صفوف المشركين، لم تعرفه إلا أخته ببنانه، وقال رضي الله عنه وهو يجاهد: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه الذين انكشفوا في غزوة أحد، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين[1].

فهذه القصص وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن الله اختار لنبيه ﷺ أفضل الخلق وأنه مصداق قوله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . . .**[2]» نسأل الله أن يبلغنا وإياكم منازل الشهداء، وأن يجمع بيننا وبينهم في جنات النعيم.

* * *

١٣٢٢ ـ وَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعطِيَهَا وَلَو لم تُصِبْهُ[3]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ . . .﴾، رقم(٢٨٠٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، رقم(٢٤٥٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم، رقم(٤٦٠١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٥٣١).

١٣٢٣ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إلا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مسِّ القرصةِ[١]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٢٤ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن أبي أوفَى رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ في بعضِ أيَّامِهِ التي لَقِيَ فيها العدُوَّ انتظرَ حتى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فقال: «أَيُّها الناسُ، لا تتمنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العافيةَ، فَإِذَا لقيتُمُوهم فَاصْبِرُوا، وَاعلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السيوفِ» ثم قال: «اللهمَّ منزِلَ الكتابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وانْصُرنَا عَلَيْهِمْ[٢]» متفقٌ عليه.

١٣٢٥ - وعَنْ سَهْلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «ثِنتَانِ لا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البأسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا[٣]» رواهُ أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٢٦ - وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا غَزَا قال: «اللَّهُمَّ أنتَ عضُدي ونصيري، بكَ أجولُ، وبِكَ أَصُولُ، وبِكَ أُقَاتِلُ[٤]» رواهُ أبوداود، والترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، رقم(١٥٩١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم...، رقم(٢٧٤٤)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر، رقم(٣٢٧٦).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء، رقم(٢١٧٨).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء، رقم(٢٢٦٢)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، رقم(٣٥٠٨).

١٣٢٧ ـ وَعَنْ أَبي مُوسى رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إنَّا نَجعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِم(١)» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٢٨ ـ وَعَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «الخَيلُ معقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخيرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ(٢)» متفقٌ عليه.

١٣٢٩ ـ وَعَنْ عُرْوَةَ البَارِقِيِّ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأجْرُ، والمَغنمُ(٣)» متفقٌ عليه.

١٣٣٠ ـ وَعَنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «من احتبسَ فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعدِهِ، فإنَّ شَبَعَهُ، وريَّهُ وروثه، وبوله في ميزانه يوم القيامة(٤)» رواه البخاري.

١٣٣١ ـ وعَن أبي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ بِنَاقَةٍ مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بِهَا يومَ القِيَامَةِ سبعُمائة نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ(٥)» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤١٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا خاف قومًا، رقم(١٣١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، رقم(٢٦٣٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير، رقم(٣٤٧٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، رقم(٢٦٤٠)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير، رقم(٣٤٨٠).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسًا في سبيل الله، رقم(٢٦٤١).

(٥) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله، رقم(٣٥٠٨).

١٣٣٢ ـ وعَنْ أَبي حماد ويُقالُ: أبو سُعاد، ويُقَالُ: أبو أَسَدٍ، ويقال: أبُو عامِرٍ ويقالُ: أبو عمْرو، ويُقال: أَبُو الأسودِ، ويُقالُ: أبو عَبْسٍ ـ عُقْبَةَ بن عامِرٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنبَرِ يَقُولُ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استطعتُمْ من قوةٍ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، ألا إن القُوَّةَ الرَّميُ، ألا إنَّ القوةَ الرَّمْيُ»[1] رواه مسلمٌ.

الشرح

هذه أحاديث متنوعة ساقها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ بعضها في بيان فضيلة الشهداء، وقد سبقت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع، وبعضها في فضل المشاركة في الجهاد بالراحلة والسهم.

فأما الأول فقد ذكر النبي ﷺ أن الإنسان إذا استشهد في سبيل الله فإن ما يصيبه من القتل يكون كالقرصة يعني كقرصة النملة أو الذرة أو ما أشبه ذلك؛ لأن الله تعالى يسهل عليه القتل كما أنه يسهل عليه خروج الروح؛ لأن الروح تبشر برضوان من الله عزَّ وجلَّ وبالجنة فيسهل عليها الخروج، كما في غيرها من الأموات.

ومنها: أن النبي ﷺ حينما خطب الناس بين الحكم في قوله: **«لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا فإن الجنة تحت ظلال السيوف»** والشاهد من هذا الحديث قوله: **«الجنة تحت ظلال السيوف»**.

ومنها: أي من فضائل الجهاد في سبيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن الإنسان الذي

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم(٣٥٤١).

يشارك براحلة يكتب له بذلك أجرها، كما قال النبي ﷺ: «الخيل معقودٌ في نواصِيها الخير إلى يوم القيامة».

والمراد بالخيل: خيل الجهاد؛ لأنه فسر هذا الخير بقوله: «الأجر والمغنم»، وهذا إنما يكون في خيل الجهاد فخيل الجهاد في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. ويحتمل أن يكون الحديث عامًا، أي الخيل كلها سواء كانت ممن يجاهد عليه أم لا، للعموم.

ومنها: أيضًا أن رجلاً جاء بناقة مخطومة إلى رسول الله ﷺ فقال: هذه يا رسول الله في سبيل الله، فأخبره النبي ﷺ أن الله أعد له يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة؛ لأن الله تعالى يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

ومنها: أي من الجهاد في سبيل الله ـ المساعدة في السهام: الرمي ولهذا خطب النبي ﷺ ذات يوم، فقال في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». والرمي في كل وقت بحسبه، ففي عهد الرسول ﷺ يكون الرمي بالقوس بالسهام وفي وقتنا الآن يكون الرمي بالقنابل والصواريخ وما أشبهه؛ لأن كل رمي يكون بحسب الوقت الذي يكون فيه الإنسان. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله بالمال والنفس، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٣٣٥ - وعنْهُ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ يُدخِلُ بالسهم الواحدِ ثَلاثَةَ نَفرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يحتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيرَ، والرَّامِي بِهِ، ومُنْبِلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَركَبُوا. وَمَنْ تَرَكَ الرَّميَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّها نِعْمَةٌ تَرَكَهَا» أَوْ قَال: «كَفَرَهَا[١]». رواه أبوداود.

١٣٣٦ - وَعَنْ سَلَمَةَ بن الأكوعِ رضي الله عنه قالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ فقَالَ: «ارمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كانَ رَامِيًا[٢]» رواه البخاري.

١٣٣٧ - وَعَنْ عمْرِو بنِ عَبْسَةَ رضي الله عنه قَال: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ[٣]» رواهُ أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٣٨ - وعَنْ أَبِي يحيى خُرَيْم بنِ فاتِكٍ رضي الله عنه: قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً في سبيل اللهِ كُتِبَ لَهُ سَبْعُمائَةِ ضعفٍ[٤]» رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٣٣٩ - وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَومًا في سَبِيلِ اللهِ إلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عن النار سبْعِينَ خَرِيفًا[٥]»

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم(٣٥٤٢).
(٢) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم(٣٥٤٣).
(٣) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في الرمي، رقم(٢١٥٢)، والنسائي: كتاب الخيل، باب تأديب الرجل فرسه، رقم(٣٥٢٢).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم(٢٦٨٤).
(٥) رواه أحمد (٣/٢٦)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم(١٥٦٢).

متفقٌ عليه.

١٣٤٠ ـ وعَنْ أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ صامَ يَومًا في سبيل الله جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّار خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ[١]» رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٤١ ـ وَعَنْ أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، ماتَ على شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ[٢]» رواه مسلمٌ.

١٣٤٢ ـ وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في غَزَاةٍ فَقَالَ: «إنَّ بالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلا كانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ[٣]».

وفي روايةٍ: «حَبَسَهُمُ العُذرُ[٤]». وفي روايةٍ: «إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأجْرِ[٥]» رواهُ البخاريُ من روايةِ أنس[٦]، ورواه مسلمٌ[٧] من رواية جابرٍ واللفظ له.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله، رقم(١٥٥٠)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله تعالى، رقم(٣١٣٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم(٢٦٢٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم(١٩٤٨).

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله، رقم(١٥٤٩).

(٤) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغفر ولم يحدث نفسه بالغزو، رقم(٣٥٣٣).

(٥) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض، رقم(٣٥٣٤).

(٦) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، رقم(٢٦٢٧).

(٧) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره، رقم(٢٨٩٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم(٣٥٢٤).

١٣٤٣ ـ وَعَنْ أَبي مُوسى رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمْ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ ليُرَى مَكَانُهُ[1]؟

وفي روايةٍ: وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً.

وفي روايةٍ: وَيُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ في سبيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سبيلِ اللهِ» متفقٌ عليهِ.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان أمورٍ في الجهاد في سبيل الله، منها الرمي، وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «ألا إن القوة الرمي» كررها ثلاثًا.

وفي الأحاديث التي ساقها المؤلف في هذا الباب حث على تعلم الرمي، وعلى أن من ترك الرمي بعد أن منَّ الله تعالى عليه به فإنها نعمة كَفَرَهَا، وفي بعض الأحاديث أن النبي ﷺ تبرأ منه.

وفي بعض الأحاديث أيضًا إنها «ستفتح عليكم أرضون وسيكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه».

ففي هذه الأحاديث وأشباهها حث على تعلم الرمي وعلى أن الإنسان ينبغي له أن يتعلم كيف يرمي ولو بالأسلحة الخفيفة، لأنه لا يدري ماذا يحدث له، حتى إن النبي ﷺ أجاز العوض في المسابقة في الرمي، يعني مثلاً رمى اثنان بالبندقية أو شبهها من السلاح ويجعلون بينهما عوضًا، من يرم منهم يأخذه،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا مغنم، رقم(٣٥٢٩).

هذا أيضًا لا بأس به وجائز، لما في ذلك من الحث على تعلم الرمي، وفي هذه الأحاديث أن النبي ﷺ قال: «اركبوا وارموا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا»؛ لأن الرمي يدركه الإنسان الراكب والراجل، أما الركوب فلا يدركه إلا من ركب، ولهذا كان الرمي أحب إلى النبي ﷺ من الركوب.

وفي هذه الأحاديث أيضًا دليلٌ على فضيلة الصيام في الجهاد في سبيل الله وأن الإنسان إذا صام يومًا في سبيل الله باعد الله بين وجهه وبين النار سبعين خريفًا: يعني سبعين سنة.

وفي هذه الأحاديث دليلٌ على وجوب إخلاص النية لله، فإن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل زورًا ويُقاتل غضبًا - يعني عصبية لقومه - فمن في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» والله الموفق.

* * *

١٣٤٤ - وَعَنْ عَبدِ اللهِ بن عَمرِو بن العَاصِ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلا كانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَي أُجورِهِم، وَمَا مِنْ غازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وتُصَابُ إلا تَمَّ أُجورُهُم[١]» رواهُ مسلمٌ.

١٣٤٥ - وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وجَلَّ[٢]» رواهُ

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، رقم(٢١٢٧).
(٢) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في فضل القفل في سبيل الله، رقم(٢١٢٨).

أبو داود بإسناد جيدٍ.

١٣٤٦ - وعَنْ عبدِ اللهِ بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ[١]» رواهُ أبوداود بإسنادٍ جيدٍ.

«القَفْلَةُ»: الرُّجُوعُ، والمراد: الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بعْدَ فَرَاغِهِ، ومعناه: أنَّهُ يُثابُ في رُجُوعِهِ بعد فَرَاغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

١٣٤٧ - وعَن السائب بن يزيد رضي الله عنه قالَ: لَمَّا قدمَ النبي ﷺ مِنْ غزوَةِ تَبُوك تلقَّاهُ الناسُ، فتلقَّيْتُهُ مع الصبيان على ثنية الوداع[٢]، رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ بهذا اللفظ، ورواه البخاريُّ[٣] قال: ذَهَبْنَا نتَلَقَّى رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إلى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

١٣٤٨ - وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يَجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا في أهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ[٤]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٤٩ - وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأموالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ وَأَلسِنَتِكُمْ[٥]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في التلقي، رقم(٢٣٩٨).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب استقبال الغزاة، رقم(٢٨٥٣).
(٣) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم(٢١٤٢).
(٤) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم(٢١٤٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم(٣٠٤٥).
(٥) رواه أحمد (٣/ ١٢٤)، وأبوداود: كتاب الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء، رقم(٢٢٨٣)، والترمذي: كتاب السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، رقم(١٥٣٨).

١٣٥٠ ـ وعَنْ أَبِي عَمرٍو ويقالُ: أبو حكيم النُّعَمَانِ بنِ مُقرِّنٍ رضي الله عنه قالَ: شَهِدتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إذَا لَمْ يُقَاتِلْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وتَهبِ الرِّيَاحُ، وَيَنزِلُ النَّصْرُ، رواه أبوداود، والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٥١ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، واسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فإذا لَقيتُمُوهم، فَاصبروا[١]» متفقٌ عليه.

١٣٥٢ ـ وعنْهُ وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قالَ: «الحَرْبُ خُدْعَةٌ[٢]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث هي بقية أحاديث كتاب الجهاد، وفيها الحث على الغزو، وأن الإنسان إذا لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ولم يخلف غازيًا في أهله وماله فإنه تصيبه قارعة قبل يوم القيامة، وهذه القارعة ربما تفسر بما سبق في الحديث، «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».

وفيها: أيضًا الحث على جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان.

بالمال: أي يبذل الإنسان مالاً يساعد به المجاهدين أو يشتري به سلاحًا أو غير ذلك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، رقم(٢٨٠٥)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، رقم(٣٢٧٣).

والنفس: أن يخرج بنفسه يقاتل. واللسان أن يهجوهم بالقصائد والأشعار؛ لأن هجو المشركين يؤثر عليهم ويكون ذكرى سيئة في حقهم إلى ما شاء الله، مثلاً إلى الآن ونحن نسمع هجاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما رضي الله عنهما للمشركين.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ فضيلة الجهاد في سبيل الله وأنه من أفضل الأعمال، وقد مضت أحاديث كثيرة في هذا المعنى، وأطال المؤلف رحمه الله في نقل الأحاديث في ذلك؛ لأن باب الجهاد من أهم أبواب الدين، حتى إن النبي ﷺ قال: «ذروة سنامه ـيعني أي ذروة سنام الإسلام ـالجهاد في سبيل الله» لما فيه من إعلاء كلمة الله ونصر الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من المصالح العظيمة. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٢٣٥ـ باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

١٣٥٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمسةٌ: المَطعُونُ وَالمَبْطُونُ، والغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ[1]» متفقٌ عليه.

١٣٥٤ ـ وعنهُ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُم؟ قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ. قالَ: «إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إذًا لَقَليلٌ!» قالُوا: فَمَنْ همْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَال: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. ومَنْ مَاتَ فِي البَطَنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُون فَهُوَ شَهِيدٌ، والغَرِيقُ شَهيدٌ[2]» رواهُ مسلمٌ.

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب بيان جماعة من الشهداء يعني غير المقتولين في سبيل الله، والمقتول في سبيل الله هو أعلى أنواع الشهداء، أما الشهداء الآخرون فهم كما أشار إليهم المؤلف رحمه الله هم شهداء في الآخرة، في أحكام الآخرة، لا في أحكام الدينا، ويتبين ذلك بأن الشهيد

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتل، رقم(٢٦١٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، رقم(٣٥٣٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، رقم(٣٥٣٩).

المقتول في سبيل الله شهيد في الدنيا والآخرة، فهو شهيد في الدنيا إذا قتل ومات، فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن، ولا يأتيه الملكان اللذان يسألانه عن ربه وعن دينه، وعن نبيه، فلا يغسل من أجل أن يبقى أثر الدم عليه، أثر الدم الذي قتل في سبيل الله من أجله، فيأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك، لذلك قال العلماء: يحرم أن يغسل، ويحرم أن يغسل دمه، بل يبقى على ما هو عليه.

ولا يكفن وإنما يكفن في ثيابه التي قتل فيها، حتى يأتي يوم القيامة بهذه الثياب، ولا يصلى عليه؛ لأن الصلاة شفاعة، كما قال النبي ﷺ في الصلاة على الميت: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**[(١)]»، والمقتول في سبيل الله لا يحتاج لأن يشفع له أحد؛ لأن الشفاعة له كونه يعرض رقبته لأعداء الله إعلاءً لكلمة الله.

ولهذا علل النبي ﷺ عدم فتنته في قبره، فقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**[(٢)]» أي كفى بها اختبارًا، وصدق رسول الله ﷺ.

فيكفن في ثيابه ليأتي بها يوم القيامة ولا يصلى عليه، ونظير هذا في بعض الوجوه الرجل إذا مات محرمًا، فإنه يغسل بماء وسدر، ولا يحنط، ولا يقرب طيبًا، ولا يغطي رأسه، ولا يكفن في ثياب غير ثياب الإحرام؛ التي

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون، رقم(١٥٧٧).
(٢) سبق تخريجه.

كانت عليه؛ لأنه يبعث يوم القيامة ملبيًا، يبعث يقول: لبيك اللهم لبيك.

أما في الآخرة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

أما بقية الشهداء المذكورين في الحديث فهم شهداء في الآخرة، لا في الدنيا، ومع ذلك فإنهم لا يساوون الذين قتلوا في سبيل الله فهم الشهداء في الدنيا والآخرة، ولكنهم شهداء، ولكل درجات مما عملوا، المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، وهؤلاء أربعة:

الأول: المطعون: يعني من الذي مات بالطاعون، والطاعون وباء فتاك مُعْدٍ - نسأل الله العافية - إذا وقع في أرض فإنه يُهلك، ولهذا قال النبي ﷺ في الطّاعون: «**إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه**(١)»؛ يعني: كيف تفر من الله عزَّ وجلَّ، وانظر إلى قوم ألوف خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال الله لهم: موتوا، فماتوا، هربوا من الموت، لكن الله تعالى أراد أن يبين لهم أنه لا مفر من الله عزَّ وجلَّ، قال الله لهم موتوا فماتوا ثم أحياهم، ليتبين أنه لا مفر من قدر الله عزَّ وجلَّ، لكن يشرع لنا أن نفعل الأسباب التي أمرنا بها، أما التي نهينا عنها فلا،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم(٥٢٨٧).

ولهذا قال: «إذا وقع وأنتم في أرض فلا تخرجوا منها فرارًا منه» هذا المطعون إذا مات بالطاعون كان شهيدًا.

الثاني: المبطون: والمبطون هو الذي أصابه داء البطن ويشبه ـ والله أعلم ـ ما يسمونه الآن بالغاشية، غاشية تصيب الإنسان في بطنه ثم يموت، هذه إذا مات بها الإنسان فإنه يكون شهيدًا.

الثالث: الغريق: الذي يغرق، إما في أمطار عظيمة، أو يقع في النهر أو في البحر أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون من الشهداء في الآخرة، ولهذا فإنَّ الإنسان مأمور أن يتعلم السباحة حتى إذا حصل مثل هذه الأشياء أمكنه أن يتوقى منه.

وأما الرابع: من مات بهدم: يعني رجل انهدم عليه البيت، أو الجدار، أو ما أشبه ذلك. فإنه يكون شهيدًا؛ لأن هؤلاء كلهم ماتوا بحوادث مميتة بريئة، وهل يُقاس عليهم مثلهم كالذي يموتون في حادث أو في صدم أو ما أشبه ذلك؟ الله أعلم، قد يُقاسون على هذا، ويُقال لا فرق بين أن ينهدم الجدار، أو أن تنقلب السيارة؛ لأن كل حادث مات به الإنسان، فيحكم على من مات بهذا الحادث أنه شهيد، لكننا لا نجزم به؛ لأن مسائل ـ الجزاء عقوبة أو مثوبة ـ ليس فيها قياس، فالحاصل أن هناك شهداء غير المقتولين في سبيل الله، ومن ذلك أيضًا من مات في سبيل الله، وإن لم يقتل فهو شهيد، لكنه شهيد في الآخرة، كرجل خرج مع المجاهدين، ومات في الطريق موتة طبيعية، أما في الدنيا فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه، ويدفن مع الناس،

كالشهداء الذين ذكرهم الرسول ﷺ وهم من مات بهدم، أو غرق، أو طاعون، أو بطن. والله الموفق.

* * *

١٣٥٥ ـ وعَنْ عَبْدِ الله بن عَمروٍ بن العاصِ رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهيدٌ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٣٥٦ ـ وعَنْ أَبي الأعْوَرِ سَعِيد بن زَيْدِ بنِ عمرو بن نُفَيْلٍ، أَحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالجَنَّةِ رضي الله عنهم، قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شهيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهيدٌ[(٢)]». رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٥٧ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالي؟ قالَ: «فَلا تُعْطِهِ مَالكَ» قالَ: أَرَأيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَال: «قَاتِلْهُ» قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قالَ: «فَأَنْتَ شَهيدٌ» قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قال: «هُوَ فِي النَّارِ[(٣)]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، رقم(٢٣٠٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره، رقم(٢٠٢).

(٢) رواه أحمد (١/ ١٩٠)، وأبوداود: كتاب السنة، باب في قتل اللصوص، رقم(٤١٤٢)، والترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، رقم(١٣٤١)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، رقم(٤٠٢٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره، رقم(٢٠١).

الشـــرح

هذه بقية الأحاديث في بيان ثواب الشهداء في الآخرة، منها ما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**». يعني إذا أتاك أحد يريد أخذ مالك فدافعت عنه حتى قتلت فأنت شهيد.

وفي الحديث الأخير، أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء أحد يريد أخذ مالي، قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني، قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني، قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته، قال: «**هو في النار**».

فدل ذلك على أن الإنسان يدافع عن ماله إذا جاء أحد يريد أخذ المال، فإنك تدافع، فإذا لم يندفع إلا بالقتل فاقتله، وإن اندفع بدون ذلك فلا تقتله، يعني لو أمكن أن تكون أنت أقوى منه، وتشد يديه ورجليه، وتأسره فلا تقتله؛ لأنه لا حاجة لقتله، وإذا كان لا يمكن فقاتلك فقاتله، ولو قتلته، وإن خفت أن يبادرك بالقتل فاقتله، ولا حاجة للمقاتلة، يعني لو جاء إليك يسعى يشتد ومعه سلاح قد شهره فاقتله؛ لأنك إن لم تبادره قتلك، فإذا قتلته فإنه في النار، وإن قتلك هو فأنت شهيد.

وكذلك في حديث سعيد بن زيد، «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد**». حتى لو أن أحدًا أراد أن يفتنك في دينك، أو يهتك عرضك أو ما أشبه ذلك، فقاتلته فقتلك

فأنت شهيد، وإن قتلته أنت فهو في النار.

ولهذا قال العلماء: إن دفع الصائل ولو أدى إلى قتله جائز؛ لأنه إذا صال عليك فلا حرمة له، لكن إذا اندفع بما دون القتل فلا تقتله.

نسأل الله تعالى أن يعيذنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها ما بطن.

* * *

٢٣٦ـ باب فضل العتق

قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ـ١٣].

١٣٥٨ ـ وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ(١)» متفقٌ عليه.

١٣٥٩ ـ وَعَنْ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمانُ باللهِ، والجِهَادُ في سبيل الله» قالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِندَ أَهْلِهَا، وَأكثَرُهَا ثَمَنًا(٢)» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب فضل العتق).

العتق هو: تحرير الرقاب، يعني أن يكون هناك إنسان مملوك فيأتي شخص فيعتقه، ويحرره ابتغاء وجه الله عزَّ وجلَّ، فهذا من أفضل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ـ١٧].

---

(١) رواه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى أو تحرير رقبة، رقم(٦٢٢١)، ومسلم: كتاب العتق، باب فضل العتق، رقم(٢٧٧٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، رقم(٢٣٣٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الإيمان، رقم(١١٩).

﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: يعني صعدها على مشقة، والعقبة هي الطريق المرتفع، ومعلوم أن اقتحام العقبات صعب وشاق، وكذلك إعتاق الرقاب صعب على النفوس؛ لأن فيه إخراج المملوك عن ملكه وهو شاق، وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ يشمل العتق، ويشمل فك الأسير من العدو، فإن هذا من فك الرقاب، ففي الآية دليلٌ على فضيلة العتق، ثم ذكر المؤلف ما ثبت عن النبي ﷺ أن من أعتق عبدًا، أعتق الله بكل عضو منه ـ أي من العتيق ـ عضوًا منه ـ أي من المعتق ـ من النار. يعني أنك إذا أعتقت عبدًا أعتق الله كلَّ بدنك من النار؛ لأنك أعتقت هذا العبد من الرق، فيعتقك الله تعالى من النار بفضله وإحسانه سبحانه وتعالى.



٢٣٧- باب فضل الإحسان إلى المملوك

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

١٣٦٠ - وَعَن المعور بن سُوَيْدٍ قال: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍ رضي الله عنه، وعليهِ حُلَّةٌ، وعَلَى غُلامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلتُهُ عَنْ ذلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلاً عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهليَّةٌ، هُمْ إِخْوانُكُمْ، وَخَوَلَكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تحتَ أَيدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلبسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُم مَا يَغلِبُهُم، فإن كَلَّفتُمُوهم فأَعِينُوهُم[١]» متفقٌ عليه.

١٣٦١ - وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُم خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُناوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أو أُكلَةً أو أُكْلَتِين، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاجَهُ[٢]» رواه البخاري.

«الأُكَلَةُ» بضم الهمزة: هِيَ اللُّقمَةُ.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب فضل الإحسان إلى المملوك، وصدر هذا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ لآخر الآية﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم(٢٩)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم(١٦٦١).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب إذا أتاه خادمه بطعامه، رقم(٢٥٥٧).

اعبدوا الله: يعني أطيعوا الله، فعبادة الله هي طاعته، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وهذا هو الذي خلق العباد من أجله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. ما خلقنا الله لنأكل، ونشرب، ونلبس، ونسكن، ونتمتع، كلا وإنما هذه كلها وسائل، أما الغاية فهي العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ فمن لم يعبد الله، أو عبد مع الله غيره، أو لم يعبد أحدًا فإنه أضاع دينه ودنياه؛ لأنه أضاع ما خلق من أجله.

وقوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ عام و﴿شَيْـًٔا﴾ يعم كل مشرك به؛ لأنه نكرة في سياق النهي فيكون عامًا، لا تشرك بعبادة الله أحدًا لا الرسول، ولا جبريل، ولا وليًا من أولياء الله، ولا صديقًا، ولا شهيدًا، لا تعبد إلا الله وحده جل وعلا لا تشرك به شيئًا، فمن أشرك بالله شيئًا، فإن كان شركًا أكبر فقد قال الله في حقه: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

مثاله: أن يذهب إلى قبر ثم يسجد له أو يدعوه يقول: يا سيدي أغثني، يا سيدي ارزقني ولدًا، ارزقني زوجة، ارزقني مالاً، فهذا شرك أكبر مخرجٌ من الملة، حتى لو صام الإنسان، وتصدق، وصلى، وقرأ القرآن، وحج البيت، وهو باقٍ على هذا الشرك فإنه لا يدخل الجنة، والجنة عليه حرام، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار؛ لأنه أشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ الآية﴾ ولم يذكر الله حق النبي ﷺ مع أن حق الرسول أعظم

من حق الوالدين، فيجب على الإنسان أن يحب الرسول ﷺ أشد من حبه لنفسه، ومن حبه لولده، ومن حبه لوالده، وحق الرسول فوق كل حقوق الخلق، قال العلماء: لأن حق الرسول من حق الله؛ لأن عبادة الله لا يمكن أن تقبل إلا باتباع رسول الله ﷺ فحق الرسول داخل في ضمن حق الله عزَّ وجلَّ فمن لم يجرد العبادة لله إخلاصًا وللرسول اتباعًا فلا عبادة له، ولهذا لم يذكر حق الرسول ﷺ؛ لأنه داخل في حق الله.

وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ يشمل الأم والأب ﴿إِحْسَانًا﴾ يعني أحسنوا للوالدين إحسانًا، إحسانًا بالمال، فتعطيهم من مالك وتتودد إليهما، ومن الإحسان أن تطيعهما وتخدمهما؛ بالمال وبالبدن وبالجاه، فالإحسان هنا يشمل كل ما يعد إحسانًا، ويأتي ـ إن شاء الله ـ بقية الكلام على الآية وما بعدها من الأحاديث.

❊ ❊ ❊

٢٣٨ ـ باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

١٣٦٢ ـ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: إنَّ العَبْدَ إذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَينِ[١]» متفقٌ عليه.

١٣٦٣ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أَجْرَانِ» والذِي نَفسُ أبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَولاَ الجهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، والحجُّ، وبِرُّ أُمِّي، لأحْبَبتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مملوكٌ[٢]. متفقٌ عليه.

١٣٦٤ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْمَمْلُوكُ الذي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الذي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، والنَّصِيحةِ، والطَّاعَةِ أجرانِ[٣]» رواهُ البخاريُّ.

١٣٦٥ ـ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وآمَنَ بِمُحَمّدٍ، والعَبْدُ المَمْلُوكُ إذا أدَّى حقَّ اللهِ، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كانَتْ لَهُ أَمَةٌ فأدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَها، وَعَلَّمَهَا فَأَحسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ[٤]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، رقم(٢٣٦٠)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده، رقم(٣١٤٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، رقم(٢٣٦٢)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده، رقم(٣١٤٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم(٢٣٦٥).

(٤) رواه البخاري: كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، رقم(٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم(٢١٩).

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل العتق، ليبين ما جاءت به الأحاديث أن المملوك إذا قام بحق الله وحق سيده كان له الأجر مرتين، الأجر الأول لقيامه بحق الله، والثاني: لقيامه بحق سيده؛ لأن لله عليه حقًّا، كالصلوات والصيام وغيرهما من العبادات التي ليست مبنية على أمر مالي، وللسيد عليه حق وهو القيام بخدمته، وما إلى ذلك، فإذا قام بالحقين صار له أجران.

وكذلك في الحديث الأخير ذكر النبي ﷺ أن ثلاثة لهم الأجر مرتين: رجل من أهل الكتاب، اليهود والنصارى: يعني كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ثم آمن بالرسول ﷺ فهذا له الأجر مرتين، الأجر الأول: إيمانه برسوله، والثاني: إيمانه بمحمد ﷺ، وليعلم أن اليهود والنصارى إذا بلغتهم رسالة محمد ﷺ فلم يؤمنوا به حبطت أعمالهم، حتى أعمالهم التي يتدينون بها في ملتهم، حابطة غير مقبولة، لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أما الثاني: فهو العبد المملوك الذي قام بحق سيده وحق الله عزَّ وجلَّ.

أما الثالث: فرجل عنده أمة أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها، ثم أعتقها، وتزوجها، فله الأجر مرتين، المرة الأولى لإحسانه إليها وهي رقيقة مملوكة، والأجر الثاني لإحسانه إليها بعد أن أعتقها لم يضيعها، بل تزوجها وكفها وأحصن فرجها. والله الموفق.

* * *

٢٣٩ـ باب فضل العبادة في الهرج وهو الاختلاط والفتن ونحوها

١٣٦٦ ـ عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة معي[١]» رواه مسلم.

* * *

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، رقم(٥٢٤٢).

٢٤٠ـ باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المعسرَ والوضع عنه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]. قال الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا﴾ [هود: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ٦].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب فضل السماحة في البيع والشراء).

البيع والشراء أمران ضروريان لا تقوم حياة بني آدم إلا بهما غالبًا، وذلك لأن الإنسان قد يحتاج إلى شيء عند غيره، فكيف يتوصل إليه؟ إن استجداه وقال: هبه لي، أذلّ نفسه. وأن استعاره بقي في قلق، وإن أخذه غصبًا ظلمه، فكان من حكمة الله عزَّ وجلَّ أن شرع البيع والشراء، لأنني قد أحتاج دراهم فأبيع ما عندي، وأنت محتاج هذا الشيء المعين عندي فتشتريه بالدراهم، فكان البيع أمرًا ضروريًا لحاجة بني آدم.

ولكن من الناس من يبيع بالعدل، ومن الناس من يبيع بالظلم، ومن الناس من يبيع بالإحسان، فالناس ثلاثة أقسام: قسم يبيع بالعدل، لا يظلم ولا يظلم، كما قال تعالى في الذين يتعاملون بالربا: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وقسم يبيع بالجور، والظلم، كالغشاش، والكذاب، وما أشبه ذلك، وقسم يبيع بالفضل والإحسان، فيكون سمحًا في البيع وفي الشراء، إن باع لم يطلب حقه وافيًا، بل ينزل من الثمن، ويمهل في القضاء، وإن اشترى لا يهمه أن يزيد عليه الثمن ويبادر بالوفاء فيكون محسنًا.

وقد استدل المؤلف - رحمه الله - على فضل السماحة في البيع والشراء بآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] كلمة (من خير) نكرة في سياق الشرط فتعم جميع الخيرات، من أي جهة، وهي أيضًا مؤكد عمومها بـ «من» ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني أي خير تفعلونه فإن الله به عليم، يعني لا يخفى عليه ولا يفوته عزَّ وجلَّ، وسوف يجازيكم على هذا أفضل مما عملتم؛ لأن الله يجازي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

والمراد بالآية الكريمة الحث على فعل الخير، وأن يعلم الفاعل أنه لن يضيع عليه شيء من فعله فإن الله به عليم وسيجازيه عليه عزَّ وجلَّ أفضل الجزاء، ومن الخير السماحة في البيع والشراء وقد دعا النبي ﷺ للمتسامحين في البيع والشراء، فقال: «رحم الله امرءًا سمحًا إذا باع،

سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى[١]». فالإنسان كلما كان أسمح في بيعه وشرائه، وتأجيره، واستئجاره، ورهنه، وارتهانه وغير ذلك فإنه أفضل، وقال الله تعالى عن شعيب أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

أوفوا المكيال: أي ما تبيعونه كيلاً.

والميزان: ما تبيعونه وزنًا، أوفوه ولا تنقصوا منه شيئًا.

وهذا دليلٌ على أن الوفاء في العقود مما جاء في الشرائع السماوية السابقة واللاحقة، وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

ويل: كلمة وعيد، يتوعد الله عزَّ وجلَّ المطففين الذين هذه صفتهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون، يعني إذا كان الحق لهم، واكتالوا فإنهم يستوفون حقهم كاملاً، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون يعني إذا كان الحق عليهم، وكالوا لهم أو وزنوا لهم، يخسرون أي يبخسون الكيل والميزان.

فيظلمون من الوجهين، أو يطلبون العدل فيما يتعاملون به، ويبخسون فيما يعاملون الناس به، وهذا هو المطفف، وهذه الآية وإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم(١٩٣٤).

كانت قد وردت في المكيال والميزان إلا أن العامل حتى الموظف إذا كان يريد أن يعطى راتبه كاملاً لكنه يتأخر في الحضور أو يتقدم في الخروج فإنه من المطففين الذين توعدهم الله بالويل؛ لأنه لا فرق بين إنسان يكيل أو يزن للناس وبين إنسان موظف عليه أن يحضر في الساعة الفلانية ولا يخرج إلا في الساعة الفلانية ثم يتأخر في الحضور، ويتقدم في الخروج، هذا مطفف، وهذا المطفف في الوظيفة لو نقص من راتبه ريال واحد من عشرة آلاف، لقال: لماذا تنقص المكافأة؟ فهذا مطفف يدخل في هذا الوعيد ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ثم قال تعالى منكرًا عليهم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني هل هؤلاء نسوا يوم الحساب، نسوا يوم القيامة الذي ليس هناك أقرب منه.

فالإنسان في هذه الدنيا ليس معه ضمان أن يعيش ولو لحظة واحدة، يموت الإنسان وهو يتغدى أو يتعشى، يموت وهو نائم، يموت وهو على مكتبه، يموت وهو ذاهب لحاجته، أو راجع منها، ثم يأتي اليوم العظيم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ استعظمه الله عزَّ وجلَّ، وبيّن أنه عظيم،وقد وصف الله أهوال ومشاهد هذا اليوم في آيات كثيرةوهؤلاء المطففون سوف يتعرضون لعقوبة الله في ذلك اليوم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يقوم الناس كلهم لرب العالمين، من في مشارق الأرض ومغاربها يبعثون على صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر؛ لأن الأرض مبسوطة غير كروية يغيب بعض الناس فيها عن بعض، بل هي

سطح واحد إذا تكلم أحد في أولهم سمعه آخرهم، وينفذهم البصر يراهم الرائي بخلاف الحال في الدنيا، الأرض منعطفة كروية لكن الأرض في الآخرة سطح واحد كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ تمد كما يمد الجلد الأديم، هذا اليوم العظيم يقوم الناس فيه لله عزَّ وجلَّ للحساب والمعاقبة، ومقدار هذا اليوم خمسون ألف سنة، والشمس من فوقهم بقدر ميل، ولا شجر يستظلون به ولا بناء، ولا شيء إلا من يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم. فهذا اليوم العظيم سيجد هؤلاء المطففون عقوبتهم، ليس هناك ولد ينفع ولا أب ولا أم ولا زوجة ولا أحد، لكل امرىء منهم يؤمئذ شأن يغنيه، فليحذر هؤلاء المطففون وليتقوا الله عزَّ وجلَّ ويؤدوا الحق كاملاً وإن زادوا فضلة فهو أفضل، ولهم أن يأخذوا حقهم كاملاً وإن تسامحوا فهو أفضل. والله الموفق.

* * *

١٣٦٧ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ رَجُلاً أَتى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً» ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًّا مَثْلَ سِنِّهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لا نجدُ إلا أمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قالَ: «أَعْطُوهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً[1]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب في الاستقراض وأداء الديون، باب استقراض الإبل، رقم(٢٢١٥)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئًا فقضى خيرًا منه، رقم(٣٠٠٣).

١٣٦٨ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إذَا بَاعَ، وإذَا اشْتَرَى، وَإذَا اقْتَضَى[(١)]» رواهُ البخاريُّ.

١٣٦٩ ـ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّس عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ[(٢)]» رواهُ مسلمٌ.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل السماحة في البيع والشراء، وسبق الكلام على الآيات التي صدَّر بها المؤلف هذا الباب.

أما الأحاديث، فمنها حديث أبي هريرة أن أعرابيًّا جاء يتقاضى الرسول ﷺ حقه، يتقاضاه يعني يطلب أن يقضيه النبي ﷺ حقه، وذلك أن الرسول ﷺ استقرض بكرًا ـ يعني ناقة صغيرة ـ فجاء صاحبها يطلبها، يقول: أعطني بكري، والأعراب عندهم جفاء، فأغلظ للرسول ﷺ القول، فَهَمَّ به الصحابة، يعني هموا به أن يضربوه أو يسكتوه أو ما أشبه ذلك، فقال: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً» صلوات الله وسلامه عليه، ما ظنكم - اليوم - لو تكلم مثل هذا الأعرابي على جندي من الجنود - مثلا- ماذا يفعل به؟! يبطش به، أو على أمير من الأمراء أو على قاضٍ من

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم(١٩٣٤).
(٢) رواه مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢٣).

القضاة، أو على وزير من الوزراء، لو جاء يطلب حقه ولو بسهولة ربما يفتك به، إلا من شاء الله، أما هذا فيغلظ القول لمحمد رسول الله ﷺ ويقول: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً**».

ومن هنا نعرف أن الإنسان إذا كان عليه حق لشخص، وجاء الشخص يطلبه فلصاحب الحق أن يغلظ له القول؛ لأنه صاحب حق، والرسول ﷺ سَيُوفيه ولا شك لكن قد لا يكون عنده تلك الساعة شيء، ولهذا أمرهم بقضاء بكره، فقالوا: إنا لا نجد إلا سنًّا خيرًا من سنه، وفي رواية قالوا: لا نجد إلا رباعيًّا خيارًا، والرباعي أحسن بكثير من البكر، البكر صغير، والرباعية كبيرة تتحمل الحمل والأثقال وغير ذلك، فأمرهم النبي ﷺ أن يعطوه إياها، وقال: «**إن خيركم أحسنكم قضاء**»، أحسنكم قضاء في صفة القضاء وفي معاملة المستقضي الذي يطلب حقه.

فينبغي للإنسان أن يقتدي برسول الله ﷺ في حسن القضاء، ومعاملة المستقضي الذي يطلب حقه أي لا يعامله بالجفاء والسب والشتم، بل باللين لأن له حقًّا ومقالة، ولا في المقضي يعني يقضي أحسن مما عليه سواء كان أحسن مما عليه كيفية، أو أكثر مما يطلب. فمثلاً إذا استقرضت من شخص مائة ريال وعند الوفاء أعطيته مائة وعشرة بدون شرط، فإن هذا لا بأس به. وهو من خير القضاء، وكذلك لو استقرضت منه صاعًا من الطعام وسطًا، ليس بالطيب ولا بالرديء، فأعطيته صاعًا طيبًا فهذا أيضًا من حسن القضاء. وخير الناس أحسنهم قضاء.

وفي حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**رحم الله امرءًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى**» وكذلك سمحًا إذا قضى فقوله عليه الصلاة والسلام: «**رحم الله امرءًا، أو قال رجلاً**» هذا خبر بمعنى الدعاء، يعني يدعو له بالرحمة إذا كان سمحًا في هذه المواضع الأربعة: «**سمحًا إذا باع**» لا يشتد على المشتري ويكون سهلاً يواضعه ويضع عنه. «**سمحًا إذا قضى**»، إذا قضى غيره كان سمحًا يعطيه في وقته ولا يماطل، كذلك «**سمحًا إذا اشترى**»، وكذلك «**سمحًا إذا اقتضى**»، إذا أخذ حقه، فهذه الأحوال الأربع ينبغي للإنسان أن يكون سمحًا فيها حتى ينال دعاء رسول الله ﷺ ويأتي الكلام إن شاء الله على بقية الأحاديث.

* * *

١٣٧٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُداينُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ الله أَنْ يَتَجاوَزَ عَنَّا فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٣٧١ ـ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيءٌ، إلا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، وكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِر، قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ[(٢)]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم(٣٢٢١)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢١).

١٣٧٢ ـ وَعَنْ حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ الله تَعَالَى: بِعَبدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتاهُ الله مالاً، فقالَ لَهُ: مَاذاَ عَمِلْتَ في الدُّنْيَا؟ قَالَ: ـ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا ـ قالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ تعالى: «أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي» فَقَالَ عُقْبَةُ بنُ عَامرٍ، وأبو مَسْعُودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكذا سَمِعْنَاه مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1]. رواه مسلمٌ.

الشــــرح

هذه الأحاديث الثلاثة في فضل السماحة في البيع والشراء، وفيها فضل العفو عن الناس والتجاوز عنهم.

في الحديث الأول، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس» يعني يتعامل معهم بالدَّين، والدين ليس هو المعروف عندنا، يعني أن تشتري سلعة لتبيعها وتنتفع بثمنها.

الدَّين: كل ما ثبت في الذمة فهو دين، حتى لو بعت إلى شخص سيارة بثمن غير مؤجل ولم يسلمك الثمن فالثمن في ذمته دين، ولو أنك استأجرت بيتًا وتمت المدة ولم تسلمه الأجرة فالأجرة في ذمتك دين. المهم أن المداينة ليس أن يعامل الناس نقدًا، يعني ليس يدًا بيد بل يبيع إليهم ويشتري منهم ويعفو عن المعسر «فكان يقول لغلامه: إذا رأيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا». فكان الغلام يفعل هذا. فلقي الله

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢٠).

عزَّ وجلَّ فجازاه بمثل ما يجازي به الناس، يعني مثل ما يفعل هذا الرجل في الناس عامله الله عزَّ وجلَّ، فتجاوز عنه، وذلك «**لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**[1]» ولأن الجزاء من جنس العمل، ففي هذا الحديث حديث أبي هريرة والحديثين بعده دليلٌ على فضيلة إنظار المعسر والتجاوز عنه وإبرائه.

واعلم أن هذا لا ينقصك شيئًا من المال؛ لأن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال[2]» بل هذا يجعل في مالك البركة والخير والزيادة والنماء.

وأما إنظار المعسر فإنه واجب، يجب على الإنسان إذا كان صاحبه معسرًا لا يستطيع الوفاء يجب عليه أن ينظره ولا يحل له أن يكربه أو يطالبه، لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. فهناك فرق بين الإبراء وهو إسقاط الدين عن المعسر وبين الإنظار، الإنظار واجب، والإبراء سنة، ولا شك أن الإبراء أفضل؛ لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائيًا، والإنظار تبقى الذمة مشغولة لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع أن يوفي.

وبعض الناس ـ نسأل الله العافية ـ تحل لهم الديون على أناس فقراء فيؤذونهم ويطالبونهم ويدفعون بهم إلى ولاة الأمور ويحبسونهم عن

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم(٤٨٦٧).
(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم(٤٦٨٩).

أهليهم وأولادهم وأموالهم، وهذا لا شك أنه منكر والواجب على القضاة إذا علموا أن هذا معسر لا يستطيع الوفاء، أن يقولوا للدائن ليس لك حق في مطالبته؛ لأن الله تعالى هو الحكم وهو الحاكم بين العباد وقد قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ لكن يتعلل بعض القضاة في هذه المسألة، يقولون: إن بعض المدينين يتلاعبون بالناس فيأكلون الأموال ويجحدون الإيسار، فيعاملونهم بهذا تنكيلاً بهم. نعم إذا ثبت أن هذا المدين ادعى الإعسار وليس بمعسر فإنه لا بأس أن يجبر ويحبس ويعاقب حتى يوفي فإن لم يفعل فإن الحاكم يتولى بيع ما شاء من ماله ويوفي دينه. أما الذي نعلم أنه معسر حقيقةً فإنه لا يجوز لطالبه أن يطالبه ولا أن يقول: أعطني، بل يجب أن يعرض عنه بالكلية ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ والله الموفق.

* * *

١٣٧٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ لَهُ، أظلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ[١]».

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٧٤ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى مِنْهُ بِعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ، فَأَرْجَحَ[٢].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٧)، والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به، رقم(١٢٢٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، رقم(١٩٥٥)، ومسلم: =

متفقٌ عليه.

١٣٧٥ ـ وَعَنْ أَبِيْ صُفْوَانَ سُوَيْدِ بنِ قَيْسٍ رضي الله عنه قالَ: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءَنَا النَّبيُّ ﷺ فَسَاوَمَنَا بسَرَاويلَ، وعندي وزَّانٌ يَزِنُ بالأجرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ»[1] رواه أبوداود، والترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذه بقية الأحاديث الواردة في فضل السماحة في البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وقد سبق أحاديث كثيرة حول هذا الموضوع، والأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وردت فيمن أنظر معسرًا أو وضع عنه، فإن الله تعالى يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. (أنظره) يعني أمهله حتى يوسع الله عليه، وهذا أمر واجب كما سبقت الإشارة إليه. فإن وضع عنه فهو أفضل وأكمل؛ لأنه إذا وضع عنه أبرأ ذمته، وأما إذا أنظره فإنما أمهله وبقيت ذمته ـ أي ذمة المطلوب ـ مشغولة لم تنفك.

ثم ذكر حديثين أيضًا فيهما ذكر الوزن والإرجاح، حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ اشترى منه فوزن وأرجح يعني أرجح الوزن لأنهم كانوا فيما سبق يتعاملون بالنقود وزنًا لا عددًا وإن كانوا يتعاملون أيضًا بها عددًا، لكن الكثير وزنًا كما جاء في الحديث: «**ليس فيما دون خمسة أوسق**

= كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم(٣٠٠٠).

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٥٢)، وأبوداود: كتاب البيوع، باب في الرجحان في الوزن، رقم(٢٨٩٨)، والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في الرجحان في الوزن، رقم(١٢٢٦).

صدقة». فوزن له النبي ﷺ وأرجح يعني زاده أكثر مما يستحق، وهكذا ينبغي للإنسان عند الوفاء أن يوفي كاملاً بدون نقص وإذا زاد فهو أفضل. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

كتاب العلم

٢٤١ـ باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾ [فاطر: ٢٨].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله عزَّ وجلَّ. والمراد بالعلم الذي وردت به النصوص في فضله والثواب عليه ورفعة أهله وكونهم ورثة الأنبياء، إنما هو علم الشريعة عقيدة وعملاً، وهو العلم الذي يثنى على من أدركه وعلى من علمه وتعلمه وليس علم ما يتعلق بالدنيا كالحساب والهندسة، وما أشبه ذلك.

والعلم جهاد، جهاد في سبيل الله، وهو عديل له في كتاب الله، وعليه يُبنى الجهاد وسائر الإسلام؛ لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب ولهذا قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. يعني لولا نفر في الجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم أي رجعوا من الغزو لعلهم يحذرون.

فجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلاً للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه، لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد ولا أن يصلي المصلي ولا أن يزكي المزكي ولا أن يصوم الصائم ولا أن يحج الحاج ولا أن يعتمر المعتمر ولا أن يأكل الآكل ولا أن يشرب الشارب ولا أن ينام النائم ولا أن يستيقظ المستيقظ إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء ولذلك قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**[1]».

ولا فرق بين المجاهد الذي يسوي أسنة قوسه، وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله وبيان شريعة الله لعباد الله، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله باب الجهاد بباب العلم، ليبين أنه مثله، بل إن بعض العلماء فضله على الجهاد في سبيل الله. والصحيح أن في ذلك تفصيلاً، فمن الناس من يكون الجهاد في حقه أفضل، ومن الناس من يكون طلب العلم في حقه أفضل. فإذا كان الرجل قويًا شجاعًا مقدامًا، لكنه في العلم بضاعته مزجاة، قليل الحفظ قليل الفهم يصعب عليه تلقي العلم، فهنا نقول: الجهاد في حقه أفضل، وإذا كان بالعكس، رجلاً ليس عنده تلك القوة البدنية أو الشجاعة القلبية، لكن عنده حفظًا وفهمًا واجتهادًا، فهذا طلب العلم في حقه أفضل، فإن تساوى الأمران فإن من أهل العلم من رجَّح طلب العلم، لأنه أصل، ولأنه ينتفع به الناس كلهم القاصي والداني، وينتفع به من كان حيًا

---

(١) سيأتي تخريجه.

ومن يولد بعده، وينتفع به صاحبه في حياته وبعد مماته، كما قال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**(١)».

وجميع الناس محتاجون للعلم، الأنبياء وغير الأنبياء، كلهم محتاجون للعلم، ولهذا أمر الله نبيه أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. فالرسل محتاجون إلى العلم والزيادة فيه، وإلى سؤال الله عزَّ وجلَّ أن يزيدهم منه، فمَنْ دون الأنبياء من باب أولى. فجدير بالعبد أن يسأل الله دائمًا أن يزيده من العلم، ولكن إذا سأل الله أن يزيده من العلم فلابد أن يسعى في الأسباب التي يحصل بها العلم، أما أن يطلبه ويقول: رب زدني علمًا وهو لم يفعل الأسباب فهذا ليس من الحكمة ولا من الصواب، هذا كمن قال اللهم ارزقني ولدًا ولا يتزوج، من أين يأتيك هذا الولد؟ فلابد إذا سألت الله شيئًا أن تسعى للأسباب التي يحصل بها، لأن الله حكيم. قرن المسببات بأسبابها، وفي هذه الآية ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. دليلٌ على فضل العلم، لم يقل الله لنبيه: وقل رب زدني مالاً، بل قال له: وقل رب زدني علمًا، وقال له في الدنيا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]. أسال الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح والدعوة إلى الله

---

(١) رواه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم(٣٠٨٤).

على بصيرة .

* * *

وقال تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا﴾ [الزمر : ٩].

وقال تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة : ١١].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله، وقد سبق لنا شيء من الكلام على العلم وبيان أن العلم الممدوح الذي فيه الثواب هو العلم في شريعة الله عزَّ وجلَّ، وما كان وسيلة لذلك كعلم النحو والصرف وما إليهما، فإنه وسيلة، وقد قال العلماء : إن للوسائل أحكام المقاصد، والعلم الشرعي ينقسم إلى قسمين :

قسم فرض عين : يجب على كل إنسان أن يتعلمه .

وقسم آخر فرض كفاية : إذا قام به من يكفي سقط عن بقية الناس .

وقسم ثالث يتفرع عن الثاني : سنة وهو إذا ما قام بالعلم من يكفي فيكون فيه للباقين سنة. أما العلم الفرض العين الذي يجب على كل إنسان، فهو أن يتعلم الإنسان ما يحتاج إليه في أمور دينه الواجبة، كأن يتعلم ما يتعلق بتوحيد الله وبيان ما ينافيه ويناقضه من الشرك كلِّه جليه وخفيه، صغيره وكبيره، لأن هذا مفروض على كل أحد، لأن كل إنسان يجب عليه أن يعرف توحيد الله ويوحد الله تعالى بما يختص به جلَّ وعلا، كذلك أيضًا الصلاة، الصلاة مفروضة على كل أحد لا تسقط عن المسلم أبدًا ما دام عقله ثابتًا، فلابد أن يتعلمها ويتعلم ما يلزم لها من طهارة

وغيرها حتى يعبد الله على بصيرة.

الزكاة لا يجب تعلّمها على كل أحد، من عنده مال وجب عليه أن يتعلم ما هو المال الزكوي وما مقدار النصاب، وما مقدار الواجب، ومن الذي تؤتى إليه الزكاة، وما أشبه ذلك. لكن لا يجب على كل واحد أن يتعلم الزكاة فإذا كان فقيرًا فلماذا نوجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة وهو ليس عنده مال. الصوم يجب تعلمه على كل أحد، يجب أن يتعلم الإنسان ماذا يصوم عنه، وما هي المفطرات وما هي نواقض الصوم، وما هي منقصاته، وما أشبه ذلك. كل إنسان يصوم يجب عليه أن يتعلم ذلك. الحج لا يجب على كل أحد أن يتعلمه وإنما يجب أن يتعلمه من استطاع إليه سبيلاً حتى يحج على بصيرة.

ومع الأسف أن كثيرًا من الناس لا يتعلمون ما يجب عليهم من أحكام دينهم فيقعون في المتاعب، ولا سيما في الحج وما أكثر الذين يسألون عن الحج وتجدهم قد وقعوا في خلل كبير، لأنهم لم يتعلموا قبل أن يعملوا، البيع مثلاً: أحكام البيع لا يجب على كل إنسان أن يتعلم أحكام البيع، لكن من أراد أن يتجر ويبيع ويشتري لابد أن يتعلم ما هو البيع الممنوع وما هو البيع المشروع حتى يكون على بصيرة من أمره، وهلم جرا.

فتبين الآن أن العلم الشرعي ينقسم إلى قسمين: الأول فرض عين، والثاني فرض كفاية. وفرض الكفاية يستحب لمن زاد على من تقوم به الكفاية أن يتعلم ليحفظ شريعة الله ويهدي الله به عباده وينتفع الناس به.

ولا شيء أشرف من العلم، ويدل لهذا قول الله تبارك وتعالى لنبيه

ﷺ: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾.

ربنا عزَّ وجلَّ يقول للرسول ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾، الرسول عليه الصلاة والسلام محتاج إلى زيادة العلم، فدل ذلك على فضيلة العلم لأنه لم يقل له: وقل رب زدني مالاً، زدني زوجات، زدني أولادًا بل قال له: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

ومما يدل على فضل العلم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾. بين كل الناس، قول عام ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾. والجواب مفهوم، أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهذا أمر منتف بمقتضى طبيعة الإنسان وفطرته، أنه لا يستوي الإنسان الذي يعلم والذي لا يعلم، لكن الله سبحانه وتعالى ذكره على صيغة الاستفهام ليكون متضمنًا للتحدي، ليكون هذا النفي متضمنًا للتحدي، يعني هات لي أحدًا يقول إنه يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، لا أحد يقول بذلك. ولا يمكن أن يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أبدًا حتى في أمور الدنيا لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

وقال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة: ١١]. هذا أيضًا يدل على فضيلة العلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ ﴾. يعني قوموا

وارتفعوا ﴿ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ . فإذا دخل إنسان والمجلس مليء بالجالسين، وقال: تفسحوا، فليفسحوا له، ﴿ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾، يعني يوسع لكم الأمور، لأنكم وسعتم على هذا الداخل فيوسع الله عليكم، لأن الجزاء من جنس العمل، فمن عامل أخاه بشيء عامله الله تعالى بمثله، إن يسرت على معسر يسر الله عليك، إن فرَّجت عن مؤمن كربة، فرَّج الله عنك كربة من كرب يوم القيامة، إن أعنت أحدًا كان الله في عونك، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ولهذا قال: ﴿ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ . يعني قوموا فقوموا، وفي هذا دليلٌ على أنه لا حرج على الإنسان أن يقول للجماعة الذين عنده انشزوا، اخرجوا بارك الله فيكم، انتهى شغلكم لا حياء في ذلك ولا غضاضة على الإنسان حتى الجلوس لا ينبغي لهم أن يكونوا ثقلاء، لا يقومون إلا إذا قيل قوموا، ينبغي للإنسان أن يخفف الجلوس عند الناس ما استطاع، إلا إذا علم من صاحبه أنه يحب أن تبقى عنده فلا بأس، وإلا فالأصل ألا تطيل الجلوس عند الناس، لأن الناس قد يكون لهم شغل، ويستحيون أن يقولوا قم، لكن من قال: قم، فلا حرج عليهم. حتى إن الله عزَّ وجلَّ قال لجلساء نبيه الذين يجلسون عنده بعد أن ينتهوا من الطعام قال لهم سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. يعني معناه إذا انتهيتم من الطعام فاخرجوا، لا تجلسوا فإن ذلك يؤذي النبي ﷺ فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق فإذا قيل: ﴿ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ .

ومثل ذلك أيضًا إذا استأذن عليك أحد في البيت ففتحت له وقلت: ارجع، ليس هناك جلوس الآن، فلا حرج عليك، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]. بعض الناس إذا أرجعته من عند الباب يغضب، والله يقول: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾. الأفضل أن ترجعوا، يزكيكم الله عزَّ وجلَّ، قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾. ولم يعين عزَّ وجلَّ الدرجات لأن هذه الدرجات بحسب ما مع الإنسان من الإيمان والعلم، كلما قوي الإيمان وكلما كثر العلم وانتفع الإنسان به ونفع غيره كان أكثر درجات، فهلم فأكثر، قوِّ إيمانك، أكثرْ من طلب العلم ما استطعت، فإن الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾. رفعني الله وإياكم بذكره وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

١٣٧٦ ـ وَعَنْ مُعَاوِيةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين[1]» متفقٌ عليه.

الشــرح

ساق الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ بعض ما يتعلق ـ من كتاب الله عزَّ وجلَّ في فضل العلم. وسبق الكلام على آيات ثلاث مما ذكره في باب

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم(٦٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم(١٧١٩).

فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله.

أما الآية الرابعة فهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾.

والخشية: هي الخوف المقرون بالتعظيم، فهي أخص من الخوف فكل خشية خوف، وليس كل خوف خشية، ولهذا يخاف الإنسان من الأسد ولكنه لا يخشاه، أما الله عزَّ وجلَّ فإن الإنسان يخاف منه ويخشاه، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ [البقرة: ١٥٠].

ولكن من هم أهل الخشية حقًّا؟ أهل الخشية حقًّا هم العلماء، العلماء بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، الذين يعرفون ما لله عزَّ وجلَّ من الحكم والأسرار في مقدوراته ومشروعاته جلَّ وعلا، وأنه سبحانه وتعالى كامل من كل الوجوه، ليس في أفعاله نقص ولا في أحكامه نقص فلهذا يخشون الله عزَّ وجلَّ، وفي هذا دليلٌ على فضيلة العلم وأنه من أسباب خشية الله، والإنسان إذا وفق للخشية عصم من الذنوب، وإن أذنب استغفر وتاب إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنه يخشى الله، أي يخافه ويعظمه سبحانه وتعالى.

ثم ذكر الأحاديث وصدَّرها بحديث معاوية بن أبي سفيان أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» والله جلَّ وعلا يريد في خلقه ما يشاء من خير وشر، لكن كل إرادته خير وأما مراداته ففيها الخير والشر، كل قضائه خير وأما مقضياته ففيها الخير والشر، والناس أوعية منهم من يعلم الله تعالى في قلبه خيرًا فيوفقه، ومنهم من يعلم الله في قلبه شرًّا فيخذله والعياذ بالله قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]. لم يزغ قلوبهم إلا حين زاغوا هم أولاً وأرادوا الشر فلم يوفقوا للخير.

أما من علم الله في قلبه خيرًا فإن الله يوفقه، فإذا علم الله في قلب الإنسان خيرًا أراد به الخير، وإذا أراد به الخير فقهه في دينه، وأعطاه من العلم بشريعته ما لم يعط أحدًا من الناس وهذا يدل على أن الإنسان ينبغي له أن يحرص غاية الحرص على الفقه في الدين، لأن الله تعالى إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه، ومن أسباب الفقه أن تتعلم وأن تحرص لتنال هذه المرتبة العظيمة أن الله يريد بك الخير فاحرص على الفقه في دين الله، والفقه في الدين ليس هو العلم فقط، بل العلم والعمل ولهذا حذَّر السلف من كثرة القراء وقلة الفقهاء، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**كيف بكم إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم**» فإذا علم الإنسان بشيء من شريعة الله ولكن لم يعمل بها فليس بفقيه، حتى لو كان يحفظ أكبر كتاب في الفقه عن ظهر قلب ويفهمه، لكن لم يعمل به فإن هذا لا يسمى فقيهًا، يسمى قارئًا، بل الفقيه هو الذي يعمل بما علم، فيعلم أولاً، ثم يعمل ثانيًا، ولهذا قال قوم شعيب لشعيب: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴾ [هود: ٩١]. لأنهم حرموا الخير لعلم الله ما في قلوبهم من الشر.

فاحرص على العلم، واحرص على العمل به لتكون ممن أراد الله به خيرًا، أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من هؤلاء الذين فقهوا في دين الله وعملوا وعلَّموا ونفعوا وانتفعوا به.

* * *

١٣٧٧ ـ وَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالاً فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتاه الله الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، ويُعَلِّمُهَا[1]» متفق عليه. والمرادُ بالحَسَد: الْغِبْطَةُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَهُ.

الشـــرح

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله تعالى الأحاديث الواردة في فضل العلم، وقد سبق حديث معاوية رضي الله عنه: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

ثم ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين**». الحسد يطلق ويُراد به الحسد المحرم الذي هو من كبائر الذنوب، وهو أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره، تجد إنسانًا عنده مال فتكره، تقول: ليت الله لم يرزقه، وآخر عنده علم تكره ذلك وتتمنى أن الله لم يرزقه العلم، وثالث عنده أولاد صالحون تكره ذلك وتتمنى أن الله لم يرزقه، وهلم جرا، هذا الحسد هو من كبائر الذنوب.

وهو من خصال اليهود كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

وقال عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم(٧١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم(١٣٥٢).

إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

أما النوع الثاني من الحسد فهو حسد الغبطة: يعني الذي تغبط به غيرك أن أنعم الله عليه بمال أو علم أو ولد أو جاه أو غير ذلك، الناس يغبط بعضهم بعضًا على ما آتاهم الله من النعم، يقول: ما شاء الله فلان أعطاه الله كذا، فلان أعطاه الله كذا، لكن لا غبطة إلا في شيئين، الغبطة الحقيقية التي يغبط عليها الإنسان شيئان.

الأول: العلم، العلم النافع وهو المراد بقوله: «**رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» هذا العلم، إذا منَّ الله على إنسان بعلم فصار يقضي به بين الناس سواء كان قاضيًا أو غير قاضٍ وكذلك يقضي به في نفسه وعلى نفسه ويعلم الناس، فهذا هو الغبطة؛ لأن العلم هو أنفع شيء، أنفع من المال، وأنفع للإنسان من الأعمال الصالحة، لأنه إذا مات وانتفع الناس بعلمه جرى ذلك عليه إلى يوم القيامة، كلما انتفع به أي إنسان فله أجر، العلم كلما أنفقت منه وعلمته ازداد، وهذا من أقوى ما يثبت به العلم. ويبقى حفظه، فإذا علَّمت غيرك علمك الله، وإذا علمت غيرك ثبت العلم في نفسك، لكن لا تتقدم للتعليم إلا وأنت أهل له حتى ينفع الله بك، وحتى لا تفشل أمام الناس، لأن الذي يتقدم للتعليم وليس أهلاً له بين أمرين: إما أن يقول بالباطل وهو لا يشعر، وإما أن يفشل وإذا سئل عجز عن الإجابة مثلاً.

فهذا العلم كل ما أنفقت منه ازداد، والعلم - أيضًا - لا يحتاج إلى

تعب، إلا في تعلمه، لكن لا يحتاج مثلاً إلى خزائن كالمال الذي يحتاج إلى خزائن وإلى محاسبين وإلى حسابات وإلى تعب، لكن العلم لا يحتاج إلى هذا، خزينته قلبك، هذه الخزينة، وهي معك أينما كنت فلا تخشى عليه، لا تخشى أن يسرق ولا أن يحرق لأنه في قلبك.

فالمهم أن العلم هو أفضل نعمة أنعم الله بها على الإنسان بعد الإسلام والإيمان ولهذا قال: «رجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

أما الثاني: «فهو رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق»، يعني صار يبذل ماله فيما يرضي الله عزَّ وجلَّ، لا يبذله في حرام، ولا يبذله في لغو، وإنما يبذله فيما يرضي الله، سلطه الله على هلكته يعني على إنفاقه في الحق، هذا أيضًا ممن يغبط، نحن لا نغبط من عنده مال عظيم لكنه بخيل لا ينفع الناس، بل هذا نتألم له ونقول هذا المسكين كيف يستطيع الجواب على حساب يوم القيامة على هذا المال، من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه وكيف تصرف فيه، لكن إذا رأينا رجلاً آتاه الله مالاً وصار ينفقه فيما يرضي الله، نقول: ما شاء الله هذا يغبط.

لا نغبط إنسانًا آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في القصور والديكورات والسيارات الفخمة نحن لا نغبطه على هذا. بل نقول هذا مسرف إذا كان تجاوز الحد فيما ينفق، والله لا يحب المسرفين.

كذلك لا نغبط شخصًا عنده مال فصار ينفق منه جوائز في أشياء لا ينتفع الناس بها لا في دينهم ولا في دنياهم، فإن بعض الناس يعطي جوائز على ألعاب وأشياء من الأمور التي ليس بها خير لا في الدنيا ولا في

الآخرة، هذا لا نغبطه، لأنه لم يسلط على هلكة ماله في الحق. إنما الذي يغبط من سلطه الله على هلكة ماله في الحق.

أيضًا لا نحسد إنسانًا آتاه الله مالاً فصار كل ما عنَّ له أن يتزوج تزوج، وجمع عنده من النساء الحسان ما لا يجمعه غيره، هذا لا نغبطه أيضًا. إلا إذا كان سلطه الله على هلكته في الحق، وأراد بذلك تحصين فرجه وتحصيل السنة، وكثرة النسل، فهذا مقصود شرعي يغبط عليه الإنسان.

والشاهد في هذا الحديث في باب فضل العلم هو الجزء الأول منه [من آتاه الله الحكمة]، يعني العلم، فقضى بها وعلمها، وهذا خير الرجلين، يعني خير من صاحب المال الذي سلط على هلكته في الحق. نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

* * *

١٣٧٨ ـ وعَنْ أَبِي موسَى رضي الله عنه قَالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ والْعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا منه وسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً، وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ[١]». متفقٌ عليه.

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلَّم، رقم(٧٧)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ، رقم(٤٢٣٢).

الشـــرح

في هذا الحديث الذي ساقه الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله تعالى، الذي رواه أبو موسى عن النبي ﷺ مثل بديع عجيب فقد مثل النبي ﷺ ما بعثه الله به من العلم والهدى، مثّله بغيث ـ بمطر ـ ووجه الشبه أن بالغيث تحيا الأرض وبالوحي تحيا القلوب. ولهذا سمى الله سبحانه وتعالى ما بعث به محمدًا ﷺ سماه روحًا، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

فالوحي غيث، لكنه كما مثل الرسول ﷺ نزل على الأرض فصارت الأرض ثلاثة أيام:

القسم الأول: قسم قبل المطر وشرب وأنبت العشب الكثير والكلأ فانتفع الناس بذلك، لأن الأرض أنبتت.

والقسم الثاني: قيعان لا تنبت لكن أمسكت الماء لم تشربه فسقى الناس منه وارتووا وزرعوا.

القسم الثالث: أرض قيعان بلعت الماء ولم تنبت سبخة تبلع الماء، ولكنها لا تنبت، فهذا مثل من فقه في دين الله فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع به رأسه. الصورة الأولى والثانية للمثل فيمن قبل الحق فعلم وتعلم

ونفع وانتفع، لكن الذين قبلوا الحق صاروا قسمين:

الأول: قسم آتاه الله تعالى فقهًا فصار يأخذ الفقه والأحكام الشرعية من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا يُعلم.

والثاني: راوية ولكنه ليس عنده ذلك الفقه يعني أنه يحكى الحديث ويرويه ويحفظه ولكنه ليس عنده فقه، وهذا كثيرٌ أيضًا، فما أكثر رجال الحديث الذين رووا الحديث لكنهم ليس عندهم فقه، ما هم إلا أوعية يأخذ الناس منهم، ولكن الذي يوزع من هذا الماء وينفع الناس به هم الفقهاء. هذان قسمان ـ قسم حفظ الشريعة ووعاها وفهمها وعلمها واستنبط منها الأحكام الكثيرة، وهؤلاء مثل الأرض التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وقسم آخر نَقَلَةٌ فقط، ينقلون الأحاديث وهؤلاء كالأرض التي أمسكت الماء فانتفع الناس به وارتووا منه، لأن الناس يأخذون من هؤلاء الرواة للحديث، ثم يستنبطون منه الأحكام وينفعون الناس بها.

القسم الثالث: أرض لم تنتفع بالغيث، وإنما قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فهؤلاء ليس فيهم خير، لم ينتفعوا بوحي الله ولم يرفعوا به رأسًا، والعياذ بالله، يكذبون بالخبر ويستكبرون عن الأمر، فهؤلاء هم شر الأقسام. نسأل الله العافية.

فانظر -أنت- في نفسك من أي الأرضين الثلاث أنت، هل أنت من الأرض التي قبلت الماء وأنبتت العشب والكلأ، أو من الأرض الثانية، أو من الأرض الثالثة والعياذ بالله.

وفي الحديث حسن تعليم الرسول ﷺ حيث يضرب الأمثال بالمعاني المعقولة بأشياء محسوسة، لأن إدراك المحسوس أقرب من إدراك المعقول، وما أكثر الأمثال في القرآن ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

هذا مثل لو جاء الكلام هكذا: من أنفق في سبيل الله حبة فله سبعمائة حبة، لم يرسخ في الذهن كرسوخ المثل، لأن المثل الذي يستحضره الإنسان يرسخ قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فضرب الأمثال تقريب للعلم وترسيخ له وإعانة على الفهم، لهذا ينبغي لك إذا حدثت عاميًا ولم يفهم أن تضرب له مثلاً، اضرب له المثل بشيء يعقله ويعرفه حتى يعرف المعاني المعقولة بواسطة الأشياء المحسوسة. والله الموفق.

* * *

١٣٧٩ ـ وَعَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «فوالله لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٣٨٠ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وحدِّثوا عَنْ بَنِي إسْرَائيلَ وَلاَ حَرَجَ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس، رقم(٢٧٢٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم(٤٤٢٣).

فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[(١)]» رواه البخاري.

الشــرح

ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان فضل العلم، حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب حين أعطاه الراية يوم خيبر قال: «**امض على رسلك ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لئن يهدي بك الله رجلاً واحدً خير لك من حُمْر النعم**» أَقسم ﷺ أن الله لو هدى به رجلاً واحدًا لكان خيرًا له من حمر النعم. والحُمْر بسكون الميم جمع حمراء، وأما الحُمُر بضم الميم فهي جمع حمار، ولهذا يخطىء بعض الطلبة فيقول: خيرٌ لك من حُمُر النعم وهذا غلط، لأن الحُمُر جمع حمار، كما قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠]. أما حُمْر بسكون الميم فهي جمع حمراء وكذلك جمع أحمر لكنها هنا جمع حمراء، وهي الناقة الحمراء، وكانت أعجب المال إلى العرب في ذلك الزمان، وأحب المال إلى العرب في ذلك الزمن، فإذا هدى الله بك رجلاً واحدًا كان ذلك خيرًا لك من حمر النعم، ففي هذا حث على العلم وعلى التعليم وعلى الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه لا يمكن أن يدعو الإنسان إلى الله إلا وهو يعلم، فإذا كان يعلِّم ما يعلم من شريعة الله ودعا إلى ذلك كان هذا دليلاً على فضل العلم.

ثم ذكر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعن أبيه أن

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم(٣٢٠٢).

النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية**».

بلغوا عني: يعني بلغوا الناس بما أقول وبما أفعل وبجميع سننه عليه الصلاة والسلام «**بلغوا عني ولو آية**» من كتاب الله. ولو هنا للتقليل، يعني لا يَقُل الإنسان أنا لا أبلغ إلا إذا كنت عالمًا كبيرًا، لا، إنما يبلغ الإنسان ولو آية بشرط أن يكون قد علمها وأنها من كلام الرسول ﷺ ولهذا قال في آخر الحديث: «**ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» من كذب على الرسول متعمدًا يعلم أنه كاذب، فليتبوأ مقعده من النار، هنا اللام للأمر لكن المراد بالأمر هنا الخبر، يعني فقد تبوأ مقعده من النار والعياذ بالله ـ أي: فقد استحق أن يكون من ساكني النار، لأن الكذب على الرسول ليس كالكذب على واحد من الناس، الكذب على الرسول كذب على الله عزَّ وجلَّ، ثم هو كذب على الشريعة لأن ما يخبر به الرسول ﷺ من الوحي هو من شريعة الله وكذلك يُقال: الكذب على العالم ليس كالكذب على عامة الناس. يعني مثلاً تقول: قال فلان كذا وكذا، قال: هذا حرام هذا حلال، هذا واجب، هذا سنة، ـ وأنت تكذب ـ هذا أيضًا أشد من الكذب على عامة الناس، لأن العلماء ورثة الأنبياء يبلغون شريعة الله إرثًا لرسول الله ﷺ، فإذا كذبت عليهم، وقلت: قال العالم فلان: كذا وكذا ـ وأنت تكذب ـ فهذا إثمه عظيم، نسأل الله العافية، بعض الناس والعياذ بالله إذا اشتهى شيئًا يكف الناس عنه، قال: قال العالم الفلاني: هذا حرام وهو يكذب، لكن يعرف أن الناس إذا نسب العلم إلى فلان قبلوه، فيكذب، أو يقول: قال فلان هذا واجب، وهو كاذب، وهذا أشد من الكذب على عامة الناس.

فالحاصل أن من كذب على الرسول ﷺ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن نقل عنه حديثًا كذبًا يعلم أنه كذب فهو أحد الكاذبين، يعني فليتبوأ مقعده من النار.

وما أكثر ما يُنشر من النشرات التي فيها الترغيب أو الترهيب وهي مكذوبة على الرسول ﷺ لكن بعض المجتهدين الجهال ينشرون هذه النشرات ويوزعونها بكمية كبيرة يقولون: نعظ الناس بهذا، كيف تعظونهم بشيء كذب؟ ولهذا يجب الحذر من هذه المنشورات التي تنشر في المساجد أو تعلق على الأبواب، أبواب المساجد أو غير ذلك، يجب الحذر منها، وربما يكون فيها أشياء مكذوبة فيكون الذي ينشرها قد تبوأ مقعده من النار إذا علم أنها كذب.

وقال في حديث عبد الله بن عمرو: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، بنو إسرائيل اليهود والنصارى إذا قالوا قولاً فحدث عنهم ولا حرج عليك، بشرط أن لا تعلم أنه مخالف للشريعة، لأن بني إسرائيل عندهم كذب، يُحرّفون الكلم عن مواضعه ويكذبون، فإذا أخبروك بخبر فلا بأس أن تحدث به بشرط أن لا يكون مخالفًا لما جاء في شريعة الرسول ﷺ فإن كان مخالفًا له فإنه لا يجوز أن يحدث، إلا إذا حدث به ليبين أنه باطل فلا حرج، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

١٣٨١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ له بِهِ طريقًا إلى الجنَّة[1]» رواه مسلم.

١٣٨٢ - وَعَنْهُ أيْضًا رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لَهُ مِنَ الأجرِ مِثلُ مَنْ تَبعَهُ لا يَنْقُصُ ذلكَ من أُجُورِهِمْ شيئًا[2]». رواه مسلم.

الشــرح

هذه الأحاديث الثلاثة في بيان فضل العلم وآثاره الحميدة، عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة**» سلوك الطريق يشمل الطريق الحسي الذي تقرعه الأقدام، مثل أن يأتي الإنسان من بيته إلى مكان العلم سواء كان مكان العلم مسجدًا أو مدرسة أو كلية أو غير ذلك، ومن ذلك أيضًا الرحلة في طلب العلم أن يرتحل الإنسان من بلده إلى بلد آخر يلتمس العلم فهذا سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، وقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ في حديث واحد مسيرة شهر كامل على الرواحل على الإبل، سار من بلده إلى بلد مسيرة شهر من أجل حديث واحد رواه عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ.

أما الثاني: فهو الطريق المعنوي، وهو أن يلتمس العلم من أفواه

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم(٤٨٦٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم(٤٨٣١).

العلماء ومن بطون الكتب، فالذي يراجع الكتب للعثور على حكم مسألة شرعية وإن كان جالسًا على كرسيه فإنه قد سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا. ومن جلس إلى شيخ يتعلم منه فإنه قد سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا ولو كان جالسًا، فسلوك الطريق ينقسم إلى قسمين:

قسمٌ يُراد به الطريق الذي تقرعه الأقدام. والثاني يُراد به الطريق الذي يتوصل به إلى العلم وإن كان جالسًا؛ من سلك هذا الطريق سهل الله له به طريقًا إلى الجنة؛ لأن العلم الشرعي تعرف به حكم ما أنزل الله، تعرف به شريعة الله، تعرف به أوامر الله، تعرف به نواهي الله، فتستدل به على الطريق الذي يرضي الله عزَّ وجلَّ ويوصلك إلى الجنة، وكلما ازددت حرصًا في سلوك الطرق الموصلة إلى العلم ازددت طرقًا توصلك إلى الجنة - نسأل الله من فضله العظيم -.

وفي هذا الحديث من الترغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد، فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة ولا سيما الشاب الذي يحفظ سريعًا، ويمكث في ذهنه ما حفظه ينبغي له أن يبادر الوقت، ويبادر العلم قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك.

أما الحديث الثاني فهو أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى فله أجر من اتبعه**» يعني إلى يوم القيامة «**من دعا إلى هدى**» يعني علم الناس، فإن الداعي إلى الهدى هو الذي يعلم الناس ويبين لهم الحق ويرشدهم إليه، فهذا له مثل أجر من فعله، مثلاً دللت إنسانًا على أنه ينبغي له أن يوتر، يجعل آخر صلاته في الليل وترًا، كما أمر النبي ﷺ قال:

«اجعلوا آخر صلاتكم في الليل وترًا[١]» وحثثت على الوتر ورغبت فيه فأوتر أحد من الناس بناء على كلامك وعلى توجيهك، فلك مثل أجره، فإن علم بذلك آخر منك أو من الذي علمته أنت فلك مثل أجره، وإن تسلسلوا إلى يوم القيامة.

وفي هذا دليلٌ على كثرة أجور النبي ﷺ لأنه دل الأمة على الهدى فكل منَ عمل من هذه الأمة بهدي فللنبي ﷺ أجره من غير أن ينقص من أجورهم شيء، فالأجر تام للفاعل والداعي، وإذا تبين أن النبي ﷺ له أجر ما عملته أمته، تبين بذلك خطأ من يهدي ثواب العبادة للرسول ﷺ، يعني مثلاً بعض الناس اجتهد وصار يصلي ركعتين ويقول اللهم اجعل ثوابها للرسول ﷺ، يقرأ قرآنًا ويقول: اللهم اجعل ثوابه للرسول ﷺ، هذا غلط وأول ما حدث هذا في القرن الرابع الهجري، يعني بعد ثلاثمائة سنة من موت الرسول، استحسن بعض العلماء أنه يفعل هذا، قال: أنا كما أهدي لأبي وأمي صدقة أو صلاة أو ذكرًا أهديه للرسول ﷺ نقول: هذا خطأ فنقول وسفه في التصور وضلال في الدين، كيف ذلك؟ نسأله ونقول هل أنت أعظم حبًّا للرسول ﷺ من أبي بكر رضي الله عنه؟ فيقول: لا. أعظم من عمر رضي الله عنه؟ لا. أعظم من عثمان رضي الله عنه؟ لا. أعظم من علي رضي الله عنه؟ لا. أعظم من ابن عباس، ابن مسعود، من الصحابة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ليجعل آخر صلاة وترًا، رقم(٩٤٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى، رقم(١٢٤٥).

رضوان الله عليهم؟ لا . هل أحد منهم أهدى للرسول عليه الصلاة والسلام عملاً صالحًا؟ أبدًا، وكذلك التابعون والأئمة رحمهم الله الإمام أحمد بن حنبل، الشافعي، مالك، أبو حنيفة ما فعلوا هذا، ما الذي أطلعك على شيء لم يعلموا به أو لم يعملوا به، من أنت؟ فهو خطأ في التصور وضلال في الدين؛ لأن أي عمل تعمله ولو كان ثوابه لك فللرسول ﷺ مثله، وإن لم تقل شيئًا. أي عملٍ، لو تصلي ركعتين أجرهما لك وللرسول مثله من غير أن ينقص من أجرك شيء، إذًا ما الفائدة؟ لا يعني إهداؤك القرب للرسول إلا أنك حرمت نفسك من الأجر فقط، وللرسول مثل أجرك سواء أهديت له أو لم تهدِ؛ لأنه يقول ﷺ: «**من دعا إلى هدى فله أجر من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيء**» فلا حاجة.

إذًا نأخذ من هذا الحديث فضيلة العلم، لأن العلم به الدلالة على الهدى والحث على التقوى فالعلم أفضل بكثير من المال حتى لو تصدق الإنسان بأموال عظيمة طائلة فالعلم ونشر العلم أفضل.

وأضرب لكم مثلا الآن، في عهد أبي هريرة رضي الله عنه خلفاء ملكوا الدنيا، وفي عهد الإمام أحمد رحمه الله أغنياء ملكوا أموالاً عظيمة وتصدقوا وأوقفوا، في عهد من بعدهم كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله أناس أغنياء تصدقوا وأنفقوا وأوقفوا أين ذهب المال؟ أين ذهب ما أنفقوه؟ أين ذهب ما وقفوه؟، لقد ذهب فلا يوجد له أثر الآن، لكن أحاديث أبي هريرة تتلى في كل وقت ليلاً ونهارًا ويأتيه أجرها، الأئمة أيضًا علمهم وفقههم منشور بين الأمة يأتيهم أجرهم وهكذا شيخ الإسلام

ابن تيمية، وابن القيم وغيرهم من العلماء ماتوا لكن ذكرهم حي باق يعلمون الناس وهم في قبورهم، ينالهم الأجر وهم في قبورهم، وهذا يدل على أن العلم أفضل بكثير من المال وأنفع للإنسان، وسيأتي إن شاء الله تعالى في حديث أبي هريرة الذي ذكره المؤلف: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» والله الموفق.

* * *

١٣٨٣ ـ وعَنْهُ قالَ قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صالحٍ يَدعُو لَهُ[1]» رواه مسلم.

الشـــرح

ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله تعالى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» وهذا الحديث فيه حث الإنسان على المبادرة بالأعمال الصالحة؛ لأنه لا يدري متى يفاجئه الموت، فليبادر قبل أن ينقطع العمل بالعمل الصالح الذي يزداد به رفعة عند الله سبحانه وتعالى وثوابًا، ومن المعلوم أن كل واحد منا لا يعلم متى يموت، ولا يعلم أين يموت، كما قال الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

(١) رواه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم(٣٠٨٤).

تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

فإذا كان الأمر كذلك فإن العاقل ينتهز الفرص، فرص العمر في طاعة الله عزَّ وجلَّ قبل أن يأتيه الموت، ولم يستعتب ولم يتب، وقوله: «**انقطع عمله**» يشمل كل عمل لا يكتب له ولا عليه إذا مات لأنه انتقل إلى دار الجزاء، أما دار العمل فهي دار الدنيا، فالدور كلها بعد ذلك دور جزاء، إلا من ثلاث:

صدقة جارية: يعني أن يتصدق الإنسان بشيء ويستمر هذا الشيء وأحسن ما يكون المساجد، وبناء المساجد صدقة جارية، لأن أجر الباني مستمر ما دام هذا المسجد قائمًا ليلاً ونهارًا، والمسلمون يمكثون في المساجد في صلاتهم وقراءتهم وتعلمهم العلم وتعليمهم العلم وغير ذلك، ومن الصدقات الجارية أن يوقف الإنسان وقفًا من عقار أو بستان أو نحوه على الفقراء والمساكين أو على طلبة العلم أو على المجاهدين في سبيل الله أو ما أشبه ذلك، ومن الصدقات الجارية أن يطبع الإنسان كتبًا نافعة للمسلمين يقرءون فيها وينتفعون بها، سواء كانت من مؤلفين في عصره أو من مؤلفين سابقين، المهم أن تكون كتبًا نافعة ينتفع بها المسلمون من بعده.

ومن الصدقات الجارية إصلاح الطرق، فإن الإنسان إذا أصلح الطرق وأزال عنها الأذى واستمر الناس ينتفعون بهذا، فإن ذلك من الصدقات الجارية، والقاعدة في الصدقة الجارية: كل عمل صالح يستمر للإنسان بعد موته.

أما الثاني: «**فعلم ينتفع به**»: وهذا أعمها وأشملها وأنفعها أن يترك الإنسان وراءه علمًا ينتفع المسلمون به، سواء ورث من بعده بالتعليم الشفوي أو بالكتابة، فتأليف الكتب وتعليم الناس وتداول الناس لهذه المعلومات ما دام مستمرًّا فأجر المعلم جار مستمر؛ لأن الناس ينتفعون بهذا العلم الذي ورثه.

والثالث: «**ولد صالح يدعو له**» ولد يشمل ذكرًا أو أنثى - يعني ابنًا أو بنتًا، يشمل ابنك من صلبك وابنتك من صلبك وأبناء أبنائك وأبناء بناتك وبنات أبنائك وبنات بناتك إلى آخره. ولد صالح يدعو للإنسان بعد موته، هذا أيضًا يُثاب عليه الإنسان، وانظر كيف قال الرسول ﷺ: «**ولد صالح يدعو له**»، ولم يقل: ولد صالح يصلي له، أو يقرأ له القرآن، أو يتصدق عنه، أو يصوم عنه، لا، ما قال هذا مع أن هذه كلها أعمال صالحة، بل قال: «**ولدٌ صالحٌ يدعو له**»، وفي هذا دليل على أن الدعاء لأبيه وأمه وجده وجدته أفضل من الصدقة عنهم، وأفضل من الصلاة لهم، وأفضل من الصيام لهم؛ لأن النبي ﷺ لا يمكن أن يدل أمته إلا على خير ما يعلَمُه لهم، ما من نبي بعثه الله إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم. فلو علم الرسول ﷺ أن كونك تتصدق عن أبيك وأمك أفضل من الدعاء، لقال الصدقة ولم يقل الدعاء، فلما عدل عن الصدقات، والصيام، والصلاة، وقراءة القرآن والمقام مقام تحدث عن الأعمال، لما عدل من هذه الأعمال إلى الدعاء علمنا يقينًا لا إشكال فيه أن الدعاء أفضل من ذلك، فلو سألنا سائل: أيهما أفضل أتصدق لأبي أو أدعو له؟ قلنا: الدعاء أفضل؛ لأن رسول الله ﷺ

هكذا أرشدنا، فقال: «أو ولد صالح يدعو له»، والعجيب أن العوام وأشباه العوام يظنون أن الإنسان إذا تصدق عن أبيه أو صام يومًا لأبيه أو قرأ حزبًا من القرآن لأبيه، أو ما أشبه ذلك، يرون أنه أفضل من الدعاء، ومصدر هذا هو الجهل، وإلا فمن تدبر النصوص علم أن الدعاء أفضل، ولهذا لم يرشد النبي ﷺ في أي حديث بحرف واحد إلى العمل الصالح يجعله الإنسان لوالده أبدًا، قال الإمام مالك أنه حصلت قضايا أعيان يسأله الصحابي، هل يتصدق عن أبيه وهو ميت أو عن أمه وهي ميتة؟

فيقول: نعم، لا بأس، لكنه لم يحث الأمة على ذلك ولم يرشدهم إلى هذا، لكن سُئل في قضايا أعيان، سعد بن عبادة رضي الله عنه سأله هل يتصدق بحائطه يعني ببستانه عن أمه بعد موتها، قال الرسول ﷺ: «نعم». وجاءه رجل قال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها، يعني ماتت بغتة، أفأتصدق عنها، قال: «نعم»، لكن لما أراد أن يشرع تشريعًا عامًا للأمة قال: «أو ولد صالح يدعو له». نسأل الله أن يغفر لنا ولكم ولوالدينا وللمسلمين جميعًا.

* * *

١٣٨٨ ـ وعَنْ أَبِي الدَّرداء رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمَاوَاتِ ومَنْ في الأرضِ حَتَّى الحِيتَانُ في الماءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَواكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأنْبِيَاءِ لَمْ

يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ. فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وافرٍ[١]» رواه أبوداود والترمذي.

الشــــرح

ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله تعالى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**» وقد سبق بيان معنى هذه الجملة، وفيه أيضًا من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر**»، وهذا يدل على فضل العلم. «**وأن العلماء يستغفر لهم أهل السماء والأرض وحتى الحيتان في البحر وحتى الدواب في البر، كل شيء يستغفر له**» ولا تستغرب أن تكون هذه الحيوانات تستغفر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للعالم، لأن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. فالبهائم والحشرات تعلم ربها عزَّ وجلَّ وتعرفه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾ [الإسراء: ٤٤].

كل شيء يسبح بحمد الله حتى إن الحصى سمع تسبيحه بين يدي النبي

---

(١) رواه أحمد (٥/١٩٦)، وأبوداود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم(٣١٥٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم(٢٦٠٦)، وابن ماجه: المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم(٢١٩).

ﷺ وهو حصى؛ لأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه حتى إن الله قال للسماوات والأرض ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]. فخاطبهما فخاطباه ائتيا طوعًا أو كرهًا يعني لما أمرهما به، قالتا: أتينا طائعين، فكل شيء يمتثل أمر الله عزَّ وجلَّ إلا الكفرة من بني آدم والجن، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز أن كثيرًا من الناس يسجد لله عزَّ وجلَّ، وكثيرٌ حق عليه العذاب ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحج: ١٨]. لا يسجد، ولهذا الكافر لا يستجيب لله، ولا يسجد لله شرعًا وتعبدًا، لكنه يسجد لله ذلاً قدريًّا ما له مفر عما قضى الله، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥]. والسجود هنا السجود القدري، فكل أحد خاضع لقدر الله، لا أحد يستطيع أن يغالب الله عزَّ وجلَّ، أين المفرّ؟ يقول الشاعر الجاهلي(١):

أيـــن المفـــر والإلـــه الطـــالـــب
والأشـــرم المغلـــوب ليـــس الغـــالـــب

فالسجود الشرعي كثيرٌ من الناس حق عليهم العذاب فلم يسجدوا، على أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كلها تسجد لله عزَّ وجلَّ.

لكن الكفرة من بني آدم ومن الجن لا يسجدون لله تعالى إلا السجود

---

(١) قاله نفيل بن حبيب يوم حادثة الفيل. انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥١).

الكوني القدري ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

والحاصل: أن الله تعالى سخر هذه الكائنات تستغفر للعالم، وأفضل من ذلك أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع.

الملائكة الكرام الذين كرمهم الله عزَّ وجلَّ تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يفعل، هل ترون فضلاً أعظم من هذا، أن الملائكة ـ ملائكة الله عزَّ وجلَّ ـ تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، هذا فضلٌ عظيمٌ.

وبيَّن النبي ﷺ في حديث أبي الدرداء أن العلماء ورثة الأنبياء، لو سألت من الذي يرث الأنبياء؟ العبَّاد الذين يركعون ويسجدون ليلاً ونهارًا؟ لا. أقارب الأنبياء؟ لا يرث الأنبياء إلا العلماء ـ اللهم اجعلنا منهم ـ العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم من الأنبياء، وورثوا العمل كما يعمل الأنبياء ـ وورثوا الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، وورثوا هداية الخلق ودلالتهم على شريعة الله، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، توفي النبي ﷺ عن ابنته فاطمة، وعن عمه العباس، وعن أبناء عمه وعن زوجاته، ولم ترثه ابنته ولا زوجاته ولا عصبته؛ لأن الأنبياء لا يورثون درهمًا ولا دينارًا، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ أنهم لا يورثون لئلا يقول قائل: إن النبي إنما ادعى النبوة لأجل أن يملك، فيرثه أقاربه من بعده، فقطع هذا، وقيل: النبي لا يرثه ولده، وأما قول زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥، ٦]. فالمراد بذلك إرث العلم والنبوة وليس إرث المال، فالأنبياء لا يورثون،

ما ورثوا درهمًا ولا دينارًا، إنما ورثوا هذا العلم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وهذا أعظم ميراث، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، أي بنصيب وافر كثير، من أخذ بهذا العلم، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن أخذيه، هذا هو الإرث الحقيقي النافع، العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم.

أليس الإنسان يسعى من شرق الأرض إلى مغربها من أجل أن يحصل على مال خلفه أبوه له وهو متاع دنيا، فلماذا لا نسعى من مشارق الأرض ومغاربها إلى أخذ العلم الذي هو ميراث من؟ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

جدير بنا أن نسعى بكل ما نستطيع لأخذ العلم الموروث عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ولو لم يكن من فضل العلم إلا أن العالم كلما عمل شيئًا فهو يشعر مع إخلاصه لله عزَّ وجلّ بأن إمامه محمد ﷺ، لأنه يعبد الله على بصيرة، عندما يتوضأ يشعر كأن الرسول ﷺ أمامه، يتوضأ الآن، يتبعه تمامًا، وكذلك في الصلاة وغيرها من العبادات، لو لم يأتك من فضل العلم إلا هذا لكان كافيًا، فكيف وهذا الفضل العظيم في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، فالحاصل أن الإنسان الذي يمن الله عليه بالعلم فقد منّ الله عليه بما هو أعظم من الأموال والبنين والزوجات والقصور والمراكب وكل شيء.

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ وابذل الوسع في الطلب

والتحصيل والتدقيق ومهما بلغت في العلم فتذكر كم ترك الأول للآخر.

ثم اعلم أن ميراث النبيّ ﷺ إما أن يكون بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية، فإن كان بالقرآن الكريم فقد كُفيت إسناده والنظر فيه لأن القرآن لا يحتاج إلى إسناد، إذ أنه متواتر أعظم التواتر، وأما إذا كان بالسنة النبوية فلابد من أن تنظر، أولاً: هل صحت نسبته إلى الرسول ﷺ أم لم تصح؟ فإن كنت تستطيع أن تمحص ذلك بنفسك فهذا هو الأولى، وإلا فقلّب. فإن لم تستطع فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع.

وقولنا: «ابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق» بذل الوسع يعني الطاقة، بذل الطاقة في التدقيق أمر مهمّ لأن بعض الناس يأخذ بظواهر النصوص وبعموماتها دون أن يدقق، هل هذا الظاهر مراد أو غير مراد؟ وهل هذا العام مخصص أو غير مخصص؟ وهل هذا المطلق مقيد أو غير مقيد؟ فتجده يضرب السُّنة بعضها ببعض ولا يدقق لأنه ليس عنده علم في هذا الأمر، لا يدقق، وهذا يغلب على كثير من الشباب اليوم الذين يعتنون بالسنة، تجد الواحد منهم يتسرع في الحكم المستفاد من الحديث، أو في الحكم على الحديث، وهذا خطر عظيم.

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من تاريخ بغداد، يقول: «مهما بلغت في العلم فتذكر كم ترك الأول للآخر» هذا كلام طيب، لكن أحسن من ذلك أن نقول: مهما بلغت في العلم فتذكر قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، يعني هذا من القرآن، وأوضح في الدلالة من

قوله: «كم ترك الأول للآخر» وتذكر أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

اللهم ارزقنا علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا، ورزقًا طيبًا واسعًا تغننا به عن خلقك، إنك على كل شيء قدير.

* * *

١٣٨٩ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «نضَّر الله امْرءا سمع مِنَّا شيئًا، فبلَّغَهُ كما سمعهُ، فرُبَّ مبلغٍ أوْعَى مِنْ سامع[(١)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٩٠ ـ وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سُئل عَنْ علم فَكَتَمَهُ، أُلجم يومَ القيامة بلجام من نار[(٢)]» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشـــرح

ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله تعالى أحاديث متعددة سبق كثير منها، ومنها حديث ابن مسعود رضي الله

---

(١) رواه أحمد (٥/٤٩)، وأبوداود: كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم(٣١٧٥)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبيلغ السماع، رقم(٢٥٨١).

(٢) رواه أحمد (٢/٢٦٣)، وأبوداود: كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، رقم(٣١٧٣)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، رقم(٢٥٧٣)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، رقم(٢٦٠).

عنه أن النبي ﷺ قال: «**نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا، يعني مقالاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**» نضر الله يعني حسنه، لأن نضر بالضاد من الحسن، ومنه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. ناضرة يعني حسنة، إلى ربها ناظرة يعني تنظر بالعين إلى الله عزَّ وجلَّ، جلعنا الله وإياكم منهم، وكذلك أيضًا قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]. أي حسنًا وسرورًا، حسنًا في الوجوه وسرورًا في القلوب، هنا يقول: نضر الله امرءًا سمع منا ـ يعني مقالاً ـ فأداه كما سمعه، والمراد بذلك أن النبي ﷺ دعا للإنسان إذا سمع حديثًا عن رسول الله ﷺ فبلغه كما سمعه، أن يحسن الله تعالى وجهه يوم القيامة.

فرب مبلغ أوعى من سامع، لأنه ربما يكون الإنسان يسمع الحديث ويبلغه ويكون المبلغ أوعى من السامع يعني أفقه وأفهم وأشد عملاً من الإنسان الذي سمعه وأداه، وهذا كما قال النبي ﷺ معلوم، تجد مثلاً من العلماء من هو راوية يروي الحديث ويحفظه ويؤديه لكنه لا يعرف معناه فيبلغه إلى شخص آخر من العلماء يعرف المعنى ويفهمه ويستنتج من أحاديث الرسول ﷺ أحكامًا كثيرة فينفع الناس، وقد سبق أن مثل الأول كمثل الأرض التي أمسكت الماء فروى الناس وارتووا لكنها لا تنبت، وأما الأرض الرياض التي أنبتت فهم الفقهاء الذين عرفوا الأحاديث وفقهوها واستنتجوا منها الأحكام الشرعية.

أما حديث أبي هريرة بعد هذا فقد توعد النبي ﷺ من سئل عن علم

فكتمه بأن يلجم يوم القيامة بلجام من نار، أي يوضع على فمه لجام من نار، نسأل الله العافية، لأنه كتم ما أنزل الله بعد أن سئل عنه، وهذا إذا علمت أن السائل يسأل لاسترشاده فلا يجوز لك أن تمنع، أما إذا علمت أنه يسأل امتحانًا وليس قصده أن يسترشد فيعلم ويعمل، فأنت بالخيار إن شئت فعلّمه وإن شئت فلا تعلمه، لقول الله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]. لأن الله علم أن هؤلاء يأتون النبي ﷺ يستحكمونه لا لأجل أن يعملوا بكلامه ولكن لينظروا ما عنده، فإذا علمت أن هذا الرجل جاء يسألك عن علم امتحانًا فقط، لا طلبًا للحق، فأنت بالخيار إن شئت فافعل وأَفتِه وعلّمه، وإن شئت فلا تُفتِه، ولا تعلِّمه، كذلك إذا علمت أنه يحصل من الفتوى مفسدة كبيرة فلا بأس أن ترجيء الإفتاء، لا تكتم لكن لا بأس أن ترجئ الإفتاء إلى وقت يكون فيه المصلحة، لأنه أحيانًا تكون الفتوى لو أفتيت بها سببًا للشر والفساد، فأنت إذا رأيت أنها سبب للشر والفساد وأجلت الإجابة فلا حرج عليك في ذلك والله الموفق.

* * *

١٣٩١ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله عزَّ وَجَلَّ لا يَتَعَلَّمُهُ إلا ليُصيب بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يَوْم القِيَامَةِ[1]» يعْنِي: ريحَها، رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٣٨)، وأبوداود: كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، =

الشـــرح

من فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله، ما ساقه المؤلف رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»، يعني ريحها، والعلوم تنقسم إلى قسمين:

قسم: يُراد به وجه الله وهو العلوم الشرعية وما يساندها من علوم عربية.

وقسم آخر: علم الدنيا، كعلم الهندسة والبناء والميكانيكا وما أشبه ذلك.

فأما الثاني: علم الدنيا ـ فلا بأس أن يطلب الإنسان به عرض الدنيا، يتعلم الهندسة ليكون مهندسًا يأخذ راتبًا وأجرة، يتعلم الميكانيكا من أجل أن يكون ميكانيكيًّا يعمل ويكدح وينوي الدنيا، هذا لا حرج عليه أن ينوي في تعلمه الدنيا، لكن لو نوى نفع المسلمين بما تعلم لكان ذلك خيرًا له وينال بذلك الدين والدنيا، يعني لو قال: أنا أريد تعلم الهندسة من أجل أن أكفي المسلمين أن يجلبوا مهندسين كفارًا مثلاً، لكان هذا طيبًا، أو يتعلم الميكانيكا من أجل أن يسد حاجة المسلمين فيما إذا احتاجوا ميكانيكيين، فهذا خيرٌ وله أجر على ذلك، لكن لو لم يرد إلا الدنيا فله ذلك ولا إثم

= رقم(٣١٧٩)، وابن ماجه: المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم(٢٤٨).

عليه، كالذي يبيع ويشتري من أجل زيادة المال.

أما القسم الأول: الذي يتعلم شريعة الله عزَّ وجلَّ وما يساندها، فهذا علم لا يبتغى به إلا وجه الله، إذا أراد به الدنيا فإنه لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وهذا وعيد شديدٌ والعياذ بالله، يدل على أن من قصد بتعلم الشرع شيئًا من أمور الدنيا فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يبارك له في علمه، يعني مثلاً، قال: أريد أن أتعلم من أجل أن أصرف وجوه الناس إليّ حتى يحترموني ويعظِّموني، أريد أن أتعلم حتى أكون مدرسًا فآخذ راتبًا، وما أشبه ذلك، هذا والعياذ بالله لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وقد أشكل على هذا أو قد روَّع هذا بعض الذين يقرءون في المدارس النظامية كالمعاهد والكليات من أجل أن ينالوا الشهادة، فيقال: نيل الشهادة ليس للدنيا وحدها قد يكون للدنيا وحدها وقد يكون للآخرة، فإذا قال الطالب: أنا أطلب العلم لأنال الشهادة حتى أتمكن من وظائف التدريس وأنفع الناس بذلك أو حتى أكون مديرًا في دائرة أُوجِّه مَنْ فيها إلى الخير، فهذا خيرٌ ونية طيبة وليس فيها إثم ولا حرج.

وذلك أنه مع الأسف في الوقت الحاضر صار مقياس كفاءة الناس الوحيد هذه الشهادات، فالحاصل عليها يتوظف ويتولى قيادةً على حسب هذه الشهادة، كما يتولى التدريس في الكليات والجامعات، أما غيره ولو كان لديه إلمام جيد في العلم فلا يحصل على الميزات لأنه لا يحمل شهادة، فنظرًا لأن الأحوال قد تغيرت وانقلبت إلى هذا المآل، نقول: إذا طلبت العلم من أجل أن تنال الشهادة التي تتمكن بها من تولِّي التدريس،

لا لأجل الدنيا لكن لأجل نفع الخلق فإن هذا لا بأس به ولا تُعَدُّ قاصدًا بذلك الدنيا ولا ينالك هذا الوعيد، فالحمد لله، إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فهذا ميزان وانظر قلبك ماذا نوى.

فعلى هذا فالذي يطلب العلوم الشرعية في الجامعة من أجل أن ينال الشهادة نقول: ما الذي تريده: هل أنت تريد أن تنال الشهادة من أجل أن تكون في المرتبة الفلانية وراتبك كذا وكذا، إذا قال: نعم، أنا أريد هذا. نقول: خبت وخسرت، ما دمت تريد الدنيا.

أما إذا قال: لا، أنا أريد أن أنفع الخلق، لأنه الآن لا يمكن الوصول إلى نفع الخلق بالتدريس إلا بالشهادات وأنا أريد أن أصل إلى هذا، كما أنه لا ينال الإنسان وظيفة كبيرة يكون قائدًا فيها على جماعة من المسلمين إلا بالشهادة وأنا أريد هذا، قلنا؛ الحمد لله، هذه نية طيبة وليس عليك شيء، والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى. المهم: أن تحذر أخي طالب العلم من النيات السيئة، فالعلم الشرعي أعزُّ وأرفع وأعلى من أن تريد به عرضًا زائلاً من الدنيا، ولو بقيت عندك الدنيا فلابد إما أن تفارقها أو تفارقك، إما أن تفتقر وتعدم المال وإما أن تموت ويذهب المال لغيرك.

لكنَّ أمور الآخرة باقية، فلماذا تجعل العلم الشرعي الذي هو من أَجَلِّ العبادات وأفضل العبادات سُلمًا لتنال به عرضًا من الدنيا؟ إنَّ هذا سفه في العقل وضلال في الدين، لابد أن تجعل العلم الشرعي لله عزَّ

وجلَّ ولحماية شريعته سبحانه وتعالى، ورفع الجهل عن نفسك وعن إخوانك المسلمين وللدلالة على الهدى ولتنال ميراث النبي ﷺ لأن العلماء ورثة الأنبياء، نسأل الله أن يخلص لنا ولكم النية ويصلح العمل، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٣٩٢ ـ وعَنْ عَبدِ اللهِ بن عَمرٍو بن العاص رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ انتِزَاعًا ينتزعُهُ من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماءِ حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتَّخذ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالاً، فَسِئُلُوا، فأَفْتَوا بغير علمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا[1]» متفقٌ عليه.

الشــرح

ساق المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله تعالى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من صدور الرجال» ففي هذا الحديث إشارة إلى أن العلم سيقبض، ولا يبقى في الأرض عالم يرشد الناس إلى دين الله، فتتدهور الأمة وتضل ثم بعد ذلك ينزع منها القرآن، ينزع من الصدور، ومن المصاحف. فكما قال أهل السنة: إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، قالوا: معنى وإليه يعود أي يرجع إلى الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم(٩٨)، ومسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم(٤٨٢٨).

عزَّ وجلَّ في آخر الزمان حين يهجره الناس هجرًا تامًّا لا يقرؤونه ولا يعملون به، ونظير ذلك الكعبة المشرفة حماها الله عزَّ وجلَّ لما أراد أبرهة أن يهدمها وقدم إليها بفيل عظيم وجنود كثيرة حماها الله عزَّ وجلَّ منه وأنزل الله في ذلك سورة كاملة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١ـ٥].

﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ طيور أرسلها الله عزَّ وجلَّ، أبابيل يعني جماعات متفرقة كل واحد في منقاره وبين رجليه حجارة من سجيل يعني من طين مشوي صلب فكانت هذه الطيور بأمر الله ترسل هذه الحجارة على هؤلاء الجنود حتى أنها تضرب الرجل من رأسه وتخرج من دبره ـ نعوذ بالله ـ، حتى جعلهم كعصف مأكول يعني كعصف الزرع الذي أكلته البهائم واختلط بعضه ببعض، لكن في آخر الزمان إذا انتهك الناس حرمة هذا البيت وأكثروا فيه من المعاصي وغير ذلك مما يعد امتهانًا لحرمته سلط الله عليهم رجلاً من الحبشة أبعج قصيرًا فينقضها حجرًا حجرًا، يأتي إليها بجنود، فينقضها يهدمها حجرًا حجرًا، إذا نزع الحجر أعطاه أحد الجنود ثم التالي الذي بجنبه من مكة إلى البحر، يتمادون حجارتها حتى تهدم عن آخرها، فانظر واعتبر وتأمل فقد حماها الله عزَّ وجلَّ - في الزمن الأول - من أولئك الكفرة؛ لأنه يعلم أنه سيبعث فيها رسولاً ينقل الناس من الضلال والظلم والشرك إلى الهدى والعدل والتوحيد. أمّا في آخر الزمان عندما ينتهك الناس هذه الحرمة فإن الله يسلط عليها بحكمته مَنْ يهدمها،

ولا أحد يقول شيئًا، ولا أحد يعارض هذا الرجل، والله عزَّ وجلَّ بحكمته يمكِّنه من ذلك، وكذلك القرآن الكريم ينتزع من الصدور ومن المصاحف ويرفع إلى الرب عزَّ وجلَّ، لأنه كلامه منه بدأ وإليه يعود.

العلم أيضًا لا ينتزع من صدور الرجال لكنه يقبض بموت العلماء، يموت العلماء الذين هم علماء حقيقة ولا يبقى عالم، فيتخذ الناس رؤساء، يعني يتخذ الناس من يترأسهم ويستفتونه، لكنهم جهال يفتون بغير علم فيَضِلُّون ويُضِلُّون، والعياذ بالله، وتبقى الشريعة بين هؤلاء الجهال يحكمون بها بين الناس وهم جهلة وحينئذٍ لا يوجد الإسلام الحقيقي الذي يكون مبنيًّا على الكتاب والسنة؛ لأن أهله قد قبضوا.

وفي هذا الحديث حث وتأكيد على طلب العلم حتى لا نصل إلى الحال التي وصفها الرسول ﷺ.

والإخبار بالواقع لا يعني إقراره. يعني إذا أخبر الرسول ﷺ عن شيء ليس معناه أنه يقره ويسمح فيه، كما أخبر عليه الصلاة والسلام وأقسم: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» يعني لتركبن طرق من كان قبلكم ـ قالوا: اليهود والنصارى، قال: «**نعم، اليهود والنصارى**[1]»، فأخبر أن هذه الأمة سوف ترتكب ما كان عليه اليهود والنصارى، إخبار تحذير لا إخبار تقرير وإباحة، فيجب أن نعلم الفرق بين ما يخبر به الرسول مقررًا له ومثبتًا له،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتتبعن...، رقم(٦٧٧٥).

وما يخبر به محذرًا عنه، فالرسول ﷺ أخبر بأن العلماء سيموتون ويعني ذلك أن نحرص حتى لا يدركنا هذا الوقت الذي يموت به العلماء ولا يبقى إلا هؤلاء الرؤوساء الجهال الذين يفتون بغير علم فَيضِلُّون بأنفسهم ويُضِلُّون غيرهم.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا، ورزقًا طيبًا واسعًا.

* * *

كتاب حمد الله تعالى وشكره

٢٤٢ـ باب فضل الحمد والشكر

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب حمد الله وشكره ـ «حمد الله» يعني وصفه بالمحامد والكمالات وتنزيهه عن كل ما ينافي ذلك ويضاده، فهو سبحانه وتعالى أهل الحمد، يحمد على جميل إحسانه وعلى كمال صفاته جلَّ وعلا مع المحبة والتعظيم، وقد حمد الله نفسه في ابتداء خلقه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. وحمد نفسه على تنزيهه عن الشريك والند، فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وحمد نفسه جلَّ وعلا عند انتهاء الخلق فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]. فهو جل وعلا محمود في ابتداء الخلق وانتهاء الخلق واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، بل محمود على كل حال، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره. قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[١]»، وإذا أتاه ما يخالف ذلك

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٧٩٣).

قال: «**الحمد لله على كل حال**[١]»، وما يقوله بعض الناس اليوم: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهو خطأ غلط، لأنك إذا قلت: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهو عنوان على أنك كاره لما قدِّر عليك، ولكن قل كما قال النبي ﷺ: «**الحمد لله على كل حال**»، هذا هو الصواب وهو السنة التي جاءت عن النبي ﷺ.

وقد حمد الله نفسه وأمر بحمده فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. فأمرنا أن نحمده جل وعلا، بل جعل حمدنا إياه من أركان الصلاة لا تتم الصلاة إلا به، فالفاتحة أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لو أسقطت هذه الآية من الفاتحة ما صحت صلاتك، فحمد الله تعالى واجب على كل إنسان، وكذلك الشكر، الشكر على إنعامه، كم أنعم عليك من نعمة؟! عقل وسلامة بدن، ومال، وأهل، وأمن، نِعَمٌ لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. لو لم يكن من نعمته عليك إلا هذا النفس الذي لو اغتممته لفقدت الحياة، مع أنه يخرج بدون أن تحس به وبدون أن تتعب له، وانظر إلى الذين ابتلوا بضيق النفس، كيف يتكلفون عند إدخال النفس وإخراجه، وهذا النفس مستمر دائم، نعمة لا تحصى أبدًا، العقل، الأولاد، المال، الدِّين كل هذه نعم عظيمة، يستحق جل وعلا أن يشكر عليها، والشكر، قال أهل العلم: هو القيام بطاعة المنعم، هذا هو الشكر أن تقوم بطاعة المنعم ولا سيما

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما جاء في تشميت العاطس، رقم(٤٣٧٧)، والترمذي: كتاب الأدب، باب ما يقول العاطس إذا عطس، رقم(٢٦٦٢).

جنس هذه النعمة، فإذا أنعم الله عليك بمال فليكن عليك أثر هذا المال في لباسك، في بيتك، ومركوبك، وصدقاتك، ونفقاتك، ليرى عليك أثرُ نعمة الله عليك في هذا المال. بالعلم إذا أنعم الله عليك بعلم فلير عليك أثر هذا العلم، من نشره بين الناس، وتعليمه الناس والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، وغير ذلك، فالشكر يكون من جنس النعمة التي أنعم الله بها عليك، أو بأعم.

إذن فمن عصى الله فإنه لم يقم بشكر نعمة الله؛ لأنه كفر بنعمة الله، والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. فالعاصي لم يقم بشكر نعمة الله عزَّ وجلَّ، وينقص من شكره بقدر ما أتى من المعصية، حتى لو قال الإنسان بلسانه: أشكر الله، الشكر لله وهو يعصي الله، فإنه لم يَصْدقُ فيما قال، فالشكر هو القيام بطاعة المنعم.

والشكر له فائدتان عظيمتان، منها: الاعتراف بالله تعالى في حقه وفضله وإحسانه، ومنها أنه سببٌ لمزيد النعمة، كلما شكرت زادت نعمة الله عليك، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. إذا شكر الإنسان زاده الله، وإذا كفر عرض نفسه لعذاب الله، وعذاب الله تعالى شديد، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٢]. واشكروا لله تعالى على هذه النعمة التي أنعمها عليكم، وسهل لكم الوصول إليها فوصلت إليكم من غير حول ولا قوة، هذه الطيبات التي

نأكلها لو شاء الله تعالى لم نقدر عليها إما لعسر فينا وإما لفقد هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٧٣].

فالمهم أن علينا أن نشكر نعمة الله، ويكون الشكر من جنس النعمة، فتبذل من العلم والمال بحسب ما أعطاك الله عزَّ وجلَّ، الصحة أيضًا، أنت أعطاك الله صحة ونشاطًا واحتاج إخوانك إلى المساعدة والمعاونة، فمِن شُكرِ نعمة الله أن تعينهم، والله الموفق.

* * *

قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

الشـــرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب حمد الله وشكره، وقد سبق الكلام على هذا، ولكننا لم نتكلم على الآية الأولى، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

فاعلم أن ذكر الله عزَّ وجلَّ هو ذكر القلب، وأما ذكر اللسان مجردًا عن ذكر القلب فإنه ناقص، ويدل لهذا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. ولم يقل من أسكتنا لسانه عن ذكرنا، قال من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، فالذكر النافع هو ذكر القلب، وذكر القلب يكون في كل شيء، يعني معنى ذلك أن الإنسان وهو يمشي وهو قاعد وهو مضطجع إذا تفكر في آيات الله عزَّ وجلَّ فهذا من ذكر الله، ومن ذكر الله أيضًا ما جاء في السنة مثل: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» و«**سبحان الله**» وما أشبه ذلك.

ومن ذكر الله أيضًا الصلاة، فإنها من ذكر الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال بعض العلماء: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، فعلى كل حال ينبغي للإنسان عند ذكر الله باللسان أن يكون ذاكرًا لله في قلبه حتى يتطابق القلب واللسان وتحصل الفائدة، لأن مجرد الذكر باللسان ينفع الإنسان ولكنه ناقص، لكن الذكر بالقلب هو الأصل والمهم.

واعلم، أن الله تعالى يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله قال: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**[1]»، يعني أن الإنسان إذا

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه، رقم(٦٨٥٦)، =

ذكر الله في نفسه وليس حوله أحد، ذكره الله في نفسه، وإن ذكر الله وحوله ملأ يعني في جماعة ذكره الله في ملأ خير منهم، وهذا يدل على فضيلة الذكر أن الله تعالى التزم بأن من ذكره في نفسه ذكره في نفسه، ومن ذكره في ملأ ذكره في ملأ خير منهم، وقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾. وقد سبق معنى الشكر ومعنى الكفران، ويأتي إن شاء الله بقية الكلام على هذا الباب في الأحاديث القادمة.

* * *

١٣٩٣ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ جبريلُ ﷺ: «الحَمْدُ لله الَّذي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ[(١)]» رواه مسلم.

١٣٩٤ ـ وعَنْهُ عَنْ رسول الله ﷺ قالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فيهِ بالحَمْدُ لله فَهُوَ أَقْطَعُ[(٢)]» حديثٌ حسنٌ، رواه أبوداود وغيره.

١٣٩٥ ـ وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقولُ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَع فَيَقُولُ الله تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بيتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوه بَيْتَ

= ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم(٤٨٣٢).

(١) رواه البخاري: كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب، رقم(٥١٤٨)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب جواز شرب اللبن، رقم(٣٧٥١).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقم(٤٢٠٠).

الحَمْدِ[١]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٦ ـ وَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأكُلُ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا[٢]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل حمد الله تعالى وشكره، ومن المعلوم لنا جميعًا أن كل ما بنا من نعمة فمن الله عزَّ وجلَّ، وأنه إذا مسنا الضر فليس لنا ملجأ إلا إلى الله، وأن الإنسان إذا أصيب بما يكره أو بما يؤذيه فإن الله تعالى يكفر بذلك عنه، ما من أذى أو هم أو غم يصيب المؤمن إلا كفر الله بذلك عنه حتى الشوكة يشاكها، إذن فنعم الله عظيمة كثيرةٌ لا تحصى، لذلك يجب علينا أن نحمد الله تعالى وأن نشكره على نعمه التي أسبغها علينا.

ومن فوائد الحمد أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، يعني أراد أن يؤلف كتابًا أو يتكلم في كلامه، خطبة أو غير ذلك، إذا حمد الله جعل الله فيه البركة، وكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع، يعني منزوع البركة، لكن قد ينوب عن الحمد غيره كالبسملة

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤١٥)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، رقم(٩٤٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم(٤٩١٥).

مثلاً، البسملة أيضًا يبارك الله فيها بأشياء كثيرة منها: أن الإنسان إذا ذبح الذبيحة إن قال «**بسم الله**» حلت الذبيحة، وصارت طيبة، وإن قال «**الحمد لله**» لم تحل الذبيحة. لأن الذبيحة لا تحل إلا بالبسملة، وإذا قال عند الذبح: «**الله أكبر**» ولم يقل «**بسم الله**» لم تحل الذبيحة. فكل أمر يبدأ فيه بالحمد لله فهو خير وبركة لكن قد ينوب عن الحمد ما سواه كالبسملة عند الأكل والشرب والذبح والوضوء وإتيان الرجل أهله، يقول: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**[١]» وغير ذلك.

ومن فوائد الحمد أن الله سبحانه وتعالى يرضى عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده عليها، وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها، فما هي الأكلة؟ هل هي الوجبة أو كل ردة يردها الإنسان إلى فمه فهي أكلة؟ الحديث محتمل، وكان الإمام أحمد ابن حنبل ـ رحمه الله ـ كل ما أكل ردة قال: الحمد لله، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: أكل وحمد خير من أكل وسكوت، وكأن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ رأى أن الأكلة هي الردة، وعلى هذا يكون حمد الإنسان على طعامه كثيرًا، لكن أكثر العلماء يقولون: أن الأكلة هي الوجبة، تجلس على الطعام، وإذا شبعت تقول: الحمد لله، والحمد كله خير، فهذه من فوائد الحمد، أنه إذا حمد الإنسان على أكله وشربه كان ذلك سببًا لرضا الله عزَّ وجلَّ عنه، نسأل الله أن يحل

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، رقم(١٣٨)، ومسلم: كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم(٢٥٩١).

علينا وعليكم الرضا، إنه على كل شيء قدير.

وما حكم الأكل باليسار؟ الأكل والشرب باليسار حرام، والذي يأكل بشماله ويشرب بشماله مشابه للشيطان مقتد به، مجانبٍ لهدى الرحمن، ولهذا رأى النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله، قال: «**كل بيمينك**»، قال: لا أستطيع، فقال له: «**لا استطعت**[١]»، فشلت يمينه وصار لا يستطيع أن يرفعها إلى فمه، وهذا يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يأكل باليمين ويشرب باليمين، حتى الشرب وأنت تأكل لا تشرب بالشمال ولكن اشرب باليمين حتى لو أصاب الكأس أو الماعون طعام فإنه يُغسل، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم(٣٧٦٦).

كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ

٢٤٣ـ باب فضل الصلاة على رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٣٩٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صلَّى عَليَّ صَلاَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا[1]» رواه مسلم.

الشـــرح

أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الآية الكريمة وفيها الأمر بالصلاة على النبي ﷺ: والأمر يكون تارة للوجوب وتارة يكون للاستحباب، فالذي للوجوب يعني أن الإنسان إذا تركه فهو آثم عاص مستحق للعقوبة، وأما للاستحباب فإن الإنسان إذا فعله كتب له أجر، وإذا تركه فليس عليه إثم، فيتفق الواجب والمستحب بأن فيهما ثوابًا لفعلهما، لكن ثواب الواجب أعظم وأكثر لقول النبي ﷺ في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «**ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه[2]**».

ويختلف الواجب عن المستحب بأن تارك الواجب آثم عاص لله ومستحق للعقوبة، وتارك المستحب لا يأثم، لكن فاته خير، والأمر

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم(٥٧٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم(٦٠٢١).

بالصلاة على النبي ﷺ أطلقه المؤلف ـ رحمه الله ـ فاختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل تجب الصلاة على النبي ﷺ في العمر مرة أو بأسباب أو لا تجب، والصحيح أنها تجب بأسباب، وإلا فالأصل أنها مستحبة.

فما معنى الصلاة على النبي ﷺ، أي ما معنى قول القائل: اللهم صلِّ على محمد؟ أكثر الناس يقرأ هذا أو يدعو بهذا الدعاء وهو لا يدري ما معناه، وهذا غلط، فيجب عليك أن تعرف معنى كل شيء تقوله أو تدعو به حتى لا تدعو بإثم، فقولك اللهم صلِّ على محمد يعني: اللهم أثنِ عليه في الملأ الأعلى، ومعنى أثنِ عليه يعني: اذكره بالصفات الحميدة. والملأ الأعلى هم الملائكة، فكأنك إذا قلت: اللهم صلِّ على محمد، كأنك تقول: يا رب صِفْهُ بالصفات الحميدة، واذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له، ويزداد ثوابه بذلك، هذا معنى اللهم صلِّ على محمد.

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل يصلى على غير النبي أم لا؟ يعني هل يجوز أن تقول: اللهم صلِّ على فلان أو العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني، أو اللهم صلِّ على أبي أو ما أشبه ذلك. والصحيح أن في ذلك تفصيلاً، فإن كان ذلك تابعًا للصلاة على النبي ﷺ فلا بأس، ولهذا قال الرسول ﷺ حين سألوه كيف يصلون عليه؟ قال: «**قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**[1]» . وإن كان مستقلاً، فإن كان لسبب فلا بأس،

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم(٣١١٩)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم(٦١٣).

ومن ذلك إذا أتى الإنسان إليك بصدقته لتوزعها، فقل: اللهم صلِّ عليه، ويسمع هذا منك، لقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال عبد الله بن أبي أوفى، فأتيت بصدقتي، أو قال أتاه أبي، فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى[(١)]»، هذا أيضًا لا بأس، كذلك إذا صليت على إنسان دون أن تجعل ذلك شعارًا له كلما ذكرته صليت عليه فلا بأس، يعني حتى لو قلنا: اللهم صلِّ على أبي بكر أو على عمر أو على عثمان أو على علي فلا بأس ولكن لا تجعل هذا شعارًا كلما ذكرت هذا صليت عليه، لأنك إذا فعلت ذلك جعلته كأنه نبي.

ثم صدَّر المؤلف هذا الباب بالآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فتأمل ما في هذه الآية من خبر وأمر وتأكيد﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، هذا خبر أخبرنا الله بذلك حثًّا لنا على الصلاة والسلام عليه، فالله وملائكته، كل الملائكة في كل السماوات وفي الأرض يصلون على النبي، والملائكة عالم غيبي من مخلوقات الله، لا يحصيهم إلا الله عزَّ وجلَّ. البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، يعني يجيء ملائكة غيرهم. إذن

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، رقم(١٤٠٢)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة، رقم(١٧٩١).

من الذي يحصيهم؟ لا يحصيهم إلا الله، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «أطّت السماء وحق لها أن تئط[1]».

والأطيط: هو صرير الرحل يعني صرير الشداد على البعير ولا يصر إلا إذا كان عليه حمل ثقيل، ويقول: «**وحق لها أن تئط ما من موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد**».

والسماء ليست كالأرض، السماء أوسع بكثير من الأرض، انظر الآن بعدها الشاسع وهي على الأرض كالكرة فتكون دائرتها واسعة عظيمة، والسماء الثانية أوسع، والثالثة أوسع، والرابعة أوسع، والخامسة أوسع، والسادسة أوسع، والسابعة أوسع. كل سماء فيها ملائكة، بين أربع أصابع هناك ملك قائم لله، أو راكع أو ساجد، إذًا من الذي يحصي الملائكة؟ إذا كنا لا نحصي الملائكة فهل يمكن أن نحصي الصلاة على الرسول ﷺ؟ لا؛ لأن الملائكة يصلون على النبي فلا تحصى الصلاة على النبي ﷺ، انظر فضل الله الواسع، أعطى الله هذا الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الفضيلة العظيمة التي لا ينالها أحد فيما نعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ هذا خبر أراد الله به الحث، ولهذا قال بعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾. بمقتضى إيمانكم صلوا عليه. وجه الخطاب لنا بصدد الإيمان لأن الإيمان هو الذي يحمل الإنسان

(١) رواه أحمد (٥/ ١٧٣) والترمذي: كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم، رقم(٢٢٣٤).

على امتثال الأمر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

﴿ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾ . أي: ادعو الله أن يثني عليه في الملأ الأعلى، ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ أي: ادعو الله تعالى أن يسلمه تسليمًا تامًّا، في حياته من الآفات الجسدية والآفات المعنوية، وبعد موته، من الآفات المعنوية بمعنى أن تسلم شريعته من أن يقضي عليها قاض، أو ينسخها ناسخ، وكذلك الجسد لأنه ربما يعتدي عليه بعد موته في قبره، كما يأتي في القصة المشهورة أن رجلين أرادا أن يستخرجا جسد النبي ﷺ فنزلا المدينة وبدءا يحفران من تحت الأرض حفرة، حتى يتوصلا إلى قبر النبي ﷺ فيأخذا جسده الشريف، فبقيا على ذلك مدة، فرأى أحد الملوك في المنام أن رجلين يحفران ليصلا إلى جسد النبي ﷺ ويأخذاه، فاهتم بذلك اهتمامًا عظيمًا، ثم ارتحل إلى المدينة حتى وصل إليها، فمن أين يعلم هو هذين الرجلين؟ وكيف يتوصل إلى معرفتهما؟ فقال لأمير المدينة: ادع لي جميع أهل المدينة، لأنه رآهما في المنام وعرفهما أو وُصِفَا له، فدعاهم، وأطعمهم، وغادروا، ولم ير الرجلين، فقال: ادع لي أهل المدينة، فدعاهم (أظن) مرتين أو ثلاثًا، ولم ير الرجلين، والرؤيا التي رآها رؤيا حق لابد أن يكون هذا، قال: أين أهل المدينة؟ قالوا: لم يتخلف أحد، هناك رجلان غريبان في المسجد يعني ليس لهما قيمة، قال: أحضرهما، فجيء بهما فإذا هما اللذان رآهما في المنام، فعرفهما ثم أمر بأن يحفر إلى الأرض حفرة على جوانب الحجرة التي فيها قبر النبي ﷺ قبل أن تكون

حجرة بالبناء ـ ثم صبها بالنحاس والرصاص والرخام حتى يحمي الله جسد هذا النبي الكريم، فصب الرصاص إلى الأرض ولهذا قبر النبي ﷺ محفوظ حفظًا تامًّا[١].

فالمهم أن قول المسلم: اللهم صلِّ وسلم على محمد، يعني سلمه من الآفات الجسدية حيًّا وميتًا، وسلمه أيضًا، سلم شريعته من أن يطمسها أحد أو أن يعدو عليها أحد.

ثم ليعلم أن أجساد الأنبياء لا يمكن أن تأكلها الأرض، لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، إذن فأجساد الأنبياء سالمة من الأرض، الأرض التي تأكل كل جسد إلا من شاء الله لا تأكل أجساد الأنبياء.

والحاصل أن في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى أن نصلِّيَ ونسلم على رسوله محمد ﷺ تسليمًا.

والصلاة عليه واجبة في مواضع، منها: إذا ذكر اسمه عندك فصلِّ عليه، لأن جبريل عليه السلام أتى إلى النبي ﷺ وقال: رغم أنف امرئ ذكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك. معنى رَغِمَ: يعني سقط في الرغامة، وهي الأرض الترابية «**رغم أنف امرئ ذكرتَ عنده فلم يصل عليك**[٢]» يعني إذا سمعت ذكر الرسول ﷺ فقل: اللهم صلِّ وسلم عليه، فإن له حقًّا عليك. وتجب الصلاة على النبي ﷺ أيضًا عند كثير من العلماء في التشهد

(١) انظر تمام القصة في خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، للسمهودي (٢/ ١٧٥).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل، رقم(٣٤٦٨).

الأخير في الصلاة، فعند كثيرٍ من العلماء أنها ركن لا تصح الصلاة إلا به، وعند بعضهم أنها سنة، وعند بعضهم أنها واجب. والاحتياط أن لا يدعها الإنسان في صلاته، ولو أن الإنسان جعل كل دعاء يدعو به مقرونًا بالصلاة على النبي ﷺ لكان كما جاء في الحديث يكفى همه ويغفر ذنبه، فقد قال أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي، فقال: «**ما شئت**»، قال: الربع؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**» قال: النصف؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**» قال: الثلثين؟ قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**» قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذا تُكفى همك، ويغفر لك ذنبك**»[(١)].

ولهذا أَكْثِرْ يا أخي من الصلاة والسلام على الرسول ﷺ ليزداد إيمانك ويسهل لك الأمر.

ثم اعلم أن الرسول ﷺ بشرٌ لا يملك النفع لك ولا الضر، فلا تسأله، لا تقل: يا رسول الله، سَهِّل أمري. هذا حرام، بل شرك أكبر لأنه لا يجوز أن تدعو مع الله أحدًا، الدعاء خاص بالله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فإن قال قائل: أيما أعظم حقًّا الوالدان يعني الأم والأب أم الرسول؟ قلنا: حق الرسول عليه الصلاة والسلام هو أعظم حقوق المخلوقين ولذلك

---

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٤٥٧).

يجب تقديم محبته ﷺ على محبة جميع الناس، وأن يكون الرسول أَحبَّ لك من النفس والولد والوالد والناس أجمعين .

فإن قال قائل: أليس الله يذكر حق الوالدين بعد حقه؟ قلنا: بلى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ولكن حق الرسول تابع لحق الله لأن عبادة الله لا تتم إلا بإخلاصٍ لله ومتابعةٍ لرسول الله ﷺ. والله الموفق .

❊ ❊ ❊

١٣٩٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا[1]» رواه مسلم.

الشـــرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب الأمر بالصلاة على النبي ﷺ الأمر، يعني من الله عزَّ وجلَّ الذي أرسله، والله سبحانه وتعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، والله عزَّ وجلَّ يخلق ما يشاء ويختار، والله عزَّ وجلَّ أعلم حيث يجعل رسالته، فجعل خير الرسالات في محمد ﷺ، وختم به النبوة، فلا نبي بعده، فمن ادعى أنه نبي بعد رسول الله فإنه كافر، ومن صدقه فإنه كافر أيضًا، لقول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقد

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، باب (٥٧٧).

أمر الله تعالى بالصلاة على نبيه والسلام عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فبدأ الله تعالى بالإخبار عن نفسه وعن ملائكته أنهم يصلون على النبي ﷺ، وهذه الآية كما تعرفون في سورة الأحزاب التي أمر الله تعالى فيها النبي ﷺ بتقوى الله عزَّ وجلَّ وأنزل عليه أعظم آية فيما يتعلق بفعل الرسول ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فلما نزلت هذه القوارع العظيمة على رسول الله ﷺ، جبر الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. فانجبرت هذه القوارع التي نزلت من الله تعالى في حق رسول الله ﷺ. وقوله ﴿وَمَلاَئِكَتَهُ﴾. يشمل كل ملك في السموات والأرض، فإنه يصلي على النبي ﷺ.

ومعنى الصلاة من الله على رسوله: الثناء عليه في الملأ الأعلى يعني: أن الله يحمده ويثني عليه ويبين فضله في الملأ الأعلى في الملائكة. وأما معنى الصلاة عليه من الملائكة والبشر فهو الدعاء له بأن يصلي الله عليه. ثم أمر لما ذكر أنه وملائكته يصلون عليه أمرنا بأن نصلي ونسلم، نصلي عليه ونسلم. وهذا الأمر مطلق لم يبين متى، لكنه جاء في

السنة أنه يصلى عليه ﷺ في مواضع منها: في التشهد في الصلاة، فإن الصحابة قالوا: يا رسول الله، علمنا كيف نصلي ونسلم عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد، إلى آخره**» ومنها إذا ذكر اسمه فإنك تصلي عليه، إما وجوبًا أو استحبابًا، وقد ورد أن جبريل - عليه السلام - قال للنبيّ ﷺ: «**رغم أنف امرىء ذكرت عنده فلم يصلّ عليك، قل**: آمين، **فقال**: آمين»، فالصلاة عليه إذا ذكر واجبة عند كثير من العلماء ومستحبة عند أكثر العلماء، وقوله: «**صلوا عليه**» أي: اسألوا الله الصلاة عليه، قولوا: اللهم صلِّ على محمد، «**وسلموا عليه**» يعني: اسألوا الله له السلامة من كل آفة، من كل آفة في حياته ومن كلا بلاء في حشره عليه الصلاة والسلام، لأن الأنبياء في الحشر، كل يدعو: «اللهم سلم، اللهم سلم، اللهم سلم»، وكذلك يتضمن الدعاء بالسلامة لدينه وشريعته أن يسلمها الله تعالى من الأعداء فلا يسطون عليها بتحريف أو تغيير إلا سلط الله عليهم من يبين ذلك. وهذا هو الواقع ولله الحمد.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الأحاديث الواردة في ذلك، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله، والله أعلم.

* * *

١٣٩٨ ـ وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهمْ عَلَيَّ صَلاةً[(١)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٩ ـ وعن أوس بنِ أوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمَعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإنَّ صلاتَكُمْ مَعْروضَةٌ عَلَيَّ» فقالوا: يا رسول الله، وكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! قَالَ: يقولُ: بَلِيتَ، قَالَ: «إنَّ الله عَزَّ وجلَّ حَرَّمَ عَلَى الأرْضِ أجْسَادَ الأنْبِيَاءِ[(٢)]».

رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

الشـــرح

هذه الأحاديث الثلاثة في بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ وقد تقدم لنا معنى الصلاة عليه، فالحديث الأول عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من صلى علي مرَّةً واحدة صلى الله عليه بها عشرًا». يعني: إذا قلت: اللهم صلِّ على محمد، صلى الله عليك بها عشر مرات، فأثنى الله عليك في الملأ الأعلى، عشر مرات، وهذا يدل على فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ ويدل على علو مرتبة النبي ﷺ عند الله حيث جازى من صلى عليه بعشر أمثال عمله، يصلي الله عليه عشر مرات.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبيّ ﷺ، رقم(٤٤٦).

(٢) رواه أحمد (٤/٨)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم(١٣٠٨)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ، رقم(١٣٥٧)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم(١٠٧٥).

وأما الحديث الثاني: فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن أولى الناس به أكثرهم صلاة عليه، أولى الناس به يوم القيامة وأقربهم منه من صلى عليه، عليه الصلاة والسلام، وهذا أيضًا يدل على الترغيب في كثرة الصلاة على النبي ﷺ.

أما الحديث الثالث: فهو حديث أوس بن أوس أن النبي ﷺ أمر أن نكثر من الصلاة عليه يوم الجمعة، وأخبر بأن صلاتنا معروضة عليه، فيقال: صلى عليك فلان بن فلان، أو تعرض عليه، فيُقال: صلى عليك رجلٌ من أمتك، الله أعلم هل يعين المصلي أم لا، المهم أنها تعرض على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرض عليك، وقد أَرمت، أي: بليت، فقال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهما بقوا في الأرض فإن الأرض لا تأكلهم، أما غير الأنبياء فإنها تأكلهم، لكن قد يكرم الله تعالى بعض الموتى فلا تأكلهم الأرض وإن بقوا. لكننا لا نتيقن أن أحدًا لا تأكله الأرض إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ففي هذه الأحاديث الثلاثة الترغيب في كثرة الصلاة على النبي ﷺ ولا سيما في يوم الجمعة، ولكن أَكثِرِ الصلاة عليه في كل وقت، فإنك إذا صليت عليه مرة واحدة صلى الله بها عليك عشرًا. والأفضل أن يجمع بين الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ويجوز أن يفرد السلام أو الصلاة. اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

١٤٠١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيثُ كُنْتُمْ[١]» رواه أبوداود بإسناد صحيحٍ.

١٤٠٢ ـ وعنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحي حَتَّى أرُدَّ عليه السَّلاَمَ[٢]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٤٠٣ ـ وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ[٣]». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٤٠٤ ـ وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قالَ: سَمِعَ رسولُ الله ﷺ رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تعالى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «عَجِلَ هذا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ ـ أَوْ لِغَيْرِهِ ـ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي على النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ[٤]». رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

الشـــرح

هذه الأحاديث الأربعة أيضًا فيها الأمر بالصلاة على النبي ﷺ وفضيلة ذلك فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا

---

(١) رواه أبوداود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم(١٧٤٦).
(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبوداود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم(١٧٤٥).
(٣) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل، رقم(٣٤٦٩).
(٤) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم(١٢٦٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم(٣٣٩٩).

قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم».

المعنى: لا تجعلوا القبر عيدًا تكرمونه بالمجيء إليه كل سنة مرة أو مرتين أو ما أشبه ذلك، وفيه دليلٌ على تحريم شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ، وأن الإنسان إذا أراد الذهاب إلى المدينة لا يقصد أن يسافر من أجل زيارة قبر الرسول ﷺ ولكن يسافر من أجل الصلاة في مسجده، لأن الصلاة في مسجده خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

قال: «وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»، إذا صليت على الرسول ﷺ فإن صلاتك تبلغه حيثما كنت في بر أو بحر أو جو، قريبًا كنت أو بعيدًا.

وكذلك الحديث الثاني أنه ما من رجل مسلم يسلم على النبي ﷺ إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام. فإذا سلمت على النبي ﷺ رد الله عليه روحه فرد عليك السلام، والظاهر أن هذا فيمن كان قريبًا منه كأن يقف على قبره، ويقول: السلام عليك أيها النبي ﷺ ورحمة الله وبركاته، ويحتمل أن يكون عامًّا والله على كل شيء قدير.

ثم ذكر المؤلف حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحديث فضالة بن عبيد وفيهما أيضًا الحث على الصلاة على الرسول ﷺ، ولكن حديث فضالة الظاهر أن المراد بذلك التشهد وأن هذا الرجل تشهد ولم يُثْنِ على الله ولم يمجِّده ولم يصلِّ على النبي ﷺ ولكنه دعا مباشرة، ومعلوم أن التشهد فيه:

أولاً الثناء على الله في قوله: التحيات لله والصلوات والطيبات.

ثانيًا: السلام على النبي ﷺ والصلاة عليه ثم الدعاء.

فيُحمل - أعني حديث فضالة بن عبيد - على هذا، على أن المراد بذلك الدعاء في الصلاة، وأنه يسبق بالتحيات ثم بالسلام والصلاة على النبي ﷺ ثم الدعاء. والله الموفق.

* * *

١٤٠٥ - وَعَنْ أَبِي محمد كَعْبِ بنِ عُجرةَ رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ فقُلْنَا: يا رسولَ الله قَدْ عَلِمْنَا كَيفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صلِّ علَى محمدٍ، وعَلَى آلِ محمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَميدٌ مجيد[1]» متفقٌ عليه.

١٤٠٦ - وعَنْ أَبِي مَسْعودٍ البَدْرِي رضي الله عنه قالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحنُ في مَجْلس سعد بن عُبَادَة رضي الله عنه، فقالَ لَهُ بَشيرُ بْنُ سعد: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نَصَلِّي عَلَيْكَ يَا رسولَ اللهِ، فَكَيفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آل مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّك حَميدٌ مجيد، والسلام كما قد عَلِمتم[2]» رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم(٢١١٩)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم(٦١٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم(٦١٣).

١٤٠٧ - وَعَنْ أَبِي حُمَيْد السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال: قَالُوا: يا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قالَ: «قولوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ على آلِ إبراهيم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكتَ على آل إبراهيم، إنَّكَ حميدٌ مجيد[(١)]» متفقٌ عليه.

الشـــرح

هذه أحاديث ثلاثة في بيان كيفية الصلاة على النبي ﷺ حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه في كيفية الصلاة، أنهم سألوا النبي ﷺ: كيف يصلون عليه؛ لأنه علمهم كيف يسلمون، والذي علمهم إياه هو قوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، أما الصلاة فعلمهم وقال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**»، وقد سبق أن معنى صلاة الله على العبد هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى. والمراد بآل محمد هنا كل أتباعه على دينه فإن آل الإنسان قد يُراد بهم أتباعه على دينه، وقد يُراد بهم قرابته، لكن في مقام الدعاء ينبغي أن يُراد بهم العموم؛ لأنه أشمل، فالمراد بقوله: «**وعلى آل محمد**»، يعني جميع أتباعه، فإن قال قائل: هل تأتي الآل بمعنى الأتباع؟

قلنا: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم(٣١١٨)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم(٦١٥).

قال العلماء: معناه أدخلوا أتباعه أشد العذاب وهو أولهم، كما قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]. وقوله: «**كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**»، والكاف هنا للتعليل، وهذا من باب التوسل بأفعال الله السابقة إلى أفعاله اللاحقة، يعني كما مننت بالصلاة على إبراهيم وآله فامنن بالصلاة على محمد وآله ﷺ، فهي من باب التعليل وليست من باب التشبيه، وبهذا يزول الإشكال الذي أورده بعض أهل العلم رحمهم الله، حيث قالوا: كيف تلحق الصلاة على النبي ﷺ وآله بالصلاة على إبراهيم وآله مع أن محمدًا أشرف من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فالجواب أن الكاف هنا ليست للتشبيه ولكنها للتعليل.

«**كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» حميد يعني: محمود، مجيد يعني: ممجد، والمجد هو: العظمة والسلطان والعزة والقدرة وما إلى ذلك.

«**اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»، كذلك أيضًا التبريك، نقول: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، أي: أنزل فيهم البركة، والبركة هي الخير الكثير الواسع الثابت.

«**كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» هذه هي الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وسلم، وهذه هي الصفة الفضلى.

وإذا اقتصرت على قولك «**اللهم صلِّ على محمد**»، كما فعل العلماء

في جميع مؤلفاتهم إذا ذكروا الرسول ﷺ، فإنه مجزئ.

أما حديث أبي مسعود البدري، وهو زيد، وأبي حميد الساعدي فهما مقاربان لهذا اللفظ إلا أن في حديث أبي حميد الساعدي ذكر الأزواج والذرية، وأزواج النبي ﷺ يعني زوجاته رضي الله عنهن، والذي مات عنهن تسع زوجات، وكان يقسم لثماني زوجات وأما التاسعة سودة فقد وهبت يومها لعائشة، فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة، وبقية الزوجات يقسم لهن النبي ﷺ بالعدل، يقسم بالعدل كما أمر بذلك.

فالحاصل أن هذه الصفات الثلاث التي ذكر المؤلف رحمه الله وساقها في أحاديث ثلاثة متقاربة ولكنها تصف الكمال من صفة الصلاة عليه، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.



كتاب الأذكار

٢٤٤- باب فضل الذكر والحث عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. **والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.**

الشـــرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى كتاب الأذكار، الأذكار جمع ذكر والمراد بذلك ذكر الله عزَّ وجلَّ، ثم ذكر باب فضل الذكر والحث عليه، وذكر آيات متعددة، وليعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما القلب فهو التفكر، أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر، ويشمل كل قول يقرب إلى الله عزَّ وجلَّ من التهليل والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة السنة وقراءة العلم.

وأما الأفعال، ذكر الله بالأفعال بالجوارح فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود، وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وذكر المؤلف رحمه الله في ذلك آيات، منها: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾. فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله تعالى ذكرًا كثيرًا في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان.

اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾. أي قولوا: سبحان الله في البكور والأصيل، يعني: في أول النهار وآخر النهار، ويحتمل أن يُراد بالنهار كله وفي الليل كله.

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، وهذا ذكره الله عزَّ وجلَّ في سياق لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]. فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يُراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب.

وقال الله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. قيل: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، وقيل المعنى ذكر الله عمومًا أكبر وهو أن الإنسان إذا صلَّى كان ذلك سببًا لحياة قلبه وذكره لله عزَّ وجلَّ كثيرًا.

وقال تعالى في وصف الخلق من عباده ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والآيات في هذا كثيرة كلها تدل على فضيلة الذكر والحث عليه، وقد أثنى الله تعالى على الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وبين أنهم هم أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]. فالمهم أن نحث أنفسنا على إدامة ذكر الله، لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، فهو سهل ويسير ولله الحمد وأجره عظيم. جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٤٠٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيْفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الميزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم[1]» متفقٌ عليه.

١٤٠٩ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ الله،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم(٥٩٢٧)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٠).

وَالحَمْدُ لله، وَلا إلهَ إلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ[(١)]» رواه مسلم.

١٤١٠ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه أنَّ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: «مَنْ قَالَ لا إلهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وله الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدير، في يَومٍ مائَةَ مَرَّةٍ كانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشَر رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، ومُحيت عنهُ مائةُ سَيِّئَةٍ، وكانت له حرزًا من الشَّيْطَانِ يَومَهُ ذلك حتى يُمسي، ولَمْ يأتِ أَحَدٌ بِأفضلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجلٌ عَمِلَ أكثرَ منه» وقال: «من قالَ سُبْحَانَ اللهِ وبحمدِهِ، في يَوْمٍ مائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاه، وَإنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[(٢)]» متفقٌ عليه.

الشــرح

هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي هريرة رضي الله عنه كلها تدل على فضل الذكر.

الأول: قال النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» كلمتان كما قال النبي ﷺ خفيفتان على اللسان، وهما أيضًا ثقيلتان في الميزان، إذا كان يوم القيامة ووزنت الأعمال ووضعت هاتان الكلمتان في

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم(٥٩٢٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٥٧).

الميزان ثقلتا به.

والثالث: حبيبتان إلى الرحمن، وهذا أعظم الثوابين، أن الله تعالى يحبهما وإذا أحب الله العمل أحب العامل به، فهاتان الكلمتان من أسباب محبة الله سبحانه وتعالى لعبده.

ومعنى: «سبحان الله وبحمده»، أنك تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص وأنه الكامل من كل وجه جلَّ وعلا، مقرونًا هذا التسبيح بالحمد الدال على كمال إفضاله وإحسانه إلى خلقه جلَّ وعلا وتمام حكمته وعلمه وغير ذلك من كمالاته.

«سبحان الله العظيم» يعني: ذي العظمة والجلال فلا شيء أعظم من الله سلطانًا ولا أعظم قدرًا ولا أعظم حكمة ولا أعظم علمًا فهو عظيم بذاته وعظيم بصفاته جلَّ وعلا، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

تنبغي للإنسان أن يكثر منهما وأن يداوم على قولهما لأنهما ثقيلتان في الميزان وحبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

ثم ذكر الحديث الثاني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، أربع كلمات، أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس» يعني: أحبُّ إليَّ من الدنيا كلها. وهي أيضًا كلمات خفيفة: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

الناس الآن يسافرون ويقطعون الفيافي والصحاري والمهالك والمفاوز من أجل أن يربحوا شيئًا قليلاً من الدنيا قد يتمتعون به، وقد

يحرمون إياه، وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها، لأن الشيطان يكسله ويخذله ويثبطه عنها، وإلا فهي كما قال الرسول ﷺ أحبُّ إلى الإنسان مما طلعت عليه الشمس وإذا فرضنا أن عندك ملك الدنيا كلها، ثم حضر الموت، ماذا تستفيد؟ لا تستفيد شيئًا، لكن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]. فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة.

أما الحديث الثالث والرابع: فهو «**من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**». حصل له هذه الفضائل الخمسة.

أولاً: كان كمن أعتق عشر رقاب.

وثانيًا: كتبت له مائة حسنة.

ثالثًا: وحطت عنه مائة خطيئة.

رابعًا: وكانت له حرزًا من الشيطان.

وخامسًا: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل.

خمس فضائل، إذا قلت: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»، مائة مرة، وهذه سهلة، يمكن وأنت تنتظر صلاة الفجر بعد أن تأتي للمسجد تقولها أو بعد طلوع الفجر تقولها تنتفع بها، وهذا أيضًا من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يداوم عليها وينبغي أن يقولها في أول النهار لتكون حرزًا له من الشيطان.

أما «سبحان الله وبحمده» فمن قالها مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر، وهذه ـ سبحان الله وبحمده ـ تقولها في آخر النهار لأجل أن تحط عنك خطايا النهار.

فانتهز الفرصة ـ يا أخي ـ، انتهز الفرصة، العمر يمضي ولا يرجع، ما مضى من عمرك فلن يرجع إليك، وهذه الأعمال خفيفة مفيدة ثوابها جزيل وعملها قليل. نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

١٤١١ ـ وَعَنْ أَبِي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، عَشْرَ مَرَّات، كانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أنفُسٍ من ولَدِ إسْمَاعِيلَ[١]» متفقٌ عليه.

١٤١٢ ـ وعنْ أَبِي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ لي رسول الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكلامِ إلى الله؟ إنَّ أَحَبَّ الكلامِ إلى الله: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ[٢]» رواه مسلمٌ.

١٤١٣ ـ وعَنْ أَبِي مالك الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ[٣]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، رقم(٥٩٢٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٥٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل سبحان الله وبحمده، رقم(٤٩١١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم(٣٢٨).

١٤١٤ ـ وعَنْ سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قالَ: جَاءَ أَعْرَابيٌّ إلى رَسُولِ الله ﷺ فقالَ: عَلِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ: قالَ: «قُلْ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبْحَانَ اللهِ ربِّ العالمين، وَلاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العزيز الحكيم» قال: فهؤلاء لرَبِّي، فَمَالي؟ قال: «قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وارحمني، وَاهْدِنِي، وارزُقني[(١)]» رواه مسلم.

١٤١٥ ـ وَعَنْ ثَوبَانَ رضي الله عنه قالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومنكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذا الجلالِ والإِكْرَامِ» قيلَ للأوزاعيِّ، وهو أحدُ رُواةالحديث: كَيفَ الاستغْفَارُ؟ قال: تقول: أستغفرُ اللهِ، أَستغفرُ الله[(٢)]. رواه مسلم.

الشــرح

هذه الأحاديث ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الذكر، وقد سبق لنا شيء من هذه الأحاديث، فمنها: أي: من الأحاديث التي ساقها ـ أن من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل يعني كان كالذي أعتق أربع رقاب من أشرف الناس نسبًا وهم بنو إسماعيل؛ لأن أشرف الناس نسبًا هم العرب، وهم بنو إسماعيل، وأما

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣١).

العجم فلهم آباء آخرون ولكن ذرية إسماعيل هم العرب، فمن قال: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس، وهذا دليلٌ على فضل هذا الذكر.

وكذلك أيضًا قال النبي ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**» وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

وكذلك حديث ثوبان لكنه ذكر مقيد، أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: «**أستغفر الله**»، يعني: استغفر ثلاثًا، قال: «**أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» وإنما يستغفر الإنسان إذا فرغ من صلاته من أجل ما يكون فيها من خلل ونقص ويقول: «**اللهم أنت السلام**» يعني: اللهم إني أتوسل إليك بهذا الاسم الكريم من أسمائك أن تسلم لي صلاتي حتى تكون مكفرة للسيئات ورافعة للدرجات. والله الموفق.

* * *

١٤١٦ ـ وعَنِ المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ: كَانَ إذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ وَسَلَّمَ قالَ: «لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانعَ لما أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ[1]» متفقٌ عليه.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم(٧٩٩)، ومسلم: كتاب =

١٤١٧ ـ وَعَنْ عبدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أنَّهُ كان يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صلاة، حينَ يُسَلِّمُ: لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ. لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، لا إلهَ إلا اللهُ، ولا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الفَضْلُ ولهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ. لا إلهَ إلا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ. قالَ ابْنُ الزُّبَير: وكَانَ رسولُ الله ﷺ، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مكتوبة[1]. رواه مسلم.

الشرح

هذان الحديثان في بيان الأذكار المقيدة، لأن الأذكار تنقسم إلى قسمين، مطلقة ومقيدة، منها مقيد بالوضوء، ومنها ما هو مقيد بالصلاة، فهذان الحديثان مقيدان بالصلاة، حديث المغيرة بن شعبة، وحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

أما حديث المغيرة فقد أخبر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول إذا سلم من صلاته: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» ومعنى لا إله إلا الله يعني: لا معبود حق إلا الله، فلا معبود في الكائنات يستحق أن يعبد إلا الله عزَّ وجلَّ، أما الأصنام التي تعبد من دون الله فليست مستحقة للعبادة، حتى وإن سماها عابدوها آلهة، فإنها ليست آلهة، بل هي كما قال الله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠].

= المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣٣).

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣٥).

فالمعبود حقًّا هو الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: «**وحده لا شريك له**»، هذا من باب التأكيد، تأكيد وحدانيته جل وعلا وأنه لا مشارك له في ألوهيته «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، له الملك المطلق العام الشامل الواسع، ملك السماوات والأرض وما بينهما، ملك الآدميين والحيوانات والأشجار والبحار والأنهار والملائكة والشمس والقمر، كل هذه ملك لله عزَّ وجلَّ، ما علمنا وما لم نعلم، له الملك كله يتصرف فيه كما يشاء وعلى ما تقتضيه حكمته جلَّ وعلا.

«**وله الحمد**» يعني: الكمال المطلق على كل حال، فهو جل وعلا محمود على كل حال في السراء وفي الضراء، أما في السراء فيحمد الإنسان ربه حمد شكر، وأما في الضراء فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض؛ لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه ولكن الله تعالى أعلم، فيحمد الله تعالى على كل حال، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**» وإذا أتاه ما لا يسره قال: «**الحمد لله على كل حال**»[1].

«**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». هذا أيضًا تفويض إلى الله عزَّ وجلَّ بأنه لا مانع لما أعطى، فما أعطاك الله لا أحد يمنعه، وما منعك لا أحد يعطيك إياه، ولهذا قال: «**ولا معطي لما منعت**»، إذا آمنا بأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع إذًا لا نسأل العطاء إلا من الله عزَّ وجلَّ، ونعلم أنه لو أعطانا فلان شيئًا فالذي قدر

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٨٠٣).

ذلك هو الله، والذي صيره حتى يعطينا هو الله، وما هو إلا مجرد سبب، لكن نحن مأمورون بأن نشكر من صنع إلينا معروفًا، كما قال النبي ﷺ: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**[١]» لكن نعلم أن الذي يَسّر لنا هذا العطاء وصير لنا هذا المعطي هو الله عزَّ وجلَّ.

«**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، الجد يعني: الحظ والغنى، يعني الإنسان المحظوظ الذي له حظ وعنده مال وعنده أولاد وعنده زوجات وعنده كل ما يشتهي من الدنيا، فإن هذا لا ينفعه من الله. «لا يمنع ذا الجد منك الجدُّ»، الجد فاعل، يعني: أن الجد وهو الحظ والغنى ما يمنع من الله عزَّ وجلَّ، لأن الله تعالى له ملك السموات والأرض وكم من إنسان تراه مسرورًا في أهله وعنده المال والبنون وجميع ما يناله من الدنيا ولا ينفعه شيء من الله، قد يصاب بمرض ولا يقدر أن يرفعه عنه إلا الله عزَّ وجلَّ ويُصاب بغمٍّ وهمٍّ وقلق لا ينفعه إلا الله عزَّ وجلَّ.

وهذا كله في التفويض إلى الله. إذًا ينبغي لنا إذا سلم الإنسان واستغفر ثلاثًا، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام أن يذكر الله تعالى بهذا الذكر.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، رقم(١٤٢٤)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عزَّ وجلَّ، رقم(٢٥٢٠).

والترتيب بين الأذكار ليس بواجب، يعني: لو قدمت بعضها على بعض فلا بأس، لكن الأفضل أن تبدأ بالاستغفار ثلاثًا واللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم تذكر الله تعالى بالأذكار الواردة، وسيأتي الكلام إن شاء الله عن حديث عبد الله بن الزبير.

* * *

١٤١٨ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقيمِ: يُصَلُّون كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَال: يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُون، وَيَتَصَدَّقُون. فقالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُون به مَنْ بَعْدكُمْ، ولاَ يكونُ أحدٌ أفْضَلَ منكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يا رسول اللهِ، قالَ: «تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُون، وتُكَبِّرُون، خَلْفَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ» قالَ أبو صالح الرَّاوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذكْرِهِنَّ، قال: يقولُ: سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ لله، والله أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وثَلاثِينَ[١]. متفقٌ عليه.

وزادَ مُسْلِمٌ في روايته: فَرَجَعَ فقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إلى رَسُولِ الله ﷺ فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أَهْلُ الأمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ «ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم(٧٩٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣٦).

الدُّثورُ: جمَعُ دَثْر «بفتح الدَّال وإسكانِ الثاءِ المثلَّثةِ» وهو المَالُ الكثيرُ.

الشـــرح

هذا من الأحاديث الدالة على فضيلة الذكر المخصوص المقيد بعمل، وهذا منها، حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين جاءوا يشتكون إلى النبي ﷺ يقولون: إن أهل الأموال سبقونا، إنهم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من الأموال، يعني: زيادة يتصدقون بها ويحجون ويعتمرون ويجاهدون، فدلهم النبي ﷺ على أمر، قال: «**أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم**»، قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ، قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**»، يعني تقولون: «**سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر**» ثلاثًا وثلاثين مرة، فهذه تسع وتسعون، ثم إنهم فعلوا ذلك، ولكن سمع الأغنياء بهذا ففعلوا مثله، فتساووا معهم في هذا الذكر، فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله ﷺ سمع إخواننا أهل الأموال بما صنعنا فصنعوا مثله، وكأنهم يريدون شيئًا آخر يختصون به، فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الجمعة: ٤].

ففي هذا الحديث من الفوائد:

أولاً: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التسابق إلى الخير وأن كل واحد منهم يحب أن يسبق غيره.

ومنها: أن هذا الذكر: «**سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر**» ثلاثًا

وثلاثين مشروع خلف الصلوات، وقد ورد في حديث آخر أنه تكمل المائة بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وهذا صفة من صفات الذكر بعد الصلاة. ومن صفات الذكر بعد الصلاة أن تقول: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» خمسًا وعشرين فيكون الجميع مائة، ومن صفاته أيضًا أن تقول «**سبحان الله**» ثلاثًا وثلاثين، «**والحمد لله**» ثلاثًا وثلاثين، «**والله أكبر**» أربعًا وثلاثين، فهذه مائة.

ومن صفاته أن تقول: «**سبحان الله**» عشر مرات، «**والحمد لله**» عشر مرات، «**والله أكبر**» عشر مرات، تفعل هذا مرة وهذا مرة، لأن الكل ثبت عن النبي ﷺ.

ومن فوائد الحديث: سعة صدر النبي ﷺ على المراجعة والمناقشة، لأنه عليه الصلاة والسلام يريد الحق أينما كان، والحق معه لكن يطيب قلوب الناس ويبين لهم.

ومن فوائد الحديث: أن الله سبحانه وتعالى إذا مَنَّ على أحد بفضل فإنما هو فضله يؤتيه من يشاء، ولا يجور بهذا الفضل على أحد، فإذا أغنى هذا وأفقر هذا، فهو فضله يؤتيه من يشاء. وليس هذا بجورٍ بل ذلك فضله يؤتيه من يشاء، وكذلك أيضًا من رزقه الله علمًا ولم يرزق الآخر، فهذا من فضله، فالفضل بيد الله عزَّ وجلَّ يؤتيه من يشاء.

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: أن الأغنياء من الصحابة كالفقراء

حريصون على فعل الخير والتسابق فيه، ولهذا صنعوا مثل ما صنع الفقراء، فصاروا يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين. والله الموفق.

* * *

١٤٢١ ـ وَعَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلوات بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ والبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبرِ[١]» رواه البخاري.

١٤٢٢ ـ وعنْ معاذٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقالَ: «يَا مُعَاذُ. واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ» فقالَ: «أُوصِيك يَا مُعَاذُ لا تَدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسنِ عِبَادَتِكَ[٢]». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الشـــرح

هذه من الأذكار التي تقال دبر الصلاة، الحديث الأول ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه الكلمات دبر كل صلاة: **«اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة**

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من فتنة الغني، رقم(٥٨٩٩).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٤٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم(١٣٠١)، والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم(١٢٨٦).

القبر».

وكذلك حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ كان يقول دُبر كل صلاة: «**اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك**»، فكلمة «دبر» القاعدة فيها أنه إذا كان المذكور أذكارًا فإنه يكون بعد السلام، وإذا كان المذكور دعاء فإنه يكون قبل السلام؛ لأن ما قبل السلام وبعد التشهد هو دبر الصلاة، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دبر الشيء من الشيء كما يُقال دبر الحيوان لمؤخرته، وعلى هذا فيكون حديث سعد بن أبي وقاص وحديث معاذ بن جبل يكون هذا الدعاء قبل أن تسلم، إذا انتهيت من التشهد ومن قولك: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، تقول: اللهم إني أعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة القبر. هذه خمسة أشياء تستعيذ بالله منهن:

الأول: البخل: وهو الشح بالمال.

والثاني: الجبن: وهو الشح بالنفس. فالبخل أن يمنع الإنسان ما يجب عليه بذله من ماله من زكاة أو نفقات أو إكرام ضيف أو غير ذلك، وأما الجبن فأن يشح الإنسان بنفسه، لا يقدم في جهاد يخشى أن يقتل ولا يتكلم بكلام حق يخشى أن يسجن، وما أشبه ذلك، فهذا جبن.

وأما «**أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر**» أرذل يعني أرداه وأنقصه، وذلك على وجهين:

الوجه الأول: أن يحدث للإنسان حادث فيختل به عقله فيهذي فيرد

إلى أرذل العمر ويصير كالصبي.

والوجه الثاني: أو أن يكون ذلك عن كبر؛ لأن الإنسان كلما كبر وبلغ أربعين سنة بدأ يأخذ في النقص ولكن الناس يختلفون، منهم من ينقص كثيرًا، ومنهم من ينقص قليلاً، لكنه لابد أن ينقص إذا بلغ الأربعين فقد استوى وكمل، والشيء إذا استوى وكمل أخذ في النقص.

فمن الناس من يرد إلى أرذل العمر في قواه الحسية وقواه العقلية، فيضعف بدنه ويحتاج إلى من يحمله ويخدمه ويوجهه وما أشبه ذلك، أو العقلية بأن يهذي ولا يدري ما يقول، فالرد إلى أرذل العمر يشمل هذا وهذا، ما كان بحادث وما كان بسبب تقدم السن به، ثم إن الإنسان إذا وصل إلى هذه الحال، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها، فإن أهله يملونه، أهله الذين هم أشفق الناس به يتعبون منه ويملونه، وربما يتركونه في مكان تتكفل به الحكومة مثلاً، وهذا لا شكَّ أن الإنسان لا يرضاه ولا يرضى لنفسه أن يصل إلى هذا الحد، وتسقط أيضًا عنه الصلاة ويسقط عنه الصوم، وتسقط عنه الواجبات، لأنه وصل إلى حد يرتفع عنه التكليف.

«وأعوذ بك من فتنة الدنيا» وما أعظم فتنة الدنيا، وما أكثر المفتونين في الدنيا، لا سيما في عصرنا هذا، وعصرنا هذا هو عصر الفتنة، كما قال النبي ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم[1]». هذا هو

---

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، رقم(٣٧١٢)، ومسلم: =

الواقع في الوقت الحاضر، فُتحت علينا الدنيا من كل جانب، من كل شيء، من كل وجه، منازل كقصور الملوك، ومراكب كمراكب الملوك، وملابس ومطاعم ومشارب، فتحت فصار الناس الآن ليس لهم هم إلا البطون والفروج. فتنوا بالدنيا!!، نسأل الله العافية.

ففتنة الدنيا عظيمة، يجب على الإنسان أن ينتبه لها، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

«وأعوذ بك من فتنة القبر، أو من عذاب القبر»، وفتنة القبر أيضًا فتنة عظيمة، «إذا دفن الميت وانصرف عنه أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم منصرفين عنه، أتاه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه»، إن كان مؤمنًا خالصًا أجاب بالصواب، وقال: ربي الله، ونبيي محمد، وديني الإسلام. وإن كانه مرائيًا أو منافقًا أعاذنا الله وإياكم من ذلك، قال: هاها لا أدري، فيضرب بمرزبة من حديد، والمرزبة من الحديد قالوا: مثل المطرقة، وقد ورد في بعض الأحاديث أنه لو اجتمع عليها أهل منى ما أقلوها[(١)]، من عظمتها، نسأل الله العافية، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء، يسمعها كل شيء إلا الثقلين يعني الجن والإنس، وهذا من رحمة الله ـ أن الله تعالى لا يُسْمعنا عذاب القبر ـ لأننا لو سمعنا الناس يعذبون في قبورهم ما طاب لنا

= كتاب الزهد والرقائق، رقم(٥٢٦١).

(١) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٥٨٢).

عيش ولأصابنا الغم والحزن، إن كان قريبًا لنا اغتممنا من وجهين: من قرابته ومن هذه الأصوات المزعجة، وإن كان غير قريب أيضًا انزعجنا منه، ففتنة القبر فتنة عظيمة، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها.

هذه أشياء كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، خمسة أشياء: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر أو من فتنة القبر**».

أما حديث معاذ فإن النبي ﷺ قاله: «**إني أحبك، وأقسم قال: والله إني لأحبك**»، وهذه مرتبة عظيمة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أن نبينا ﷺ أقسم أنه يحبه، والمحب لا يدخر لحبيبه إلا ما هو خيرٌ له وإنما قال هذا له لأجل أن يكون مستعدًا لما يلقى إليه؛ لأنه يلقيه إليه من محب ثم قال له: «**لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك**» ودبر كل صلاة يعني في آخر الصلاة قبل السلام، هكذا جاء في بعض الروايات أنه يقولها قبل السلام، وهو حق، وكما ذكرنا أن المقيد بالدبر، أي: دبر الصلاة إن كان دعاء فهو قبل التسليم، وإن كان ذكرًا فهو بعد التسليم، ويدل لهذه القاعدة أن رسول الله ﷺ قال في حديث ابن مسعود في التشهد لما ذكره، قال: ثم ليتخير من الدعاء ما شاء أو ما أحب أو أعجبه إليه، أما الذكر فقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

«**أعنّي على ذكرك**» يعني كل قول يقرب إلى الله، كل شيء يقرب إلى

الله، كل تفكير يقرب إلى الله فهو من ذكر الله، «**وشكرك**» أي: شكر النعم واندفاع النقم، فكم من نعمة لله علينا، وكم نقمة اندفعت عنا، فنشكر الله على ذلك ونسأل الله أن يعيننا عليه؛ «**وعلى حسن عبادتك**»، وحسن العبادة يكون بأمرين، بالإخلاص لله عزَّ وجلَّ، كلما قوي الإخلاص كان أحسن، وبالمتابعة لرسول الله ﷺ والله الموفق.

* * *

١٤٢٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنْ أَرْبَع، يقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحيَا والمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّالِ[١]» رواه مسلمٌ.

١٤٢٤ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قامَ إلى الصَّلاةِ يكونُ مِنْ آخِرِ ما يقُولُ بينَ التَّشَهُّدِ والتَّسْلِيْمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، ومَا أَسْرَفْتُ، ومَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أنتَ[٢]» رواه مسلم.

الشـــرح

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذين الحديثين فيما يتعوذ به ويذكر الله به في الصلوات، ففي الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة، رقم(٩٢٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم(١٢٩٠).

«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع»، وفي لفظ التشهد الأخير، يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»، هذه أربعة أمور أمر النبي ﷺ أن نستعيذ بالله منها إذا فرغنا من التشهد يعني قبل التسليم.

«**أعوذ بالله من عذاب جهنم**» وهي النار، فتتعوذ بالله من عذابها، وهذا يشمل ما عملت من سوء تسأل الله أن يعفو عنك منه، وما لم تعمل من السوء تسأل الله أن يجنبك إياه.

«**ومن عذاب القبر**»، لأن القبر فيه عذاب، وهو عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**[1]».

و«**من فتنة المحيا والممات**»، فتنة المحيا ما يفتتن به الإنسان في حياته وتدور على شيئين، إما جهل وشبهة وعدم معرفة بالحق، فيشتبه عليه الحق بالباطل فيقع في الباطل فيهلك، وإما شهوة أي: هوى، بحيث يعلم الإنسان الحق لكنه لا يريده وإنما يريد الباطل.

وأما فتنة الممات فقيل: إنها فتنة القبر وهي سؤال الملكين للإنسان ـ إذا دفن ـ عن ربه ودينه ونبيه، وقيل: فتنة الممات هي ما يكون عند موت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم(٢١١)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم(٤٣٩).

الإنسان، وذلك أن أشد ما يكون الشيطان حرصًا على إغواء بني آدم عند موتهم. يأتي الإنسان عند موته ويوسوس له ويشككه وربما يأمره بأن يكفر بالله عزَّ وجلَّ، فهذه الفتنة من أعظم الفتن. وأما فتنة المسيح الدجال، فالمسيح الدجال هو من يبعثه الله عزَّ وجلَّ عند قيام الساعة. رجلٌ خبيثٌ كاذب، مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه المؤمن الكاتب وغير الكاتب، ويفتن الله تعالى به؛ لأنه يمكّن له في الأرض بعض الشيء، يبقى في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول طوله طول السنة الكاملة، والثاني طول الشهر والثالث طوله أسبوع، والرابع كسائر الأيام.

يدعو الناس إلى أن يكفروا بالله، وأن يشركوا به، يقول: أنا ربكم، ومعه جنة ونار، لكنها جنة فيما يرى الناس، ونارٌ فيما يرى الناس، وإلا فحقيقة جنته أنها نار، وحقيقة ناره أنها جنة، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيغتر الناس به ويُفتتن به مَنْ شاء الله أن يفتتن، وفتنته عظيمة فإن النبي ﷺ قال: «**ما في الدنيا فتنة أعظم من ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**[١]»، وقال ﷺ: «**إني أنذركموه وما من نبيٍّ إلا قد أنذره قومه**[٢]» ولهذا خصه من بين فتنة المحيا بأن فتنته عظيمة. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم(٥٢٣٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم(٢٨٢٩)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم(٥٢١٥).

وهذه الأربع يذكرها الإنسان قبل أن يسلم، واختلف العلماء رحمهم الله، هل هذا واجب أو سنة؟ فأكثر العلماء على أنه سنة وأن الإنسان لو تركه لم تبطل صلاته، وقال بعض أهل العلم: إنه واجب، وأنه لو ترك ذلك فصلاته باطلة وعليه أن يُعيدها. وقد أمر طاووس وهو أحد كبار التابعين ابنه حين لم يقرأ هذه التعويذات الأربع أمره أن يعيد صلاته. فينبغي للإنسان أن لا يدعها، وأن يحرص عليها لما فيها من الخير الكثير، ولئلا يؤدي بصلاته إلى أنها تكون باطلة عند بعض أهل العلم. والله الموفق.

* * *

١٤٢٥ ـ وعَنْ عَائشة رضي الله تعالى عنها قَالَتْ: كانَ النبيُّ ﷺ يُكْثرُ أَنْ يقولَ في ركُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبحمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْلي[(١)]» متفقٌ عليه.

١٤٢٦ ـ وعَنْهَا رضي الله عنها أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في ركوعِهِ وَسُجودِهِ: «سُبُّوحٌ قدُّوسٌ رَبُّ الملائكةِ والرُّوحِ» رواه مسلم.

١٤٢٧ ـ وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّموا فيه الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لكُمْ[(٢)]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع، رقم(٧٥٢)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم(٧٣٨).

الشـــرح

هذه أذكار في أحوال معينة، فمنها ما نقله المؤلف ـ رحمه الله ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» وهذا بعد أن أنزل الله عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ـ٣].

وهذه السورة هي أَجَلُ رسول الله ﷺ فإن الله نعاه إلى نفسه بأنه إذا جاء نصر الله والفتح فقد قرب أجله، كما فهم ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فإن ابن عباس رضي الله عنهما كان صغير السن، وكان عمر رضي الله عنه يحضره مع مجالس الرجال وكبار القوم، فقال بعضهم: لماذا يُحضِرُ عمر ابن عباس دون غيره؟ فأراد أن يبين لهم رضي الله عنه فضل ابن عباس، فقال لهم يومًا من الأيام: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾. ما مغزى هذه السورة؟ قالوا: معناها أنه إذا جاء الفتح فسبح بحمد ربك واستغفره، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أقول هذا أجل رسول الله ﷺ، أن الله أعطاه علامة وهي الفتح والنصر إذا جاءت فقد قرب أجله. فقال عمر: ما فهمتُ منها إلا ما فهمتَ.

فالحاصل أن في هذه الآية أمر الله نبيه أن يسبح بحمد ربه ويستغفره،

وكان ﷺ يفعل ذلك، يكثر أن يقول في ركوعه وكذلك في سجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي». ومعنى هذا أنك تثني على الله عزَّ وجلَّ بكمال صفاته وانتفاء صفات النقص عنه وتسأله المغفرة.

أما حديثها الثاني فكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده «سبوح قدوس رب الملائكة والروح[(١)]» يعني: أنت سبوح قدوس، وهذه مبالغة في التنزيه وأنه جلَّ وعلا سبوح قدوس رب الملائكة وهم جند الله عزَّ وجلَّ، عَالَم لا نشاهدهم وأما الروح فهو جبريل وهو أفضل الملائكة. فينبغي للإنسان أن يكثر في ركوعه وسجوده من قوله: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»، تأسيًا برسول الله ﷺ وأن يقول كذلك في ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح».

أما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء». هذا طرف من حديث أوله: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»، أي: حري أن يستجاب لكم، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. والركوع لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن فيه، ولا يجوز أن يقرأ القرآن وهو ساجد، لكن له أن يدعو بالدعاء الذي يوافق القرآن مثل أن يقول مثلاً: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٥٢).

أما أن يقرأ القرآن فهذا حرام، يحرُم عليه أن يقرأ وهو راكع أو يقرأ وهو ساجد، الركوع له التعظيم يعظم ربه، سبحان ربي العظيم، سبحان الملك القدوس وما أشبه ذلك. في السجود يقول: سبحان ربي الأعلى، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، ويدعو، ويكثر من الدعاء فقمن أن يُستجاب له أي حري: أن يُستجاب له. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

* * *

١٤٢٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعَاء[١]» رواه مسلم.

١٤٢٩ ـ وعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يقُولُ في سُجُودِهِ: «اللهُمَّ اغفِرْلي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلهُ وآخِرَهُ، وَعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ[٢]» رواه مسلم.

الشـــرح

هذان الحديثان في بيان دعاء وأذكار مخصوصة ذكرها المولف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الدعاء، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، وذلك لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام التي توطأ بالأقدام، وكذلك أيضًا يضع أعلى ما في جسده، حذاء أدنى ما في جسده يعني أن وجهه أعلى ما في جسده، وقدميه أدنى ما في

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٤).
(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٥).

جسده فيضعهما في مستوى واحد خضوعًا وتذللاً وتواضعًا لله عزَّ وجلَّ، ولهذا كان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وقد أمر النبي ﷺ فيما سبق بالإكثار من الدعاء في حال السجود، فيجتمع في تلك الهيئة والمقال تواضعًا لله عزَّ وجلَّ، ولهذا يقول الإنسان في سجوده: سبحان ربي الأعلى، إشارة إلى أنه جلَّ وعلا هو العلي الأعلى في ذاته وفي صفاته وأن الإنسان هو السافل النازل بالنسبة لجلال الله تعالى وعظمته.

أما الحديث الثاني ففيه أن النبي ﷺ كان يقول في صلاته: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وعلانيته وسره وأوله وآخره». وهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله عزَّ وجلَّ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، وهذه هي الحكمة في أن النبي ﷺ فصَّل بعد الإجمال، فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ، لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء، وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والصلاح.

* * *

١٤٣٠ ـ وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: افتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَتَحَسَّسْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ ـ أَوْ سَاجِدٌ ـ يقولُ: «سُبْحانَكَ وَبِحمدِكَ لا إله إلاَّ أَنْتَ»، وفي رواية: فَوَقَعت يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمِيْهِ، وَهُوَ في المَسْجِدِ، وهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعَافاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ

بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ[١]» رواه مسلم.

١٤٣١ ـ وعَنْ سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فقال: «أَيعجِزُ أَحَدُكم أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يَومٍ ألفَ حَسَنَةٍ!» فَسَأله سَائلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كيفَ يَكسبُ ألفَ حسنةٍ؟ قالَ: «يُسَبِّح مائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ[٢]» رواه مسلم.

قال الحُمَيْدِيُّ: كَذَا هُوَ في كِتَابِ مسلم: «أَوْ يُحَطُّ» قالَ البَرْقَانِيُّ: ورواه شُعْبَةُ، وأبو عَوَانَةَ، ويَحيَى القَطَّانُ، عَنْ مُوسى الذي رواه مسلم من جِهَتِهِ فقالوا: «ويَحِطُّ» بغَيْرِ ألفٍ».

الشــرح

هذان الحديثان في بيان الذكر وفضله، الحديث الأول عن عائشة رضي الله عنها أنها افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فخرجت تتحسس عنه، لأنها رضي الله عنها هي أحب نسائه إليه وهي تحبه أيضًا، فتخشى أن يكون أصابه شيء، فذهبت تتحسس فوجدته ﷺ في المسجد وهو ساجد يدعو الله تبارك وتعالى بهذا الدعاء، قالت: ووقعت يدي على بطون قدميه وهو ساجد، واستدل العلماء بذلك على أن الساجد ينبغي له أن يضم قدميه بعضهما إلى بعض ولا يفرقهما؛ لأنه لا يمكن أن تقع اليد الواحدة على

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع، رقم(٧٥١).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٦).

قدمين متفرقتين، وكذلك هو أيضًا في صحيح ابن خزيمة أن النبي ﷺ كان يضم رجليه في السجود، أما الركبتان فهما على طبيعتهما لا يفرقهما ولا يضمهما بل على طبيعتهما.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**»، والمعنى: أنه ﷺ يستعيذ بالله عزَّ وجلَّ بالأعمال الصالحة عن الأعمال السيئة؛ لأن الأعمال السيئة توجب الغضب والسخط والأعمال الصالحة توجب الرضا، والشيء إنما يُداوى بضده، فالسخط ضده الرضا، فيستعيذ بالرضا من السخط.

«**وبمعافاتك من عقوبتك**» يعني أستعيذ بمعافاتك من الذنوب وآثارها وعقوباتها من عقوبتك على الذنوب، وهذا يتضمن سؤال المغفرة، و«**أعوذ بك منك**»، وهذا أشمل وأعم، أنه يتعوذ بالله من الله عزَّ وجلَّ، وذلك لأنه لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه، لا أحد ينجيك من عذاب الله إلا الله عزَّ وجلَّ، فتستعيذ بالله من الله سبحانه وتعالى، أي: تستعيذ به من عقوبته وغير ذلك مما يقدره؟ فدل ذلك على ما ذكرنا من انضمام القدمين في السجود، ودل هذا على أن النبي ﷺ كان يصلي أحيانًا النافلة في المسجد مع أن الأفضل أن تكون في البيت كما قال رسول الله ﷺ: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**[1]» لكنه عليه الصلاة والسلام أحيانًا يصلي

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب صلاة الليل، رقم(٦٨٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٣٠١).

النافلة في المسجد.

وفيه أيضًا دليلٌ على محبة عائشة لرسول الله ﷺ ولا غرابة، فإنه عليه الصلاة والسلام كانت هي أحب نسائه اللاتي عنده، ولا يساميها امرأة، اللهم إلا خديجة رضي الله عنها فإن خديجة هي أول نسائه ﷺ ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت، وكان يذكرها دائمًا أي يذكر خديجة، ولكن عائشة رضي الله عنها هي أحب نسائه الموجودات في عهد عائشة.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان يستعيذ بصفات الله عزَّ وجلَّ من ضدها بالرضا من السخط، وبالمعافاة من العقوبة، وأنه لا ملجأ له من الله إلا إليه، فيستعيذ بالله منه تبارك وتعالى. والله الموفق.

تنبيه: لا يجوز للإنسان وهو ساجد أن يرفع يديه أو إحدى يديه أو رجليه أو إحدى رجليه؛ لأن الواجب السجود على الأعضاء السبعة: الجبهة مع الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين فإن رفعهما حتى قام من السجود فصلاته باطلة، أما إن رفع ثم نزل بسرعة فأرجو أن لا يكون عليه إعادة للصلاة.

* * *

١٤٣٣ ـ وَعَنْ أُمِّ المؤمنينَ جُوَيرِيَةَ بنتِ الحَارِثِ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِين صَلَّى الصُّبْحَ وِهِيَ في مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «ما زِلْتِ عَلَى الحال الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قالَتْ: نَعَمْ. فقال النبيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلَماتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وبحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَى نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ،

وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ[(١)]» رواه مسلم.

وفي رواية له: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدادَ كَلِمَاتِهِ».

وفي رواية الترمذي: «أَلا أُعَلِّمك كَلِمَاتٍ تَقُولِينَها؟ سُبْحانَ الله عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زَنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ[(٢)]».

الشــرح

هذه الأحاديث من الأحاديث التي فيها بيان فضيلة نوع من أنواع الذكر، وهو ما روته أم المؤمنين جويرية بنت الحارث عن النبي ﷺ أنه خرج من عندها الفجر ثم رجع إليها ضحى، وهي تسبح وتهلل فبين لها ﷺ أنه قال بعدها كلمات تزن ما قالت منذ الفجر أو منذ الصبح: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» ثلاث مرات، «سبحان الله وبحمده رضا نفسه» ثلاث مرات، «سبحان الله وبحمده زنة عرشه» ثلاث مرات، «سبحان الله وبحمده مداد كلماته» ثلاث مرات.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم(٤٩٠٥).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، رقم(٣٤٧٨).

أما «سبحان الله وبحمده عدد خلقه»: فمعناه أنك تسبح الله عزَّ وجلَّ وتحمده عدد مخلوقاته، ومخلوقات الله عزَّ وجلَّ لا يحصيها إلا الله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وأما «سبحان الله وبحمده زنة عرشه» وزنة عرشه لا يعلم ثقلها إلا الله سبحانه وتعالى؛ لأن العرش أكبر المخلوقات التي نعلمها، فإن النبي ﷺ يروى عنه أنه قال: «إن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة[1]» إذن فهو مخلوق عظيمٌ لا يعلم قدره إلا الله عزَّ وجلَّ.

وأما «سبحان الله وبحمده رضا نفسه» فيعني: أنك تسبح الله وتحمده حمدًا يرضى به الله عزَّ وجلَّ، وأي حمد يرضى به الله إلا وهو أفضل الحمد وأكمله.

وأما «فسبحان الله وبحمده مداد كلماته» والمداد ما يُكتب به الشيء وكلمات الله تعالى لا يقارن بها شيء قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. فكلمات الله تعالى لا نهاية لها.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٧).

فالمهم أنه ينبغي لنا أن نحافظ على هذا الذكر . «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» «ثلاث مرات» «سبحان الله وبحمده رضا نفسه» «ثلاث مرات» «سبحان الله وبحمده زنة عرشه» «ثلاث مرات» «سبحان الله وبحمده مداد كلماته» «ثلاث مرات» فيكون الجميع اثنا عشرة مرة .

* * *

١٤٣٤ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسى الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذكُرُهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ[١]» رواه البخاري.

ورواه مسلم فقال: «مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذكَرُ الله فيه، والبَيتِ الَّذي لا يُذْكَرُ الله فيه، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ»[٢].

١٤٣٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «يَقُولُ الله تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ[٣]» متفقٌ عليه.

١٤٣٦ ـ وَعَنْهُ قال: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ[٤]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ، رقم(٥٩٢٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٢٩٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، رقم(٦٨٥٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم(٤٨٣٢).

(٤) رواه مسلم: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، رقم(٤٨٣٤).

روى: «المُفرِّدُونَ» بتشديد الراء وتخفيفها، والمَشْهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهورُ: التَّشْديدُ.

الشـــرح

أما الحديث الأول فقد قال فيه رسول الله ﷺ: «مثل الذي يذكر الله، والذي لا يذكر الله كمثل الحي والميت»وذلك لأن الذي يذكر الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له صدره، فكان كالحي، وأما الذي لا يذكر الله فإنه لا يطمئن قلبه، والعياذ بالله، ولا ينشرح صدره للإسلام، فهو كمثل الميت، وهذا مثل ينبغي للإنسان أن يعتبر به وأن يعلم أنه كلما غفل عن ذكر الله عزَّ وجلَّ فإنه يقسو قلبه وربما يموت قلبه والعياذ بالله.

وأما الحديثان الأخيران: ففيهما أيضًا دليلٌ على فضيلة الذكر، وهو أن الإنسان إذا ذكر الله عزَّ وجلَّ في نفسه ذكره الله في نفسه، وإن ذكره في ملإ ذكره الله في ملإ خير منهم يعني: إذا ذكرت ربك في نفسك إما أن تنطق بلسانك سرًّا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملإ أي: عند جماعة فإن الله تعالى يذكرك في ملإ خير منهم، أي في ملإ من الملائكة يذكرك عندهم ويعلي ذكرك ويثني عليك جل وعلا.

ففي هذا دليلٌ على فضيلة الذكر، وأن الإنسان إذا ذكر الله عند ملإ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه، إلا أن يخاف على نفسه من الرياء، فإن خاف الرياء فلا يجهر، ولكن لا يكون في قلبه وساوس بأن يقول: إذا

ذكرت الله جهرًا فهذا رياء، فلا أذكر الله. فليدع هذه الوساوس ويذكر الله تعالى عند الناس وفي نفسه حتى يذكره الله عزَّ وجلَّ كما ذكر ربه.

وأما حديث أبي هريرة الثالث: فهو أن النبي ﷺ قال: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا، والذاكرات» فهذا دليلٌ على أن الذاكرين الله كثيرًا لهم السبق على غيرهم، لأنهم عملوا أكثر من غيرهم، فكانوا أسبق إلى الخير. والله الموفق.

* * *

١٤٣٧ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إله إلا الله[١]». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٣٨ ـ وَعَنْ عَبد الله بن بسر رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إن شرائع الإسلام قد كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله[٢]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٣٩ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ: سُبْحَانَ اللهِ وبَحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ[٣]» رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم(٣٣٠٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٧٩٠).

(٢) رواه أحمد (٤/١٨٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، رقم(٣٢٩٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم(٣٧٨٣).

(٣) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل، رقم(٣٣٨٦).

١٤٤٠ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَقِيتُ إبراهيمَ ﷺ لَيْلَةَ أسرِيَ بِي، فقالَ: يا محمَّدُ أقْرِىء أُمَّتكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُربَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسِهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكْبَرُ[1]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٤١ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمَالِكُمْ، وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيككم، وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكم، وَخَيْرٍ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَب والفِضَّةِ وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلقَوا عَدُوَّكم فَتَضربُوا أعْنَاقَهُمْ، وَيَضرِبوا أَعْنَاقَكُم؟» قالوا: بَلَى قالَ: «ذِكْرُ اللهِ تعالى[2]». رواه الترمذي، قال الحاكم أبو عبد الله: إسناده صحيحٌ.

الشـــرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها في مجموعها تدل على فضيلة الذكر كما سبق، ولكن في بعضها ما فيه مِنْ ضعف: فمنها أن النبي ﷺ قال له رجل: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فقال له النبي ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عزَّ وجلَّ» هذا الحديث فيه ضعف لكن إن صح فالمعنى: أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل، أما الفرائض فلا يغني

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل، رقم(٣٣٨٤).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٩٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٢٩٩)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم(٣٧٨٠)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٦٧٣).

عنها قول: «لا إله إلا الله» ولا غيره، الفرائض لابد منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما يحصل به الخلل ومنها أيضًا أن الرسول ﷺ قال: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»، ولا شكَّ أن هذه الكلمة كلمة عظيمة فهي التي يدخل بها الإنسان في دين الإسلام، فهي مفتاح الإسلام كما جاء في الحديث أن «مفتاح الجنة هو لا إله إلا الله».

ومنها: أيضًا فضيلة «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» وأن هذه غراس الجنة، يعني أن الإنسان إذا قالها يغرس له في الجنة غرسًا في كل كلمة.

ومنها: أن ذكر الله عزَّ وجلَّ من أفضل الأعمال، وأوفاها وأحبها إلى الله عزَّ وجلَّ، بل هو من أسباب الثبات عند اللقاء كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

هذه الأحاديث كلها تدل على فضيلة الذكر وأنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله، وقد مر علينا قول النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» والله الموفق.

* * *

١٤٤٢ ـ وَعَنْ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رسولِ الله ﷺ عَلَى امْرَأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نوى ـ أَوْ حَصَى ـ تُسَبِّحُ بِهِ فقالَ: «أُخبِرُكَ بِمَا هُوَ أيسَرُ عَلَيْكَ مِنَ هذا ـ أَوْ أَفْضَلُ» فقالَ: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ في السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله

عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، والله أكبر مِثْلَ ذلكَ، والحمْدُ للهِ مِثْلَ ذلك، وَلاَ إله إلا الله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ مِثْلَ ذَلِكَ[(١)]». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٤٣ ـ وعَنْ أَبِي مُوسى رضي الله عنهُ قالَ: قالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»؟ فقلت: بَلَى يا رسول الله قال: «لا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ[(٢)]» متفق عليه.

الشـــرح

هذان الحديثان في بيان فضل الذكر، وقد سبقت أحاديث كثيرة كلها تدل على فضل الذكر. فحديث سعد بن أبي وقاص في دخول النبي ﷺ على المرأة وبين يديها حصى أو نوى تسبح به، فقال: **«ألا أخبرك بما هو أفضل من ذلك؟!»** فذكر لها تسبيحًا سبق نظيره أو قريب منه، قوله ﷺ: **«سبحان الله وبحمده عدد خلقه»** (ثلاث مرات) **«سبحان الله وبحمده زنة عرشه»** (ثلاث مرات)، **«سبحان الله وبحمده رضا نفسه»** (ثلاث مرات) **«سبحان الله وبحمده مداد كلماته»** (ثلاث مرات) هذه اثنا عشر مرة فيها خيرٌ كثيرٌ، وسبق بيان ذلك.

أما حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟»** والاستفهام هنا للتشويق، يعني: يشوقه

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصى، رقم(١٢٨٢)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ وتعوذه، رقم(٣٤٩١).

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم(٣٨٨٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم(٤٨٧٥).

الرسول ﷺ إلى أن يستمع إلى ما يقول، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» لأن هذه الكلمة فيها التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله عزَّ وجلَّ، فالإنسان ليس له حول وليس له قوة. فلا يتحول من حالٍ إلى حال ولا يقوى على ذلك إلا بالله عزَّ وجلَّ، فهي كلمة استعانة إذا أعياك الشيء، وعجزت عنه قل: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» فإن الله تعالى يعينك عليه، وليست هذه الكلمة كلمة استرجاع كما يفعله كثيرٌ من الناس إذا قيل له: حصلت المصيبة الفلانية. قال: لا حولا ولا قوة إلا بالله. ولكن كلمة الاسترجاع أن تقول: إنا لله وإليه راجعون، أما هذه فهي كلمة استعانة، وإذا أردت أن الله يعينك على شيء فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكما ذكر الله تعالى في سورة الكهف قصة صاحب الجنتين قال له صاحبه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. لكان هذا خيرًا لك وأبقى لجنتك، ولكنه دخلها وقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥]. فأعجب بها وأنكر قيام الساعة، فأرسل الله عليها حسبانًا من السماء فأصبحت صعيدًا زلقًا.

فالمهم أن كلمة «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» كنزٌ من كنوز الجنة، تقولها أيها الإنسان عندما يعييك الشيء ويثقلك وتعجز عنه قل: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ييسر الله لك الأمر؛ والله الموفق.

* * *

٢٤٥ ـ باب ذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٤٤٤ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَذكُرُ الله تعالى عَلَى كُلِّ أحيَانِهِ(١). رواه مسلمٌ.

١٤٤٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أرادَ أَنْ يَأتِيَ أَهْلَهُ قالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ ما رَزَقْتَنَا، فإنَّهُ إنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذلك، لم يَضُرّهُ شَيْطَانٌ(٢)» متفقٌ عليه.

الشـــرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب ذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا: يعني أن الإنسان ينبغي له أن يذكر الله تعالى في كل حال قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم(٥٥٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله، رقم(٥٩٠٩)، ومسلم: كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم(٢٥٩١).

ثم استشهد ـ رحمه الله ـ بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. في خلق السموات والأرض، يعني في ذات السموات، وذات الأرض بما فيهما من عجائب مخلوقات الله تعالى، آيات لأولي الألباب أولي العقول الذين يدركون ما بآيات الله من الحكم والأسرار، فالسماء واسعة عالية والأرض مسطحة مذللة للخلق فيها من آيات الله تعالى من البحار والأنهار والأشجار والجبال وغير ذلك، ما يستدل به على خالقها جلَّ وعلا.

وأما اختلاف الليل والنهار فاختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والحر والبرد والرخاء والشدة والأمن والخوف والبؤس والعافية، وغير ذلك فيها أيضًا آيات عظيمة، والإنسان إذا طالع تاريخ البروج ورأى تقلبات الليل والنهار واختلافهما رأى من آيات الله العجيبة ما يزداد به إيمانه، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. هذا هو الشاهد يذكرون الله في كل حال قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، في كل حال.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل الأحيان. أي على كل الأزمان، في كل زمن يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، حتى أن النبي ﷺ ندب للمسلم أن يذكر الله عند جماع أهله، فقال: «لو أن أحدكم أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إذا قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان».

ففي هذا دليلٌ على أنه ينبغي لك أن تكثر من ذكر الله في كل حال. إلا أن العلماء قالوا: لا ينبغي أن يذكر الله تعالى في الأماكن القذرة، مثل أماكن قضاء الحاجة «المراحيض» ونحوها تكريمًا لذكر الله عزَّ وجلَّ عن هذه المواضع، هكذا ذكر بعض أهل العلم. والله أعلم.

* * *

٢٤٦ـ باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه

١٤٤٦ ـ عن حُذَيفَةَ، وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ قالَ: «باسمِكَ اللَّهُمَّ أموتُ وأحيا» وإذا اسْتَيْقَظَ قالَ: «الحَمْدُ لله الذي أَحْيَانَا بَعْدَ ما أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشورُ[1]» رواه البخاري.

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه).

من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا أن الله شرع لنا أذكارًا عند النوم والاستيقاظ والأكل والشرب، ابتداء وانتهاء، بل حتى عند دخول الخلاء وعند اللباس، كل هذا من أجل أن تكون أوقاتنا معمورة بذكر الله عزَّ وجلَّ، ولولا أن الله شرع لنا ذلك لكان بدعة، ولكن الله شرع لنا هذا من أجل أن تزداد نعمته علينا بفعل هذه الطاعات.

فمنها هذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن حذيفة، وأبي ذر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» (إذا أوى) يعني: إذا ذهب إلى فراشه وأراد أن ينام قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»، لأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي المميت، فهو المحيي يحيي من شاء، وهو المميت يميت من يشاء، فتقول: باسمك اللهم أموت وأحيا. أي: أموت على اسمك وأحيا على اسمك، ومناسبة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، رقم(٥٨٣٩).

هذا الذكر عند النوم هو أن النوم موت، لكنه موت أصغر كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. ولهذا كان رسول الله ﷺ: إذا قام من الليل قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور - يعني الإخراج من القبور - يكون إلى الله عزَّ وجلَّ، فتتذكر ببعثك من موتتك الصغرى بعثك من موتتك الكبرى، وتقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» وفي هذا دليلٌ على الحكمة العظيمة في هذا النوم الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق وتنشيطًا فيما يستقبل، وأنه يذكر أيضًا بالحياة الأخرى، تذكر بذلك إذا قمت من قبرك بعد موتك حيًّا إلى الله عزَّ وجلَّ.

وهذا يزيدك إيمانًا بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، لولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يبعث ويجازى على عمله ما عمل، ولهذا نجد كثيرًا أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النساء: ١٦٢]. وآيات كثيرةٌ في هذا.

فالحاصل: أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» وإذا استيقظت تقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» والله الموفق.

* * *

٢٤٧- باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

١٤٤٧ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ لله تعالى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذكُرُونَ الله عَزَّ وجلَّ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهم بِأجْنِحَتِهِم إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسأَلُهُم ربُّهُم - وَهُوَ أَعْلَم - : ما يقولُ عِبَادِي؟ قال: يقولون: يُسَبِّحُونكَ، وَيُكَبِّرونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدونَكَ، فيقولُ: هل رَأونِي؟ فيقولون: لا وَاللهِ مَا رَأوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْف لو رَأوْنِي؟! قالَ: يَقُولون: لو رَأَوْكَ كانُوا أَشَدَّ لك عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لكَ تَمْجيدًا، وأكثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. فَيَقُولُ: فماذَا يَسألُونَ؟ قالَ: يَقُولونَ: يَسألُونَكَ الجَنَّةَ قالَ: يقولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قالَ: يقولونَ: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لو رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيهَا حِرْصًا، وأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وأَعْظَمَ فِيها رَغْبَةً. قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يَتعوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قالَ: يقولون: لا والله مَا رَأوْهَا. فَيَقُولُ: كَيْفَ لو رَأوْهَا؟! قال: يَقُولون: لو رَأوهَا كانُوا أشَدَّ منها فِرَارًا، وأشدَّ لها مَخَافَةً. قَالَ: فيقُولُ: فَأُشْهِدُكم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ الملائِكَةِ: فِيهم فُلانٌ لَيْسَ منهم، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قال: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهم[1]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ، رقم(٥٩٢٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، رقم(٤٨٥٤).

وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجلِسًا فيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يملأوا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدوا إلى السَّمَاءِ، فَيَسأَلَهُمُ الله عزَّ وجلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ مِنْ أَيْنَ جِئتُمْ؟ فَيَقُولون: جِئْنَا مِنْ عِنْدَ عِبَادٍ لَكَ في الأرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونكَ، ويُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُوني؟ قَالُوا: يَسأَلُونَكَ: جَنَّتَكَ. قالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالُوا: لا، أَيْ رَبِّ. قالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونك: قال: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُوني؟ قالوا؟! من نَارِكَ يَا رَبِّ. قالَ: وَهَلْ رَأَوْ نَارِي؟ قالوا: لا، قال: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْ نارِي؟! قالُوا: وَيَسْتغْفِرُونَكَ، فيقول: قَد غَفرتُ لهم، وأَعْطيتُهم مَا سَألوا، وَأَجَرْتُهم مم اسْتَجَارُوا. قال: فيقولونَ: رَبِّ فيهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فيقولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم».

الشــــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل حِلَق الذكر يعني الاجتماع على ذكر الله عزَّ وجلَّ. ثم ذكر الآية الكريمة ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: ٢٨]. فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصبر نفسه مع هؤلاء القوم الفضلاء الشرفاء الكرماء، وصبر النفس يعني حبسها: احبس نفسك معهم فإن هؤلاء القوم خير من تجلس إليهم.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ أي: في أول النهار، وبالعشي في آخر

النهار، ومن ذلك إن شاء الله الاجتماع على صلاة الفجر وعلى صلاة العصر، لأن الأولى في الصباح والثانية في المساء غداة وعشيًّا.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: يريدون وجهه، هذا دليلٌ على إخلاصهم لله عزَّ وجلَّ وأنهم لا يريدون من هذا الاجتماع والدعاء أن يمدحوا بذلك أو يقال: ما أعظم عبادتهم، ما أكثرها، ما أصبرهم عليها! لا يريدون هذا كله، يريدون وجه الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ﴾ يعني: لا تتجاوز عنهم وتفارقهم وتغض الطرف عنهم من أجل الدنيا، أما من أجل مصلحة أخرى أعظم مما هم عليه فلا بأس، لكن من أجل الدنيا فلا هؤلاء هم القوم، وهم أهل الدنيا والآخرة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ يعني: لا تطع الغافل الذي غفل قلبه عن ذكر الله، وكان أمره فرطًا، واتبع هواه، وضاعت عليه دنياه، وضاعت عليه أخراه.

ففي هذه الآية الكريمة فضل الاجتماع على الذكر والدعاء، وفيها فضل الإخلاص، وأن الإخلاص هو الذي عليه مدار كل شيء وفيها أيضًا أن الإنسان لا ينبغي له أن يدع أحوال الآخرة والعبادات إلى أحوال الدنيا.

أما الأحاديث، فذكر المؤلف حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري، وصحيح مسلم: «**إن الله تعالى وكل ملائكة يسيحون في الأرض يطلبون حلق الذكر**» والملائكة عالم غيبي فاضل، خلقهم الله عزَّ وجلَّ من النور وجعلهم صمدًا لا أجواف لهم، فلا يأكلون ولا يشربون، لا يحتاجون إلى هذا ليست لهم بطون ولا لهم أمعاء، فهم صمد ولهذا لا

يأكلون ولا يشربون، وهم عالم غيبي لا يراهم البشر ولكن قد يُري الله تعالى الناس إياهم أحيانًا كما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام على هيئة «رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة»، وجلس إلى النبي ﷺ وسأله، فهذا قد يحدث أحيانًا، ولكن الأصل أن عالم الملائكة عالم غيبي. والملائكة كلهم خير ولهذا لا يدخلون الأماكن التي فيها ما يغضب الله عزَّ وجلَّ.

«فلا يدخلون بيتًا فيه صورة»، و«لا يصحبون رفقة فيها جرس» و«لا رفقة معهم كلب»، إلا الكلب المحلل الذي يجوز اقتناؤه، هؤلاء الملائكة وكَّلهم الله عزَّ وجلَّ يسيحون في الأرض. فإذا وجدوا حلق الذكر جلسوا معهم، ثم حفوا هؤلاء الجالسين بأجنحتهم إلى السماء، يعني هؤلاء الملائكة من الأرض إلى السماء، ثم إن الله تعالى يسألهم ليظهر فضيلة هؤلاء القوم الذين جلسوا يذكرون الله ويسبحونه ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه ويدعونه، وإلا فالله أعلم ـ عزَّ وجلّ ـ لماذا جلسوا، لكن ليظهر فضلهم ونبلهم، يسأل الملائكة: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحون ويهللون ويكبرون ويحمدون ويدعون. فيقول لهم: ماذا يريدون؟ قالوا: يريدون الجنة «اللهم اجعلنا ممن أرادها وكان من أهلها» قال: هل رأوها؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوها؟ قالوا: لكانوا أشد لها طلبًا، وأشد فيها رغبة، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب**

بشر[١]»، ثم يسألهم: ماذا يدعون بالنجاة منه؟ قالوا: يسألونك النجاة من النار. هذا معنى الحديث. قال: هل رأوها؟ قالوا: لا. ما رأوها. قال: فكيف لو رأوها؟ قالوا: لكانوا أشد منها مخافة. فيقول الله عزَّ وجلَّ: أشهدكم أني قد غفرت لهم جميعًا، وإذا غفر الله للإنسان استحق أن يدخل الجنة وأن ينجو من النار. فيقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلانًا، ما جاء للذكر، لكن جاء لحاجة فوجد هؤلاء القوم فجلس معهم. فيقول جلَّ وعلا: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

ففي هذا الحديث دليلٌ على فضيلة مجالسة الصالحين، وأن الجليس الصالح ربما يعم الله سبحانه وتعالى بجليسه رحمته وإن لم يكن مثله؛ لأن الله تعالى قال: قد غفرت لهذا. مع أنه ما جاء من أجل الذكر والدعاء لكنه جاء لحاجة، وقال: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»، وعلى هذا فيستحب الاجتماع على الذكر وعلى قراءة القرآن وعلى التسبيح والتحميد والتهليل وكل يدعو لنفسه، ويسأل الله لنفسه ويذكر لنفسه.

ومن الاجتماع ـ كما ذكرت من قبل ـ أن يجتمع المسلمون على صلاة الفجر، وصلاة العصر، لأنها ذكر: تسبيح وتكبير وتهليل وقراءة قرآن ودعاء، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الملائكة الموكلين ببني آدم يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر. وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم(٣٠٠٥)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم(٥٠٥٠).

١٤٤٨ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وعن أبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله عزَّ وجلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمنْ عِنْدَهُ(١)» رواه مسلم.

١٤٤٩ ـ وَعَنْ أبي واقِدٍ الحارث بن عَوْفٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفرٍ، فَأقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسُولِ الله ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَوَقَفَا على رَسول الله ﷺ. فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فرأى فُرجَةً في الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فيها، وأَمَّا الآخرُ، فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثالثُ فَأدبَرَ ذاهبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُول الله ﷺ قال: أَلاَ أُخْبِرُكم عَنِ النَّفْرِ الثَّلاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهم، فَأوى إلى الله، فآواهُ الله إليهِ، وأما الآخرُ فاسْتَحْيَا فاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وأَمَّا الآخرُ، فَأعرَضَ، فَأَعْرَضَ الله عنهُ(٢)» متفقٌ عليه.

الشرح

هذان الحديثان من الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ فالأول أخبر فيه النبي ﷺ أنه ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، وهذا يدل على فضل الاجتماع على ذكر الله عزَّ وجلَّ، ولا يلزم من هذا أن

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم(٤٨٦٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، رقم(٦٤)، ومسلم: كتاب السلام، باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة، رقم(٤٠٤٢).

يذكروا الله بصوت واحد، بل الحديث مطلق لكن لم يعهد عن السلف أنهم يذكرون ذكرًا جماعيًا كما يفعله بعض أهل الطرق من الصوفية وغيرها، وفيه أن هؤلاء المجتمعين تنزل عليهم السكينة، والسكينة هي طمأنينة القلب وخشوعه وإنابته إلى الله عزَّ وجلَّ، و«**تغشاهم الرحمة**» أي: تحيط بهم من كل جانب فيكونون أقرب إلى رحمة الله عزَّ وجلَّ، و«**حفتهم الملائكة**» أي: كانوا حولهم يحفون بهم إكرامًا لهم ورضا بما فعلوا، و«**ذكرهم الله فيمن عنده**»، أي في الملأ الأعلى، وقد مرَّ علينا أن الله تعالى قال: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**».

وأما **الحديث الثاني**: ففيه أيضًا أن النبي ﷺ كان جالسًا مع أصحابه في المسجد فأقبل ثلاثة نفر، يعني ثلاثة رجال، أما أحدهم فولى وأعرض ولم يأت إلى الحلقة، وأما الثاني فوجد في الحلقة فرجة فجلس، وأما الثالث فجلس خلف الحلقة كأنه استحيا أن يزحم الناس وأن يضيق عليهم، فلما فرغ النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بنبأ القوم؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله عزَّ وجلَّ**» وهو الذي جلس «**فآواه الله عزَّ وجلَّ إليه**» لأنه كان صادق النية في الجلوس مع النبي ﷺ فيسر الله له «**وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه**» لأنه ما زاحم ولا تقدم، «**أما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه**» لم يوفقه لأن يجلس مع هؤلاء القوم البررة الأطهار.

وفي الحديث إثبات الحياء لله عزَّ وجلَّ، ولكنه ليس كحياء المخلوقين، بل هو حياء كمالٍ يليق بالله عزَّ وجلَّ، وقد قال النبي ﷺ: «**إن**

الله حيي كريم» وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
والله سبحانه وتعالى يوصف بهذه الصفة لكن ليس مثل المخلوقين لأن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فكلما مر عليك صفة من صفات الله مشابهة لصفات المخلوقين في اللفظ فاعلم أنهما لا يستويان في المعنى لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. فإذا مرَّ بك مثلاً أن الله استوى على العرش، فلا تظن أن استواءه على العرش كاستوائك أنت على ظهر البعير الذي قال فيه: ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وإذا قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. فلا تظن أن يدي الله جل وعلا مثل يديك، لأن الله ليس كمثله شيء، فجميع صفاته هو منفرد بها جل وعلا، وكما أننا نوحده في ذاته، ونوحده في العبادة، كذلك نوحده في صفاته سبحانه وتعالى. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ والله الموفق.

* * *

١٤٥٠ - وَعَنْ أَبِي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه قالَ: خَرَجَ مَعَاوِيَة رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فقالَ: ما أجْلسَكُمْ؟ قالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله. قَالَ: آللهِ ما أجْلسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟ قالوا: مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قال: أمَا إنِّي لم أستَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ومَا كانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلتي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أقلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مني: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ من أصحابِهِ فقال: «مَا أجْلسَكُمْ؟» قالوا: جَلَسْنَا نَذكُرُ الله، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإسلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قالَ: «آللهِ مَا أجْلسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟

قالوا: آللهِ ما أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. قالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولِكنَّهُ أَتَانِي جِبريلُ فَأخْبَرَنِي أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ[1]» رواه مسلم.

الشرح

إن هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على فضيلة الاجتماع على ذكر الله عزَّ وجلَّ، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري عن معاوية رضي الله عنهما أنه خرج على حلقة في المسجد فسألهم على أي شيء اجتمعوا، فقالوا: نذكر الله. فاستحلفهم رضي الله عنه أنهم ما أرادوا إلا ذلك، فحلفوا له، ثم قال لهم: إني لا أستحلفكم تهمة لكم، ولكني رأيت النبي ﷺ خرج على قوم وذكر مثله. فدل ذلك على فضيلة هذا الاجتماع على ذكر الله، وأن الله عزَّ وجلَّ يباهي بهم الملائكة، فيقول مثلاً: انظروا إلى عبادي اجتمعوا على ذكري. وما أشبه ذلك، مما فيه المباهاة، ولكن ـ كما ذكرنا سابقًا ـ ليس هذا الاجتماع أن يجتمعوا على الذكر بصوت واحد، ولكن يتذكرون نعمة الله عليهم بما أنعم عليهم من نعمة الإسلام وعافية البدن والأمن، وما أشبه ذلك، فإن ذكر نعمة الله من ذكر الله عزَّ وجلَّ، فيكون في هذا دليلٌ على فضل جلوس الناس ليتذاكروا نعمة الله عليهم، ولهذا كان بعض السلف إذا مرَّ بأخيه أو جاءه أخوه قال: اجلس بنا نؤمن ساعة، أي اجلس بنا نتذكر نعمة الله علينا حتى يزداد إيماننا، فدل ذلك على فضيلة هذا الاجتماع.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم(٢٤٠٢).

٢٤٨ـ باب الذكر عند الصباح والمساء

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال أهل اللغة: «الآصال»: جمع أصيل، وهو ما بين العصر والمغرب. وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]. **وقال تعالى:** ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥].

قال أهل اللغة: «العشي»: ما بين زوال الشمس وغروبها وقال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨].

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب الذكر في الصباح والمساء، يعني فضيلته في الصباح والمساء، يعني أول النهار وآخر النهار وأول الليل، ويدخل الصباح من طلوع الفجر، وينتهي بارتفاع الشمس ضحًى، ويدخل المساء من صلاة العصر وينتهي بصلاة العشاء أو قريبًا منها.

فالأذكار التي أريدت بالصباح والمساء هذا وقتها، والأذكار التي أريدت بالليل تكون بالليل، مثل آية الكرسي من قرأها في ليلة فلابد أن تكون في الليل نفسه ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات متعددة في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ . يعني: فيما بينك وبين نفسك ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ يعني: تضرعًا إلى الله عزَّ وجلَّ وافتقارًا إليه وإظهارًا للفقر بين يديه ﴿ وَخِيفَةً ﴾ يعني: خيفة منه أو خيفة ألا تقبل، لقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. يعني: يؤتون ما آتوا ومع هذا قلوبهم وجلة، يخافون ألا يقبل منهم، لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين، ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ . يعني الإسراء ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ثم ذكر أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨]، والآيات في هذا كثيرة، وسوف يأتي إن شاء الله في الأحاديث تفسير ذلك.

* * *

١٤٥١ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ قالَ حِينَ يُصْبِحُ وحينَ يُمسي: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ مائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلا أَحَدٌ قال مِثْلَ ما قال أوْ زَادَ[١]» رواه مسلم.

١٤٥٢ ـ وعنهُ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ الله مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قال: «أَمَا لَو قُلتَ حِينَ أمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح، رقم(٤٨٥٨).

الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ[١]» رواه مسلم.

١٤٥٣ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ كانَ يَقولُ إذَا أصبَحَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُور». وإذا أمْسَى قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نحيا، وبِكَ نموتُ، وإليك النُّشُورُ[٢]».

رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشــرح

هذه الأحاديث الثلاثة ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب الذكر في الصباح والمساء، الأول فضل قول الإنسان «سبحان الله وبحمده مائة مرة» إذا قالها الإنسان مائة مرة حين يصبح ومائة مرة حين يمسي لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل، وهذا الذكر «سبحان الله وبحمده» معناه أنك تنزه الله عزَّ وجلَّ عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى وتثني عليه بل وتصفه بصفات الكمال، وذلك في قولك: «وبحمده» فينبغي للإنسان إذا أصبح أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة»، وإذا أمسى أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة»، وذلك ليحوز هذا الفضل الذي ذكره النبي ﷺ.

ومن ذلك أن الإنسان يقول إذا أصبح وإذا أمسى «**أعوذ بكلمات الله**

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في التعوذ من سوء القضاء، رقم(٤٨٨٣).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤٠٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم(٣٣١٣).

التامات من شر ما خلق»، فهذا لجوء إلى الله سبحانه وتعالى واعتصام به من شر ما خلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء فإنه لا يضرك شيء، ولهذا اشتكى رجل إلى النبي ﷺ ما وجده من لدغة عقرب، فقال: «أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك».

ومن الأذكار الصباحية والمسائية: قول: «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور» في الصباح، وفي المساء «اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نموت وبك نحيا وإليك المصير» فينبغي للإنسان أن يحافظ على هذه الأذكار الواردة عن النبي ﷺ، ليكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات والله الموفق.

كلمات الله التامات: هي كلماته الكونية، فإنه يقول للشيء: كن فيكون، وبذلك يحميه. إذا قالها قبل ما تسلط عليه.

* * *

١٤٥٤ ـ وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أَبَا بَكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قالَ: يا رسُول الله مُرْنِي بِكَلِماتٍ أقُولُهُنَّ إِذَا أصْبَحْتُ وَإِذَا أمْسَيْتُ، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأرضِ عالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيْكَهُ أشهدُ أن لا إله إلاّ أنت أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نفسي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ قال: «قُلْها إذا أصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أخذْتَ مَضْجَعَكَ[1]» رواه أبوداود والترمذي وقالَ: حديثٌ

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٥٠٤٤)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٣١٤).

حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذا من الأذكار التي تُقال في الصباح والمساء والذي علمها النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه حين قال: علمني. فعلمه النبي ﷺ ذكرًا ودعاء يدعو به كلما أصبح وكلما أمسى، يقول رضي الله عنه قال: «**قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه**».

«**قل: اللهم فاطر السماوات والأرض**». يعني: يا الله يا فاطر السموات والأرض، وفاطرهما يعني: أنه خلقهما عزَّ وجلَّ على غير مثال سابق بل أبدعهما وأوجدهما من العدم على غير مثال سابق «**عالم الغيب والشهادة**» أي: عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه، لأن الله تعالى يعلم الحاضر والمستقبل والماضي.

«ربّ كل شيء ومليكه» يعني: يا رب كل شيء ومليكه، والله تعالى هو رب كل شيء وهو مليك كل شيء، والفرق بين الرب وبين المالك في هذا الحديث، أن الرب هو الموجد للأشياء الخالق لها، والمليك هو الذي يتصرف فيها كيف يشاء «**أشهد أن لا إله إلا أنت**» أعترف بلساني وقلبي أنه لا معبود حق إلا أنت، فكل ما عُبِدَ من دون الله فإنه باطل لا حق له في العبودية، ولا حق في العبودية، إلا لله وحده عزَّ وجلَّ.

«**أعوذ بك من شر نفسي**» لأن النفس لها شرور، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٣]. فإذا لم يعصمك الله من شرور نفسك فإنها تضرك، وتأمرك

بالسوء، ولكن الله إذا عصمك من شرها، وفقك إلى كل خير.

«ومن شر الشيطان وشركه» وفي لفظ «وَشَرَكِهِ» يعني تسأل الله أن يعيذك من شر الشيطان ومن شر شركه، أي: ما يأمرك به من الشرك، أو «شَرَكِهِ» والشَرَكَ ما يصاد به الحوت والطير وما أشبه ذلك؛ لأن الشيطان له شَرَكٌ يصطاد به بني آدم، إما شهوات أو شبهات أو غير ذلك.

«وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم» هذا تتمة الحديث، ولعله سقط من هذه النسخة «أن أقترف على نفسي سوءًا» أقترف يعني أجر على نفسي سوءً «أو أجره إلى مسلم» فهذا الذكر أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه.

نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى.

* * *

١٤٥٥ ـ وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قال: «أَمْسَيْنَا وأَمْسَى المُلكُ لله، والحَمْدُ لله، لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَه» قالَ الراوي: أُرَاهُ قال فيهِنَّ: «لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، رَبِّ أسْأَلُكَ خَيْرَ مَا في هذه اللَّيْلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأعُوذُ بِكَ من شَرِّ مَا في هذه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أعُوذُ بك مِنَ الكَسَل، وَسُوء الكِبَرِ، رَبِّ أعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ في النَّارِ، وعَذَابٍ في القَبْرِ» وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «أصبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ لله[1]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل، رقم(٤٩٠١).

الشــرح

هذا الحديث من الأذكار الواردة في الصباح والمساء، وهو ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أمسى يقول: «**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» وقد سبق أن أوضحنا معاني هذه الكلمات.

والنبي ﷺ يكثر من ذكر الله عزَّ وجلَّ، على وجوه متنوعة، ومنها: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر**». وفي لفظ «**وسوء الكبر**» «**وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر**» وإذا أصبح يقول مثل ذلك، إلا أنه يقول: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**».

ومَنْ أراد الاستزادة من هذه الأذكار فعليه بكتاب «**الأذكار**» للمؤلف الحافظ النووي رحمه الله، أو «**الوابل الصيب من الكلم الطيب**» لابن القيم رحمه الله، أو غير ذلك مما ألفه العلماء في هذا الباب. والله الموفق.

* * *

١٤٥٦ ـ وعَنْ عَبْدِ الله بن خُبَيب ـ بضمِّ الخاء المُعجمعة ـ رضي الله عنه قالَ: قالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأ قُلْ هو الله أحدٌ، والمعوِّذتَيْنِ حينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيك من كلِّ شيء[1]» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديث

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤١٩)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، رقم(٣٤٩٩).

حسنٌ صحيحٌ.

١٤٥٧ ـ وعنْ عُثْمَانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبدٍ يَقُولُ في صباحِ كلِّ يَوْمٍ ومساءِ كلِّ لَيْلَةٍ: بسم الله لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شِيءٌ في الأرض وَلاَ في السماء وَهُوَ السَّمِيعُ العليمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، إلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيءٌ[1]» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذان الحديثان في بيان أذكار الصباح والمساء، ذكرهما الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ الأول حديث عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. في الصباح والمساء ثلاث مرات، وبين أن هذا يكفيه كل شيء.

أما السورة الأولى: فهي سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ التي أخلصها الله تعالى لنفسه فلم يذكر فيها شيئًا إلا يتعلق بنفسه جل وعلا، ليس فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع أو غير ذلك، بل كلها مخلصة لله عزَّ وجلَّ. ثم إنَّ الذي يقرؤها يكمل إخلاصه لله تعالى، فهي مخلصة ومخلصة، تخلص قارءها من الشرك، وقد بين النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، ولكنها لا تجزيء عنه، تعدله ولا تجزئ عنه والشيء قد

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤٢٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم(٣٣١٠).

يكون عديلاً للشيء ولكن لا يجزىء عنه، ألم تروا أن الإنسان إذا قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، ومع ذلك لا تجزىء عن عتق رقبة، ففرق بين المعادلة في الأجر وبين الإجزاء في الكفارة، ولهذا لو قرأ الإنسان: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الصلاة ثلاث مرات ما أجزأت عن الفاتحة، مع أنه لو قرأها ثلاث مرات كأنما قرأ القرآن كله لأنها تعدل ثلث القرآن.

وأما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره الخبيث لبيد بن الأعصم اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل، فحَلَّ الله عنه السحر، قال النبي ﷺ: «**ما تعوذ متعوذ بمثلهما**» تستعيذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾. فالفلق فلق الإصباح، وهو فالق الحب والنوى جل وعلا ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]. كل ما خلق ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]. يعني الليل إذا دخل، لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش وغير ذلك، فتستعيذ بالله من شر غاسق إذا وقب ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] أي: الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر، وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم والعياذ بالله ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. هو العائن يصيب بعينه، لأن الساحر يؤثر، والعائن يؤثر، فأمرت أن تستعيذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ جل وعلا: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ

﴿فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وتأمل تناسب هذه الآيات الثلاثة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾. الليل، لأن البلاء يكون فيه خفيًا، والسحر كذلك خفي، والعين كذلك خفية، فنستعيذ برب الفلق الذي يفلق الإصباح حتى يتبين ويفلق النوى حتى يظهر ويبرز، فهذه من مناسبة المقسم به والمقسم عليه.

أما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فهي السورة الأخرى أيضا التي بها الاستعاذة بالله عزَّ وجلَّ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾. فهو الرب الملك ذو السلطان الأعظم الذي لا يمانعه شيء ولا مبدل لكلماته جل وعلا ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾. أي: معبودهم الذي يعبد بحق، فلا معبود حق إلا الله عزَّ وجلَّ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾. هذه وساوس الصدور التي يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان، وسبحان الله العظيم، الدنيا اسم على مسمى، دنيئة لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه، ترفنا في هذه الأيام في هذا العهد لا يوجد نظيره فيما سبق، النعم متوافرة والأموال والبنون وكل شيء، والترف الجسدي ظاهر، لكن كثرت في الناس الآن الوساوس والأمراض النفسية، والبلاء، حتى لا تتم الدنيا فيركن الإنسان إليها؛ لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنْسَتِ الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها

كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم[١]» والله عزَّ وجلَّ إذا فتح الدنيا من جانب صار صفوها كدرًا من جانب آخر أو من جانب أخرى، والشاعر الجاهلي يقول:

فيـــــوم علينـــــا ويـــــوم لنـــــا
ويـــــوم نســـــاء ويـــــوم نســـــر

فالحاصل أن هذه السورة فيها الاستعاذة من الوسواس، والوسواس يقع في الإنسان أحيانًا في أصول الدين وفي ذات الرب وفي القرآن، وفي الرسول ﷺ، حتى يوسوس للإنسان في أشياء يحب أن يكون فحمة ولا يتكلم بها، يوسوس أيضًا في الطهارة، فبعض الناس يصاب بالوسواس - والعياذ بالله - يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق فيبقى خمس ساعات - نسأل الله العافية - وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام يكرر الكاف عشرين مرة «الله أكبر» وربما يعجز، حتى إن بعضهم يقول: إني لا أستطيع أن أصلي إطلاقًا. فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة، يقع الوسواس في معاملة الأهل، حتى إن بعضهم يخيل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه، فيأكل من المطاعم، وحتى إن الرجل ليتكلم لأهله فيقول: يا أم فلان «زوجته» فيقول له الشيطان: طلقتها وينكد عليه الحال، حتى إن بعضهم إذا فتح المصحف ليقرأ، كلما قلب ورقة خيل له الشيطان أنه قال لامرأته: أنت طالق فترك قراءة القرآن فالوساوس عظيمة لكن

---

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٣٨٦).

طردها سهل جدًّا، بيّنه النبي ﷺ الذي أعطاه الله جوامع الكلم وفواتح الكلم، وخواتم الكلم، حين شكي إليه هذا الأمر فقال ﷺ: «إذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته[1]» كلمتان، «يستعذ بالله»، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولكن يقولها بصدق وإخلاص، وأنه ملتجىء إلى الله حقًّا، لا مفر له من الله إلا إليه، (ولينته): أي يعرض عن هذا، فيعرض إطلاقًا، إذا استعمل هذا وإن كان سوف يضغط على نفسه وسوف يتعذب، لكن هذا في أول الأمر فقط، ثم بعد ذلك يزولُ بالكلية، لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، قال: «فليستعذ بالله ولينته» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٤].

هذه الجمل الثلاثة ـ الآيات الثلاث ـ يمكن أن يُقال إنها استوعبت أقسام التوحيد ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ توحيد الربوبية ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. الأسماء والصفات، لأن الملك لا يستحق أن يكون ملكًا إلا بتمام أسمائه وصفاته ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾. الألوهية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

قال العلماء: الخناس هو الذي يخنس عند ذكر الله. ولهذا جاء في الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»[2].

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم(١٩١).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٨١).

الغيلان: هي الأوهام والخيالات التي تعرض للإنسان في سفره، ولاسيما في الأسفار الأولى على الإبل، أو الإنسان الذي يسافر وحده، فتتهول له الشياطين، تتلون بألوان، مثل أسد، ذئب، ضبع، شيطان، جن «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» يعني قولوا «الله أكبر» فتتلاشى، لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله عزَّ وجلَّ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، يعني هذا الوسواس يكون من الجِنّة ويكون من الناس، الجنة هي الجن والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور والناس أيضًا بني آدم. وما أكثر الشياطين في زماننا وقبل زماننا وإلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. الآية، كذلك لأتباع الأنبياء أعداء من الشياطين يأتون إلى الناس يوسوسون، هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذج من العوام سواء في مذاهب باطلة وملل كاذبة أو غير ذلك، فيجب الحذر من شياطين الإنس الذين يوسوسون لك في أمور يزينونها في نفسك وهي فاسدة، فالمهم أن هذه السور الثلاث ينبغي للإنسان أن يقرأها كل صباح وكل مساء لأمر النبي ﷺ بها. والله الموفق.

*　*　*

٢٤٩ـ باب ما يقوله عند النوم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٤٥٨ ـ وعَنْ حُذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أوَى إلى فراشه قال: «باسمك اللهُمَّ أموت وأحْيَا[(١)]» رواه البخاري.

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله في باب أذكار الصباح والمساء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يقول حين يمسي وحين يصبح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا وقاه الله تعالى شر ذلك اليوم» وهذه الكلمات كلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» لأن الله سبحانه وتعالى بيده ملكوت السموات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء، ولهذا يسن ذكر الله تعالى بالتسمية على الأكل، إذا أردت أن تأكل تقول: «بسم الله» إذا أردت أن تشرب تقول: «بسم الله» إذا أردت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم(٥٨٣٧).

أن تأتي أهلك تقول: «بسم الله» فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة. يجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل أن يقول: «بسم الله» وإذا أراد أن يشرب أن يقول: «بسم الله» لأمر النبي ﷺ بذلك ولأن النبي ﷺ ذكر أن من لم يسم الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك، فلا تنسَ أن تقول في كل مساء وفي كل صباح **«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»** ثلاث مرات.

وقوله: «وهو السميع العليم» فالسميع من أسماء الله، والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله تعالى وله معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت فالله يسمعه مهما بعد ومهما ضعف، لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وهي امرأة جاءت تشتكي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام تقول: إن زوجها ظاهر منها، يعني قال لها: أنت علي كظهر أمي. وهذا القول يعد في الجاهلية طلاقًا بائنًا مثل الطلاق بالثلاثة، وهو كذب ومنكر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ﴾ [المجادلة: ٢]. فجاءت تشتكي إلى الرسول ﷺ فأنزل الله هذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تكلمه وإني لفي الحجرة، ويخفى عليَّ بعض حديثها،

والله تعالى من فوق سبع سموات يسمع كلامهما. فالله تعالى يسمع كلامك وإن خفتَ «ضعف» ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. فإياك أن تسمع الله عزَّ وجلَّ كلامًا لا يرضاه منك، واحرص على أن تسمعه ما يرضاه منك سبحانه وتعالى.

ومن معاني السميع: أنه سميع الدعاء، أي مجيب الدعاء، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. أي: مجيبه، فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافرًا، ولهذا يجيب الله عزَّ وجلَّ، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم، قال النبي ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**(١)» ويجيب سبحانه وتعالى من تعبد له وحمده وأثنى عليه، كما يقول المصلي: «سمع الله لمن حمده».

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضًا، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء قال الله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يعلم ما في الأرحام، ومفاتيح الغيب خمس مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترك في الفقراء، رقم(١٤٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]. فالله عزَّ وجلَّ عنده مفاتح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، إذا سقطت ورقة من شجرة في أبعد الفيافي، ولو كانت الورقة صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء الله به عليم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أنت الآن مثلاً في بلدك مستقر وليست عندك نية أن تسافر يمينًا ولا شمالاً، فإذا أراد الله أن تموت بأرض جعل لك حاجة فيها، تحملك تلك الحاجة إلى تلك الأرض، وتموت هناك.

ولقد حدثني الثقة عن قصة غريبة، يقول: إنهم خرجوا من مكة عندما كان الناس يحجون على الإبل، خرجوا من مكة بعد الحج، وفي أثناء الطريق مرضت أمه فجعل يمرضها فارتحل القوم في آخر الليل، وبقي هو يمرض أمه ويمهد لها الفراش على الراحلة، ثم ركبت الأم وسار يقودها، وضل الطريق، وارتفعت الشمس وارتفعت حرارة الجو فإذا بخباء صغير عند بادية فعرَّج عليهم ونزل وسلم عليهم وقال لهم: أين طريق نجد؟ قالوا: طريق نجد بعيد جدا، ولكن انزل واسترح ثم ندُلُّك على الطريق. يقول: فأنختُ الراحلة وأنزلتُ والدتي، وحينما نزلت على الأرض قبض الله روحها، فسبحان الله، لقد جاءت من بلدها إلى هذه الأماكن المجهولة فماتت في المكان الذي قدر الله عزَّ وجلَّ أن تموت فيه؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. فعلم الله

محيط بكل شيء حتى ما في نفسك، إذا كنت تفكر في شيء فالله يعلم ما يدور بنفسك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]. فإياك أن تخفي في نفسك ما الله مبديه، إياك أن تخفي في نفسك ما لا يُرضي الله جل وعلا.

فالمهم أن هذا الدعاء مشروع في كل صباح وفي كل مساء «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم».

* * *

١٤٥٩ ـ وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ له وَلِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما: «إِذَا أَوَيْتُمَا إلى فِرَاشِكُمَا، أوْ: إذا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ـ فَكَبِّرا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وثلاثين، واحمَدَا ثَلاثًا وثلاثين[1]» وفي رواية: «التَّسْبِيحُ أربَعًا وَثَلاثينَ» وفي رواية: «التكبيرُ أربعًا وَثَلاثينَ[2]» متفقٌ عليه.

١٤٦٠ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إلى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بداخِلَةِ إزارِهِ فإنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وإنْ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، رقم(٥٨٤٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم(٤٩٠٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله، رقم(٢٨٨١).

أرْسَلْتَها، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالحينَ[١]» متفقٌ عليه.

الشـــرح

هذان الحديثان في بيان ما يقوله الإنسان عند نومه، الحديث الأول حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة بنت محمد رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها، وذلك أن فاطمة اشتكت إلى النبي ﷺ ما تجده من الرحى «أداة لطحن الحب» وطلبت من أبيها خادمًا فقال ﷺ: «**ألا أدلكما على ما هو خير من الخادم**»؟ ثم أرشدهما إلى هذا، أنهما إذا أوى إلى فراشهما وأخذا مضجعيهما، يسبحان ثلاثًا وثلاثين ويحمدان ثلاثًا وثلاثين ويكبران أربعة وثلاثين، قال: «**فهذا خير لكما من الخادم**». وعلى هذا فيسن للإنسان إذا أخذ مضجعه لينام أن يسبح ثلاثًا وثلاثين ويحمد ثلاثًا وثلاثين ويكبر أربعة وثلاثين فهذه مائة مرة، فإن هذا مما يعين الإنسان في قضاء حاجاته، كما أنه أيضًا إذا نام فإنه ينام على ذكر الله عزَّ وجلَّ.

وكذلك حديث أبي هريرة إذا أراد الإنسان أن ينام أن ينفض فراشه بداخلة إزاره ثلاث مرات وداخلة الإزار طرفه مما يلي الجسد، وكأن الحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ بألا يتلوث الإزار بما قد يحدث من أذى في الفراش، وليقل: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمهما، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**» وذلك

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، رقم(٥٨٤٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم(٤٨٨٩).

أن الإنسان إذا نام فإن الله تعالى يقبض روحه كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]. ولكن قبض الروح في المنام ليس كقبضها في الموت، إلا أنه نوع من القبض، ولهذا يفقد الإنسان وعيه ولا يحسُّ بمن حوله، فلهذا سماه الله تعالى وفاة، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]. ينبغي للإنسان أن يقول هذا الذكر «**باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**» والله الموفق.

* * *

١٤٦١ ـ وَعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وَقَرأَ بالمُعوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ[1]. متفقٌ عليه.

وفي رواية لهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذَا أَوَى إلى فِراشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فيهما فَقرأَ فيهما: قُلْ هُوَ الله أحدٌ، وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلقِ، وَقُلْ أعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ما اسْتَطَاعَ من جَسدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأسِهِ وَوَجهِهِ، وَمَا أقبلَ مِنْ جسدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[2]. متفقٌ عليه.

قال أهلُ اللُّغة: «النَّفْثُ»: نَفخٌ لطيفٌ بلا ريق.

١٤٦٢ ـ وعَنِ البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنهما قالَ: قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، رقم(٥٨٤٤).
(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم(٤٦٣٠).

«إِذَا أَتَيتَ مَضجَعَكَ فَتَوَضَّأ وضُوءَكَ للصَّلاةِ، ثمَّ اضطَجعْ عَلَى شِقِّك الأيْمَنَ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفسِي إِلَيْكَ، وَفوَّضتُ أمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلجَأتُ ظَهرِي إِلَيْكَ، رَغبَةً ورهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلجأ ولا مَنجى مِنْكَ إلاَّ إليكَ، آمنتُ بِكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وَبنَبيِّكَ الذي أرسلتَ، فإنْ مِتَّ، مِتَّ على الفِطرةِ، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ[1]» مُتفقٌ عليه.

١٤٦٣ ـ وعَنْ أنَسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا أوَى إلى فراشِهِ قالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكَفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كافي لَهُ ولا مُؤوِيَ[2]» رواه مسلمٌ.

١٤٦٤ ـ وَعَنْ حُذَيفة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تحت خَدِّهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعثُ عِبَادَكَ[3]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

ورواه أبوداود[4] مِنْ رواية حفصة رضي الله عنها وفيه أنَّه كَانَ يَقُولهُ ثلاثَ مرَّات.

الشــرح

هذه الأحاديث من بقية الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب «أذكار النوم» فمنها حديث عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أخذ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم(٥٨٣٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم، رقم(٤٨٨٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم، رقم(٤٨٩٠).

(٣) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٣٢١).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يُقال عند النوم، رقم(٤٣٨٨).

مضجعه جمع كفيه يعني: ضم بعضهما إلى بعض ونفث فيهما، والنفث هو النفخ مع ريق يسير، ثم يقرأ قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، يمسح بهما. أي: بيديه ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ومقدم جسده ثلاث مرات.

فينبغي للإنسان إذا أخذ مضجعه أن يفعل ذلك، ينفخ في يديه مجموعتين ويقرأ فيهما «قل الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس» «ثلاث مرات»، يمسح رأسه وجهه وصدره وبطنه وفخذيه وساقيه وكل ما يستطيع من جسده.

أما الحديث الثاني: فهو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وقد سبق شرحه.

وأما الحديث الثالث: فهو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**» يحمد الله عزَّ وجلَّ الذي أطعمه وسقاه، بأنه لولا أن الله عزَّ وجلَّ يسر لك هذا الطعام وهذا الشراب ما أكلت وما شربت، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٧]. فتحمد الله الذي أطعمك وسقاك «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا» كفانا يعني: يسر لنا الأمور وكفانا المؤونة، وآوانا أي: جعل لنا مأوى نأوي إليه، فكم من إنسان لا كافي له ولا مأوى، أو ولا مؤوي، فينبغي لك إذا أتيت مضجعك أن تقول هذا

الذكر .

ومن ذلك أيضًا حديث حذيفة وحفصة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا اضطجع وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن وقال : «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**» .

فكل هذه أذكار واردة عن النبي ﷺ ينبغي على الإنسان أن يحفظها ويقولها كما كان النبي ﷺ يقولها . والله الموفق .

* * *

انتهى المجلد الخامس - بعون الله تعالى وتوفيقه- ويليه المجلد السادس - إن شاء الله تعالى - وأوله كتاب الدعوات .

فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب

فهرس الموضوعات

كتاب الاعتكاف

كتاب الحج

كتاب الجهاد

كتاب العلم

كتاب حمد الله تعالى وشكره

كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ

كتاب الأذكار